جامعة طنطا
كلية الآداب
قسم التاريخ

المدارس الإسلامية فى مصر فى العصر الأيوبى ودورها فى نشر المذهب السنى

رسالة مقدمة من

الباحث/ أيمن شاهين سلام

للحصول على درجة الدكتوراة الفلسفة فى الآداب شعبة التاريخ الإسلامى من قسم التاريخ كلية الآداب – جامعة طنطا

إشراف

الأستاذ الدكتور/ أحمد عبد الحميد خفاجى
أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية
بكلية الآداب - جامعة طنطا

١٤٢٠هـ/١٩٩٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة

وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم

بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين »

صدق الله العظيم

(سورة النحل)

آية رقم (١٢٥)

إهــداء

إلى عيون أعينها عيون

شكر وتقدير

السيد الأستاذ الدكتور/ **أحمد عبد الحميد خفاجي** أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية الآداب جامعة طنطا ..

فلقد فكرت في نفسي في أموركم وأدرت فكري في أحوالكم فوجدتكم سعداء في الدنيا والآخرة فما قدمتم فلله وما أخرتم، وما أردتم من العالمين جزاءاً ولا شكوراً وما قصرتم ..

فعسى الله أن يرحم ضعفي وقلة حيلتي وعساه أن يحمل عني إليكم حسن الثواب مادمت ومادمتم، ويوم القيامة تحشرون مع الذين صبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله وأحسنوا إن الله لا يضيع أجر المحسنين ..

إلى أبي الحبيب وأمي الغالية

أنتما نور عيني وشمسي وقمري في نهاري وليلي فلكم أنا وعملي وكل أملي أن ترضيان عني ..

الطالب

المدارس الإسلامية فى مصر فى العصر الأيوبى
ودورها فى نشر المذهب السنى

فى الفترة من (٥٦٧هـ: ٦٤٨هـ-١١٧٢م: ١٢٥١م)

الطالب / أيمن شاهين سلام

المقدمة

المقدمـــــة

في الوقت الذى ظن فيه الجميع بأن الفكر الشيعى فى العالم الإسلامى قد سار إلى انحسار شديد ينبئ عن قرب نهاية، وذلك فى منتصف القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى، جاءت الأحداث التالية لتفصح لنا عن إحانة الوقت لبداية حقيقية لدولة التشيع، التى أعلنت عن نفسها بكل ما تحمله من معانى وأفكار، عندما استولى الفاطميون على مصر فى سنة (٣٥٨هـ - ٩٦٩م) وأزاحوا الستار عـن أول خلافـة شيعيـة فـى العالـم الإسلامى.

وكان من الطبيعى فى تلك المرة أن يكتشف الشيعة كل خبرات السنين الماضية الأليمة، التى كان العامل الأول فيها هو سوء فهمهم لطبيعة الأحداث التاريخية الجارية من حولهم، والتى من شأنها تسهيل مهمة جماعة كهؤلاء، للوقوف على كيفية ناجحة لتحقيق هدفهم الأول الذى لم يقف عند حد الاستقلال بالحكم فى ولاية من الولايات الإسلامية، بل تعداه إلى محاولة إعلاء كلمة التشيع باعتبار أن ذلك هو المبدأ الأول والرئيسى الذي ينبغى أن يكون عليه العالم الإسلامى بأثره، فعلى الرغم من أن العلويين فى بداية أمرهم قد استضعفوا من الجانب الأموى، وهو الأمر الذى جعلهم بعد ذلك يدخلون دور الستر، إلا أنهم ومع ذلك تناسوا أن القوة التى كان مصدرها الأول فى تلك الأثناء ما يسمى بالعصبية، كانت تحتاج فى الوقت نفسه إلى كسب الأتباع بكافة الطرق والوسائل، بشرط أن يكون ذلك نابعاً من هؤلاء الأتباع الراغبين فى الاستفادة من تلك القوة؛ فى الوقت الذي لا يدركون معه بدقة أهمية الدور الذى يلعبونه لصالحها، إلا أن العلويين قد اندفعوا وراء كسب الأتباع عن طريق الدعوة والإقناع، مما أدى بهم بالضرورة إلى إجتياز العالم الإسلامى كله للبحث عن أفضل نقطة للانطلاق.

وعلى الرغم من أن الفرصة قد لاحت أمامهم فى سنة (٢٩٦هـ-٩٠٩م)... ببلاد المغرب، إلا أنهم ومع ذلك لم يغيروا من قاعدة ملكهم، وهو ما نتج عنه فشل زريع بعد ستة عقود لا غير منذ بداية إعلانهم الخلافة الفاطمية ببلاد المغرب، لذا فإننا قد وجدناهم بمصر بعد ذلك، قد عدلوا عن تلك النظرة فى سياستهم وحاولوا أولاً أن يثبتوا أن أحقيتهم فى الملك لم تكن نابعة من نسبهم الشريف بأكثر ما كان ذلك نابعاً من قدرة عسكرية تكفل لهم السيطرة على مجريات الحكم فى البلاد، وعلى الرغم من أن التشيع بمصر لم يسبق الفاطميين إليها، إلا أنهم قد استطاعوا بتلك الرؤية الجديدة مواصلة السير بها زهاء أكثر من قرنين واستطاعوا خلال تلك المدة نشر مذهبهم بين المصريين بصورة واضحة وفعالة وهو الأمر الذى زاد من صعوبة المهمة أمام الأيوبيين السنيين، الذين خلفوا الفاطميين على حكم مصر بصورة أهدأ مما كان ينبغى أن تكون عليه الأحداث ساعد على ذلك مجموعة من العوامل التى تبعد كل البعد عن التشكيك فى انتماءات المصريين للفاطميين من الناحية المذهبية والسياسية ولعل ثورات المصريين المتعددة طوال العصر الأيوبى والتى تركزت كلها فى محاولة إعادة الحكم الفاطمى لأكبر دليل على ذلك.

وكان من الطبيعى على رجل كصلاح الدين الأيوبى الوقوف على أبعاد تلك المشكلة وكيفية التعامل معها، وذلك أثناء وزارته للعاضد آخر خلفائهم من سنة (٥٦٥هـ:٥٦٧هـ-١١٦٩م:١١٧١م) خصوصاً، وإذا كانت أحلامه لم تكن تتوقف عند حد إعادة مصر إلى أحضان الخلافة العباسية ببغداد، بل أنها قد تعدت إلى مواجهة أطماع الصليبيين فى العالم الإسلامى بأثره، وكان لزاماً عليه فى سبيل النهوض بذلك العمل، التركيز على إعادة وحدة البناء الإسلامى بين مصر وغيرها من الولايات الإسلامية من الناحية الدينية والثقافية؛ وذلك بقصد الوصول إلى وحدة الهدف، لاسيما وإذا كانت المشكلة الرئيسية فى مصر أمام صلاح الدين، هى

إحياء المذهب السنى بها من جديد، وأن تلك المشكلة قد سبق التعامل معها بأساليب ناجحة من قبل أهل السنة بفارس والعراق خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين العاشر والحادى عشر الميلاديين، وكان من الطبيعى أن يلجأ صلاح الدين إلى الاستعانة بتلك الأساليب فى سياسته القادمة بمصر، والتى كان من أهمها إنشاء المؤسسات التعليمية المختلفة المعروفة بالمدارس، وهى التى خصصت لدراسة مذاهب أهل السنة الأربعة المعروفة، والحق أن تلك المؤسسات قد أخذت فى الظهور بمصر قبيل العصر الأيوبى بصورة ضعيفة، وقد تركزت كلها بمدينة الأسكندرية، إلا أن صلاح الدين وخلفاءه من بعده قد أكثروا من تلك المدارس فى كافة أنحاء البلاد المصرية، وقد حاول بعض الباحثين أن يتناولوا تلك المؤسسات بالدراسة والبحث خلال دراساتهم التى أجريت عن الحركة الفكرية والعلمية بمصر خلال تاريخها، ومن أهم تلك الأبحاث:-

١- دراسة أعدها الباحث صلاح السيد، بكلية التربية جامعة الزقازيق، فرع بنها، لنيل درجة الماجستير فى التاريخ، وموضوعها:- نشأة المدارس وتطورها فى العالم الإسلامى، وقد تناول الباحث خلالها مدارس مصر والشام فى العصرين الأيوبى والمملوكى.

٢- دراسة أعدها الباحث أحمد عزت عثمان، بكلية التربية جامعة أسيوط، لنيل درجة الدكتوراة فى التاريخ، وموضوعها:- التربية والمجتمع المصرى فى العصر الأيوبى، وقد تناول الباحث فى أحد فصولها مدارس مصرفى ذلك العصر.

٣- دراسة أعدتها الباحثة ماجدة محمد حسن، بكلية التربية بجامعة المنيا، لنيل درجة الماجستير، فى التاريخ وموضوعها:- الثقافة والتربية فى مصر على عهد بنى أيوب، وقد تناولت الباحثة بعض مدارس مصر فى ذلك العهد بالدرس والبحث.

٤- دراسة أعدها الباحث عبد الغنى محمود عبد العاطى، وموضوعها :- التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك، تناول فى أحد فصولها مدارس مصر فى ذلك العصر.

٥- بحث أعدته الدكتورة عفاف محمد صبرة، ضمن أبحاث ندوة المدارس فى مصر الإسلامية، وموضوعه :- مدارس مصر فى العصر الأيوبى.

٦- دراسة أعدها أ.د/أحمد فكرى، ضمن سلسلة أبحاثه الثلاثة عن مساجد مصر ومدارسها، والذى خصص قسمها الثانى لدراسة مساجد مصر ومدارسها فى العصر الأيوبى.

ويلاحظ على تلك الدراسات أنها جاءت متطابقة بعضها مع البعض الآخر، فى إيجاز شديد ناقص، لانستطيع من خلاله تكوين صورة حقيقية وشاملة عن ذلك الموضوع، وهو الأمر الذى دفع الباحث إلى أن يخصص دراسته لذلك الموضوع، والتركيز على دور تلك المدارس فى إحياء علوم أهل السنة ومذاهبهم فى ذلك العصر، وقد واجهت الباحث مجموعة من المشكلات التى إعترضته فى سبيل إعداد ذلك البحث، كان أولها وأهمها هو افتقاد ذلك الموضوع للوثائق التاريخية، والتى من شأنها إتاحة الفرصة أمام الباحثين للتأكد من المعلومات التاريخية الواردة فى المصادر التاريخية المختلفة عن ذلك الموضوع، والذى عان الباحث أشد المعاناة فى جمع مادته نظراً لضعف الإشارات الواردة فى تلك المصادر، والتى حاولنا جمع شتاتها لمعالجة ذلك الدرس، والذى قسمناه إلى تمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، وقد تناول الباحث فى التمهيد نشأة المدارس وتطورها فى العالم الإسلامي، وذلك لكى يقف الدارسون على الأسباب والظروف التى ساعدت على ظهور ذلك النوع من المؤسسات.

وقد حاول الباحث فى سبيل الوصول إلى تلك الأسباب والظروف متابعة التطور الذى طرأ على شكل المؤسسات التعليمية، التى سبقت المدارس فى الظهور،

ومن المعروف أن المسجد كان أقدمها على الإطلاق، فقد كان وبحق المركز الأول للمسلمين من الناحية السياسية والحضارية، ثم أنه حينما تعقدت الآداة الحكومية بدأت تنسلخ عنه كثير من المهام لتستقل بكل واحدة منها دور ومؤسسات يمكنها القيام بتلك المهام، بصورة أفضل مما كانت عليه، ومن تلك المهام التعليم.

فقد بدأت تظهر لنا في الأفق مجموعة من الدور، التي أقيمت وبصفة خاصة لمزاولة النشاط العلمي بها، كدور الكتب التي أنشأها أصحابها لراغبي الاطلاع، ولما كانت تلك الدور تفتقد إلى النظام والتخصص، وجدنا دوراً أخرى أخذت في الظهور، حاولت سد ذلك العجز ووفرت لروادها فوق ما كانت توفره دور الكتب فقد وفرت لهم المعلمين والقاعات التي خصصت كل واحدة منها لدراسة فن من الفنون، وهي الدور التي أصطلح على تسميتها بدور العلم، ولم يتوقف المسلمون عند ذلك الحد إذ وجدوا أنه من الضروري أن يلحقوا بتلك المؤسسات مساكن للدارسين، ليكون ذلك معيناً لهم على مواصلة الدرس والبحث، فجاءت تلك المؤسسات التعليمية التي عرفت بالخانات محققة لذلك الغرض، والتي خصص كل واحد منها لطائفة من طوائف فقهاء المذاهب السنية، ثم أن مؤسسات أخرى قد تلت تلك الخانات في الظهور، وهي الخوانق والتي أعدها الباحث بحق المرحلة الأخيرة في التطور، الذي طرأ على شكل المؤسسة التعليمية قبل ظهور المدارس، لذا فإننا وجدنا كثيراً من أوجه الشبه بينهما، إلا أن المدارس جاءت لتحقق للمؤسسة التعليمية اكتمالها في كافة النواحي، بحيث يكفل لها ذلك إثبات فعاليتها في المجتمع الإسلامي، ولما كان ذلك من صنيع أهل السنة جاءت تلك المدارس لتركز على دراساتهم بقصد مناهضة الفكر الشيعي، وقد نجحت تلك المؤسسات نجاحاً ملحوظاً في القيام بذلك الدور خلال القرنيين الرابع والخامس الهجريين العاشر والحادي عشر الميلاديين، وذلك في الوقت الذي كانت فيه مصر بأيدي الفاطميين الشيعة، وهو

الأمر الذى يتوقع معه صعوبة ملاحقة مصر لذلك التطور، والذى بدأت رغم ذلك تظهر آثاره الأولى بمصر مع نهاية ذلك العصر، لذا فقد جاء الفصل الأول لدراسة نشأة المدارس بمصر فى العصر الفاطمى، ومناقشة الظروف والأسباب التى أدت إلى تأخيرها، وظهورها فيما بعد ذلك خصوصاً فى الإسكندرية، التى أفصحت لنا المصادر التاريخية عن ثلاثة مدارس، تم إنشاءها في ذلك العصر، وهى مدرسة أبو بكر الطرطوشي، ومدرسة ابن عوف، والمدرسة السلفية، وبالطبع فإن ذلك لم يكن كافياً، ومؤثراً، بأكثر ما كان بداية لفجر يوم جديد.

ولاشك أن صلاح الدين وخلفاءه على مصر هم الذين أكثروا من تلك المدارس إيماناً منهم بأهميتها فى إحياء المذاهب آلسنية، لذلك فإن الباحث خصص الفصل الثانى لدراسة المدارس، التى أنشأها الأيوبيون بمصر مصنفة على حسب المذهب، الذى خصصت من أجله كل مدرسة منها على حده، وهى على النحو التالى :-

١- مدارس خصصت لتدريس المذهب الشافعى، وهم ستة عشر مدرسة، ثلاثة منها بالفيوم، وواحدة بأسوان، وأخرى بأسيوط، أما الإحدى عشرة الباقية فبالقاهرة.

٢- مدارس خصصت لتدريس المذهب المالكى، وهم احدى عشر مدرسة، اثنتان منها بالفيوم، وواحدة بقوص ورابعة بمنية بنى الخصيب، واثنتان بالإسكندرية، أما الخمسة الباقية فبالقاهرة.

٣- مدارس خصصت لتدريس المذهب الحنفى، وهم ستة مدارس، كلهم بالقاهرة.

٤- مدارس خصصت لتدريس مذهبين معاً، وهى مدرسة واحدة بالقاهرة، أوقفها القاضي الفاضل، على دراسة فقهى مالك والشافعى.

٥- مدارس خصصت لتدريس المذاهب الأربعة مجتمعة، وهى مدرسة واحدة بالقاهرة، وهى التى أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب.

٦- مدارس لم يهتدى إلى المذهب الذى خصصت من أجله، وهم أربعة مدارس، واحدة منهم بالإسكندرية، وثلاثة بالقاهرة.

وبالطبع فإننا قد حاولنا تتبع أخبار كل مدرسة من تلك المدارس على حدة، من ناحية موقعها وتاريخ إنشائها، وبعض من الذين تولوا مهمة التدريس، والإعادة بتلك المدارس.

وفى الفصل الثالث تناول الباحث التنظيمات المالية والإدارية لتلك المدارس، والتى عرض فيها للمصادر المالية التى كانت تنشأ بها المدارس، وكذلك الأوقاف التى أوقفها أصحابها، على تلك المؤسسات للصرف عليها؛ ثم انتقل الباحث بعد ذلك للكلام عن الفئات التى كانت تعيش فى تلك المدارس، وهى :-

١- **المدرسون:** وهم الأشخاص الذين أسندت إليهم مهمة تدريس الفقه، أو الحديث، أو التفسير، فى إحدى المدارس.

٢- **المعيدون:** وهم الذين اختصوا بإعادة إسماع الدرس للطلبة، إمعاناً فى الفائدة.

٣- **الإمام:** وهو الذى اختص بإمامة المقيمين بالمدرسة فى الصلاة.

٤- **القارئ:** وهو الذى اختص بقراءة القرآن بالمدرسة.

٥- **المؤذن:** وهو الذى اختص برفع الآذان للناس بالمدرسة فى أوقات الصلاة.

٦- **الناظر:** وهو الذى اختص بالإشراف الإدارى على مصالح الوقف.

٧- **الخدم:** وهم الذين خصصوا للإشراف على النظر فى مصالح المدرسين والطلبة وغيرهم من أهل المدارس.

٨- **موظفوا المكتبة:** وهم الذين اختصوا بالمكتبات، التى كانت ملحقة بالمدارس.

٩- **طلاب المدارس:** وهم الذين قسمهم الباحث إلى قسمين، وهم الطلاب المنتظمون، وغير المنتظمين.

ثم انتقل الباحث فى ذلك الفصل إلى الحديث عن الأقسام الرئيسية بتلك المدارس وهى:- قاعات الدرس، ومساكن المدرسة، والمكتبة، وبيت الصلاة، والحمام، والمارستان.

ثم انتقل الباحث فى الفصل الرابع، إلى الحديث عن الآثار العلمية، والثقافية، لتلك المؤسسات فى المجتمع المصرى فى العصر الأيوبى، التى كان من أهمها أن المدارس الأيوبية أصبحت مركزاً للإشعاع العلمى، الذى جذب انتباه كثيرا من كبار علماء أهل السنة خارج مصر، ومن جهة أخرى فقد حاول الباحث الاهتمام بعلوم أهل السنة، ودراسة ما إذا كان للمدارس الأيوبية أثر فى انتشارها، وإلى أى مدى كان ذلك التأثير.

وكان أهم ما إنتبه إليه الباحث فى ذلك الاتجاه من علوم أهل السنة علم الفقه باعتبار أن المدارس قد أنشئت خصيصاً لدراسته، وكذلك علم القراءات على اعتبار أن بعضاً من تلك المدارس قد خصص بها درس مستقل بذلك العلم، وعلم الحديث الذى خصصت من أجله المدرسة الكاملية، وكذلك علمى النحو، والتفسير، اللذين إهتمت بدراستهما بعضاً من تلك المدارس.، ثم انتقل الباحث فى نهاية ذلك الفصل إلى الآثار السياسية والاجتماعية لمدارس مصر فى ذلك العصر. ثم تلت تلك الفصول جميعاً الخاتمة، والتى اشتملت على نتائج البحث، وبعد فأننى أحمد الله العلى العظيم أن وفقنى إلى ذلك إنه على كل شيء قدير.

****

عرض لأهم المصادر

عرض لأهم مصادر البحث

تعتبر دراسة المصادر التى اعتمد عليها الباحث فى دراسته جزءاً لايتجزأ عن موضوع الدراسة لأنها تنطوى على مدى مصداقية البحث وجديته وأول ما يمكن الإشارة إليه فى ذلك الصدد هو خلو ذلك البحث من أية وثيقة تاريخية تنتمى إلى العصر الذى نحن بصدده ولم يكن ذلك راجعاً إلى تقصير من الباحث الذى سعى قدر الاستطاعة من أجل الحصول على تلك الوثائق باعتبارها المصدر الأول للكتابة التاريخية ولكن دون جدوى ومع ذلك فقد توفر لدينا معلومات غزيرة وقيمة فى كتابات الكثير من المؤرخين عن ذلك الموضوع تتضح أهميتها فيما يلى :-

أولاً: مجموعة الكتابات المعاصرة :

فقد حظى العصر الايوبى بكثير من الكتابات التاريخية التى عايش أصحابها أحداث ذلك العصر، ومنهم من عاين بعضها وقد دونوا ذلك كله فى كتاباتهم التى وصلت إلينا معظمها، ومن هذه المؤلفات ما كتبه لنا ابن شداد المتوفى سنة (٦٣٢هـ-١٢٣٤م) فى مؤلفه المعروف (بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) والذى دون فيه معظم الحوادث التى وقعت بمصر والشام على عهد صلاح الدين، وإن كان ابن شداد لم يلتفت كثيراً إلى التغيرات الحضارية التى أحدثها صلاح الدين بمصر بالقدر الذى اهتم فيه بالأحداث السياسية والعمليات العسكرية شأنه فى ذلك شأن كل من العماد الكاتب الأصفهانى المتوفى سنة (٥٩٧هـ-١١٩٠م) فى كتابه (الفتح القسى فى الفتح القدسى)، وأبى شامة المتوفى سنة (٦٦٥هـ-١٢٦٦م) فى كتابه (الروضتين فى أخبار الدولتين)، وكذلك مانجده عند ابن واصل المتوفى سنة (٦٩٧هـ-١٢٩٧م) فى كتابه (مفرج الكروب فى اخبار بنى أيوب)، وبالطبع فإن ما أحدثه صلاح الدين وخلفاؤه من فتوحات وانتصارات

منقطعة النظير كانت السبب وراء ذلك، ويضاف إلى تلك المؤلفات مؤلفات أخرى كتبها أصحابها فى التاريخ العام دونوا فيها كثيراً من أخبار بنى أيوب، وتعود أهميتها فى الواقع إلى معاصرة أصحابها لتلك الفترة ككتابى الكامل فى التاريخ (والتاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية) لابن الأثير الجزرى المتوفى سنة (٦٣٠هـ-١٢٣٢م)، وكتاب (مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان) لمؤلفه سبط ابن الجوزى المتوفى سنة (٦٥٤هـ-١٢٥٦م)، وهناك مجموعة أخرى من تلك الكتابات أكثر أهمية من التى سبقت لأن أصحابها فى تلك المرة أفسحوا فيها المجال أمام الباحثين للاطلاع على كثير من نواحى النشاط العلمى والثقافى، وذلك من خلال ما أثبتوه فى مؤلفاتهم من سير مشاهير العلماء ككتاب (التكملة لوفيات النقلة) لمؤلفه المنذرى المتوفى سنة (٦٥٦هـ-١٢٥٨م) والذى يعد وبحق من أهم المصادر التاريخية فى ذلك الموضوع نظراً لأن المنذرى كان قد جلس للاستماع فى كثير من مدارس مصر فى ذلك العصر، وذلك بالإضافة إلى توليه التدريس بالمدرسة الكاملية طيلة عشرين عاماً وقد دون لنا ذلك كله فى هذا المؤلف النادر، ويلى كتاب التكملة فى الأهمية كتاب (تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين) لمؤلفه ابى شامة صاحب (كتاب الروضتين)، (وكتاب وفيات الاعيان) لصاحبه شمس الدين بن خلكان المتوفى سنة (٦٨١هـ-١٢٨٢م)، وكتاب (بغية الطلب فى تاريخ حلب) لابن العديم المتوفى سنة (٦٦٠هـ-١٢٦١م)، وكذلك عن كتاب (تاريخ الواصلين) لمؤلفه ابن واصل صاحب كتاب (مفرج الكروب).

وهناك نوع آخر من المؤلفات التى لم تقل أهمية عن تلك التى سبقت، وهى كتب الرحلات التى تعد وبحق أوثق المصادر التاريخية لأن أصحابها قد دونوا ما شاهدوه وعاينوه بدقة من حيث المكان والزمان، ومن حسن الحظ أن لدينا مثالاً من لذلك النوع فى العصر الأيوبى فقد زار ابن جبير المتوفى سنة (٦١٤هـ-١٢١٧م)

مصر فى حدود السنة (٥٧٨هـ-١١٨٢م)، ودون كثيراً من مشاهداته فى تلك السنة فى مؤلفه الشهير برحلة ابن جبير ويندرج تحت ذلك النوع من الكتابات مؤلفات أخرى اعتنى أصحابها فيها بموضوعات أكثر خصوصية من التى سبق الإشارة إليها ككتابى (تاريخ الفيوم وبلاده)، وكتاب (لمع القوانين المضية فى دواوين الديار المصرية) لصاحبهما عثمان بن إبراهيم النابلسى المتوفى سنة (٦٦٠هـ-١٢٦١م).

ثانياً: كتابات اللاحقين :

ونقصد بها تلك التى عاش أصحابها فى العصر الايوبى، وهؤلاء كانوا قد عاصروا وسجلوا وفيات بعض من الذين عاشوا وتربوا فى كنف الدولة الأيوبية، وامتد أجلهم إلى ما بعد سنة (٦٤٨هـ-١٢٥٠م)، وبالطبع فإنهم كتبوا عنهم الكثير من أخبارهم قبل تلك السنة، ومن هذه الكتابات كتاب (ذيل مرآة الزمان) لليونينى المتوفى سنة (٧٢٦هـ-١٣٢٥م)، ومن محاسن هذا الكتاب أنه جاء محدداً للمراحل التى عاشها من يكتب عنهم تحديداً زمنياً ساعد الباحث على أن يميز بين الحوادث التى وقعت لهؤلاء قبل السنة (٦٤٨هـ-١٢٥٠م) من التى وقعت لهم بعدها، ومن هذه المؤلفات أيضا ما كتبه النويرى المتوفى سنة (٧٣٢هـ-١٣٣١م) فى مؤلفه الضخم المعروف (بنهاية الأرب فى فنون الأدب)، وما كتبه أبو الفدا المتوفى سنة (٧٣٢هـ-١٣٣١م) فى كتابه (المختصر فى أخبار البشر)، ويلي تلك المؤلفات فى الرتبة من ناحية المعاصرة مؤلفات أخرى، وإن كانت لاتقل أهمية من ناحية العمق وغزارة المعلومات واتساعها تلك التى ترجم فيها أصحابها لعلماء تلك الفترة وأدبائها، وكل من لهم صلة من قريب أو بعيد عن ذلك الموضوع، كمؤلفات الذهبى المتوفى سنة (٧٤٨هـ-١٣٤٧م) فى كل من كتاب (سير أعلام النبلاء)، وكتاب (تذكرة الحفاظ)، وكتاب (تاريخ الإسلام)، وكذلك ما كتبه

الإدفوى المتوفى سنة (٧٤٨هـ-١٣٤٧م) فى كتابه (الطالع السعيد)، وكذلك ما ألفه بعض المؤلفين فى طبقات فقهاء المذاهب المختلفة، كالسبكى المتوفى سنة (٧٧١هـ-١٣٦٩م) والإسنوى المتوفى سنة (٧٧٢هـ-١٣٧٠م) وابن كثير المتوفى سنة (٧٧٤هـ-١٣٧٢م) اللذين ألفوا فى طبقات الشافعية ثلاثة مؤلفات قيمة، وكابن أبى الوفاء القرشى المتوفى سنة (٧٧٥هـ-١٣٧٣م)، الذى ألف فى طبقات الحنفية كتاباً أسماه (الجواهر المضية فى طبقات الحنفية)، وكابن فرحون المتوفى سنة (٧٧٩هـ-١٣٥٧م) الذى ألف فى طبقات المالكية كتاباً أسماه (الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب)، وابن رجب الحنبلى المتوفى سنة (٧٩٥هـ-١٣٩٢م) فى كتاب (الذيل على طبقات الحنابلة)، وتعود أهمية هؤلاء المؤلفين إلى عنايتهم الشديدة بجمع كل ما يتعلق بتراجم هذه الطبقات نظراً لانتماء هؤلاء إلى نفس المذهب الذى كتبوا فيه عن أصحابه، وقد أدى ذلك بهم إلى جمع أخبارهم من شتات الكتب التى وصلت إلينا، والتى منها لم تصل.

ثالثاً: كتابات متأخرة عن ذلك العصر :

وهى لمؤلفين عاشوا فى أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى، وتعود أهمية هؤلاء المؤلفين - المؤرخين إلى غزارة معلوماتهم من الناحية التاريخية مقارنة بمن سبقوهم فى نفس التصانيف، ومن هؤلاء القلقشندى المتوفى سنة (٨٢١هـ-١٤٠٨م) فى كتابه (صبح الأعشى فى صناعة الإنشا) وابن الجزري المتوفى سنة (٨٣٣هـ-١٤٢٩م) فى كتابه (غاية النهاية فى طبقات القراء)، والمقريزى المتوفى سنة (٨٤٥هـ-١٤٤١م) فى كتابيه (السلوك فى معرفة دول الملوك)، (المقفى الكبير)، ومنهم أيضا إبن حجر العسقلانى المتوفى سنة (٨٥٢هـ-١٤٤٨م) فى كتابة (رفع الأصر عن قضاة مصر)، والعينى المتوفى

الإدفوى المتوفى سنة (٧٤٨هـ-١٣٤٧م) فى كتابه (الطالع السعيد)، وكذلك ما ألفه بعض المؤلفين فى طبقات فقهاء المذاهب المختلفة، كالسبكى المتوفى سنة (٧٧١هـ-١٣٦٩م) والإسنوى المتوفى سنة (٧٧٢هـ-١٣٧٠م) وابن كثير المتوفى سنة (٧٧٤هـ-١٣٧٢م) اللذين ألفوا فى طبقات الشافعية ثلاثة مؤلفات قيمة، وكابن أبى الوفاء القرشى المتوفى سنة (٧٧٥هـ-١٣٧٣م)، الذى ألف فى طبقات الحنفية كتاباً أسماه (الجواهر المضية فى طبقات الحنفية)، وكابن فرحون المتوفى سنة (٧٧٩هـ-١٣٥٧م) الذى ألف فى طبقات المالكية كتاباً أسماه (الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب)، وابن رجب الحنبلى المتوفى سنة (٧٩٥هـ-١٣٩٢م) فى كتاب (الذيل على طبقات الحنابلة)، وتعود أهمية هؤلاء المؤلفين إلى عنايتهم الشديدة بجمع كل ما يتعلق بتراجم هذه الطبقات نظراً لانتماء هؤلاء إلى نفس المذهب الذى كتبوا فيه عن أصحابه، وقد أدى ذلك بهم إلى جمع أخبارهم من شتات الكتب التى وصلت إلينا، والتى منها لم تصل.

ثالثاً: كتابات متأخرة عن ذلك العصر :

وهى لمؤلفين عاشوا فى أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى، وتعود أهمية هؤلاء المؤلفين - المؤرخين إلى غزارة معلوماتهم من الناحية التاريخية مقارنة بمن سبقوهم فى نفس التصانيف، ومن هؤلاء القلقشندى المتوفى سنة (٨٢١هـ-١٤٠٨م) فى كتابه (صبح الأعشى فى صناعة الإنشا) وابن الجزري المتوفى سنة (٨٣٣هـ-١٤٢٩م) فى كتابه (غاية النهاية فى طبقات القراء)، والمقريزى المتوفى سنة (٨٤٥هـ-١٤٤١م) فى كتابيه (السلوك فى معرفة دول الملوك)، (المقفى الكبير)، ومنهم أيضا إبن حجر العسقلانى المتوفى سنة (٨٥٢هـ-١٤٤٨م) فى كتابة (رفع الأصر عن قضاة مصر)، والعينى المتوفى

سنة (٨٥٢هـ-١٤٤٨م) فى كتابه (عقد الجمان فى تاريخ أهل زمان)، وأبو المحاسن ابن تغرى بردى المتوفى سنة (٨٧٤هـ-١٤٨٠م) فى كتابة (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة).

رابعاً: كتابات ذات طبيعة خاصة :

ونقصد بها تلك التى وضعها أصحابها فى طبوغرافية مدينة القاهرة، ووصف عمائرها الدينية والمدنية، وبالطبع فإن الذى يهمنا من بين تلك العمائر، ما كتبه هؤلاء عن مدارس القاهرة التى يعود تاريخها للعصر الأيوبى ولم تزل قائمة إلى عصورهم، وقد شاهدوا منها ما دونوه فى مؤلفاتهم من ناحية وصف المبنى، وقراءة اللوحة التأسيسية التى على باب المدرسة، والتى توضح لنا تاريخ إنشائها، والتنبيه على مؤسسها، ولأى المذاهب خصصت، كما كانوا يقفون فى بعض الأحيان على حجج أوقافها، ويستمعون إلي بعض من أخبارها منذ نشأتها إلى أيامهم، ومن أهم تلك الكتب على الإطلاق كتاب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار) لمؤلفه المقريزى المتوفى سنة (٨٤٥هـ-١٤٤١م) الذى خصص فيه فصلاً كاملاً عن مدارس القاهرة، والحق أن المقريزى لم يكن أول من صنف فى ذلك الفن بل سبقه فى ذلك آخرون، وإن منهم من اعتمد عليه المقريزى نفسه فى إعداد ذلك المؤلف كابن عبد الظاهر المتوفى سنة (٦٩٢هـ-١٢٩٣م) فى كتابه (الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة)، ويندرج تحت ذلك النوع من المؤلفات كتاب (الانتصار لواسطة عقد الأمصار) لمؤلفه ابن دقماق المتوفى سنة (٨٠٩هـ-١٣٩٦م)، وكتاب (إعلام الساجد بأحكام المساجد) لمؤلفه الزركشى المتوفى سنة (٧٩٤هـ-١٣٩١م)، وكتاب (الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة) لابن الزيات المتوفى خلال القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى.

خامساً: المراجع العربية والأجنبية :

ولاشك أن الباحث قد أستفاد كثيراً من الكتابات العربية والأجنبية الحديثة، وإن كانت كلها قد ركزت على جوانب محددة دارت حولها تلك المؤلفات جميعاً، وقد قسمها فيما بينها إلى ثلاثة أقسام :

١- **الكتابات الأثرية**: وهى تلك التى تهتم بالنواحى المعمارية للمنشأت الدينية والمدنية فى تاريخ مصر الإسلامية، والذى من بين عصوره العصر الأيوبى، ومن أهم تلك المؤلفات ما كتبه أحمد فكرى فى الجزء الثانى من كتابه (مساجد القاهرة ومدارسها)، وما كتبته سعاد ماهر فى كتابها (مساجد مصر وأولياؤها الصالحون) وما كتبه حسن عبد الوهاب فى كتابه (تاريخ المساجد الأثرية فى القاهرة)، وما كتبه كرسويل فى (كتابه العمائر الإسلامية فى مصر).

وبالطبع فإن تلك المؤلفات قد ركزت اهتماماتها على البقايا الأثرية لمدارس مصر فى العصر الأيوبى، والتى لم تتعد أكثر من موضعين لمدرستين أنشأتا فى أواخر ذلك العصر وهما المدرسة الكاملية، والمدرسة الصالحية، وأما بقية المدارس فقد اعتمد أصحاب تلك المؤلفات فى دراستهم لها على كتاب (خطط المقريزى)، ولذا فقد جاءت دراسات هؤلاء ناقصة لاتوفى بالغرض المطلوب.

٢- **الكتابات التربوية**: وهى تلك التى قصد بها أصحابها إلقاء الضوء على الجوانب التربوية للمؤسسات التعليمية التى أسست في العصر الأيوبي، والتى من بينها المدارس كتلك التى قام بها بعض الباحثين فى كليات التربية بالجامعات المصرية، فمن ذلك الدراسة التى أعدها أحمد عزت عثمان، لنيل درجة الدكتوراه من كلية التربية جامعة أسيوط، وعنوانها (التربية والمجتمع المصرى فى العصر الأيوبى)، والدراسة التى أعدتها ماجدة محمد حسن لنيل درجة الماجستير من كلية التربية جامعة المنيا، وموضوعها (الثقافة والتربية

فى مصر على عهد بنى أيوب) ، والدراسة التى قام بها صلاح السيد فى كلية التربية جامعة الزقازيق فرع بنها ، وذلك لنيل درجة الماجستير وموضوعها (نشأة المدارس وتطورها فى العالم الإسلامي) .

وكان من المتوقع أن تأتى تلك الدراسات بفائدة أكبر من تلك التى استفاد منها الباحث فى دراسته، راجع ذلك إلى أن أحكامها جاءت عامة على كافة المؤسسات التعليمية من مساجد، ومدارس وخوانق، وزوايا ، وربط، وكتاتيب وفى بعض الأحيان قد تعدت أحكامها حدود العصر الأيوبى كما أنها جاءت من الناحية التاريخية أقل دقة.

٣- **الكتابات التاريخية**: وهى تلك التى ألفها بعض الذين تخصصوا فى كتابة التاريخ الإسلامى، كالأستاذ الدكتور/ جمال الدين الشيال، الذى إستفدت منه كثيراً فيما كتبه عن المدرسة الحافظية العوفية بالإسكندرية، وما كتبه كلا من أيمن فؤاد سيد عن مدارس مصر فى العصر الفاطمى، وعفاف صبرة عن مدارس مصر فى العصر الأيوبى وذلك ضمن أبحاث ندوة المدارس فى مصر الإسلامية، وما كتبه عبد الغنى عبد العاطى فى كتابه (التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك) ، وعلى الرغم من قلة هذه الدراسات إلى أن الباحث قد استفاد منها كثيراً فى دراسته والتى نرجو من الله أن تكون مكملة لتلك الدراسات التى سبقتها فى ذلك المجال.

وبعد فإننى أقول دون أى مدافعة أن مادة ذلك الموضوع جاءت غير كافية فى المصادر والمراجع بالقدر الذى لم يسمح للباحث فى كثير من الأحيان بدراسة بعض جوانب الموضوع دراسة وافية خصوصاً إذا علمنا أن مدارس ذلك العصر جاءت قليلة فى العدد حديثة العهد بمصر، وهو الأمر الذى كان يؤدى في بعض الأحيان لضعف الأسلوب، والصياغة، والذى حاولت جهد الإستطاعة أن أتجنب الوقوع فيه وأن ألتزم بالمنهج العلمى فى كتابة ذلك الموضوع والله الموفق والمعين...

تمهيد

نشأة المدارس وتطورها فى العالم الاسلامى

الفصل التمهيدى

نشأة المدارس وتطورها فى العالم الإسلامى

يعتقد بعض الباحثين فى تاريخ المدارس الإسلامية أنها ابتكار سنى[١]، ومنهم من يعتبرها بمثابة استحداثا شيعياً[٢]، ولسنا هنا فى معرض ترجيح أحد الرأيين على الآخر، بل أنه من الأولى أن نناقش ما اتفق عليه الفريقان، بأن المدرسة عمل مبتكر، ولسنا على إستعداد أن نتفق مع ذلك الرأى، لأن نظاماً معقداً، كالمدرسة لايمكن أن يبتكر مرة واحدة، فى أى مكان من الأرض[٣] ولذا فقد ظل من الضرورى عند التأريخ لنشأة المدارس فى الإسلام، أن نحيط بأصلها من حيث كونها فكرة فى المجتمع الإسلامى، ثم نظاما تعليميا من بعد ذلك.

وعندما نبحث فى تاريخ المدارس الإسلامية، يجب أن نتجنب التعبيرات ذات المدلولات العامة غير المحدودة، وقد اعتاد بعض الكتاب المعاصرين فى كتاباتهم عن تاريخ الإسلام وحضارته. أن يطلقوا كلمة مدرسة على كل معهد علمى[٤]، فمن ذلك ما جاء فى دائرة المعارف البريطانية أن أول مدرسة فى الاسلام أنشأها الخليفة العباسى المأمون[٥].

---

(١) أيمن فؤاد سيد، المدارس فى مصر قبل العصر الأيوبى، أبحاث ندوة المدارس فى مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٨٩.

(٢) حسن أمين؛ المسجد المعهد الأول للتعليم عند المسلمين، مجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، العدد ٢٢، ١٩٦٨م، ص ٢٥.

(٣) خوليان ريبيرا، التربية الإسلامية فى الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، ترجمة الطاهر أحمد مكى، دار المعارف، القاهرة ،١٩٨١م، ص ٢٥٧.

(٤) محمد عبد الرحيم غنيمة، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، دار الطباعة المغربية، تطوان سنة ١٩٥٣، ص ٦٦.

(٥) هو أبو العباس عبد الله المأمون ولد سنة ١٧٠هـ وكان الرشيد قد جعله ولياً للعهد بعد الأمين كما أسند إليه ولاية خراسان، وقد دار صراع مرير بين الأخوين الأمين والمأمون انتهى بتغلب المأمون فى سنة ١٩٨هـ، فتولى المأمون الخلافة عقب ذلك ومن أبرز =

في خراسان[١] وهو وال عليها من قبل والده الخليفة هارون الرشيد،[٢] وعلى الرغم من أنه لم يعثر على أى مصدر عربى ذكر هذه المدرسة، إلا أننا وجدنا أحد الباحثين يميل إلى تأييد ذلك الخبر وإعتبره أمرا ليس بغريب، (فالمأمون) رجل كانت له اهتماماته العلمية، ذلك من ناحية، ومن ناحية أخرى فالمدارس الأولى فى الاسلام، إنما أنشئت فى نيسابور[٣] عاصمة خراسان،[٤] ومثل ذلك أيضا نجده فى

= ما يذكر للمأمون ثقافته الرفيعة وحبه للعلم وخدماته الثقافية التى جعلته فى القمة بين خلفاء المسلمين حتى قيل أنه أعلم الخلفاء بالفقه وعلم الكلام. وتوفى المأمون وهو غاز بطرسوس فى سنة ٢١٨هـ لثلاث عشر ليلة بقيت من رجب من السنة وكان عمره آنذاك ٤٨ عاماً.

- الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٣ القاهرة، ١٩٧٩م، ج٨، ص ٦٥٠ ومابعدها.

(١) خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلى العراق وآخر حدودها مما يلى الهند، طخارستان، غزنة، سجستان وكرمان وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة.

ياقوت الحموى (إبن عبد الله الرومى ت ٦٢٦هـ - ١٢٢١م)، معجم البلدان، دار صادر. بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٦م، ج ١، ص٢٠٦ ومابعدها.

(2) Encyclopedia, Britonnica, Inc, william Benton, bublisher, 1943-1973, Helen, Heming way Benton, publisher, 1973-1974,

(٣) نيسابور : هى مدينة عظيمة ببلاد فارس يقال لها إيرانشهر وهى مابين جيحون الى القادسية ومن الرى إلى نيسابور مائة وستون فرسخا وكان المسلمون فتحوها فى أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه.

- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٥، ص٣٣١.

(٤) أحمد رمضان أحمد ، الإيجازات والتوقيعات المخطوطة فى العلوم العقلية والنقلية من القرن الرابع إلى القرن العاشر الهجرى، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية، القاهرة، د.ت، ص٤.

كتابات الباحثين عند الحديث عن مؤسسة الخليفة العباسى المعتضد،[١] العلمية، والتى أمر بتأسيسها قبل وفاته بقليل فنجدهم يعتبرونها مدرسة وهم فى ذلك يعتمدون على النص الذى أورده المقريزى فى (الخطط) فى الفصل الخاص بمدارس مصر، ففى مقدمة ذلك الفصل أورد خبرا مؤداه، "أن الخليفة المعتضد بالله ت (٢٨٩هـ - ٩٠٢م) لما أراد بناء قصره فى الشماسية ببغداد، إستزاد فى الزرع بعد أن فرغ من تقدير ماأراد فسئل عن ذلك، فذكر أنه يريده ليبنى فيه دورا ومساكن ومقاصير، يرتب فى كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب للعلوم النظرية، والعلمية، ويجرى عليهم الأرزاق السنية ليقصد كل من اختار علماً ما يختاره من الرؤساء فيأخذه عنهم[٢]". ويرى الباحث أن هذا الرأى جانبه الصواب فالمقريزى نفسه كما نرى لم يطلق على تلك المؤسسة إصطلاح (مدرسة) هذا من جهة ومن جهة أخرى فالمعروف أن المعتضد كان قد توفى قبل إتمام ذلك البناء. اعتماداً على ما أورده ابن الجوزى فى كتابه (المنتظم)، من أن "المعتضد لما اعتل فى أخريات أيامه طلب صحة الهواء فأمر أن يبنى له قصراً فوق الشماسية، ولكنه مات قبل إتمام هذا البناء[٣]"، وقد جاء رأى إبن الجوزى مؤكداً لما أورده الطبرى من أنه

---

(١) وهو أبو العباس أحمد بن الموفق كانت خلافته سنة ٢٧٩هـ وبقى فى الخلافة إلى حين وفاته سنة ٢٨٩هـ .

- الطبرى، المصدر السابق، ج١٠، ص٣٠.

(٢) المقريزى (تقى الدين أبو العباس أحمد بن على)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الناشر: دار الطباعة المصرية، القاهرة، سنة ١٩٩٦، ج٢، ص٣٦٢، ٣٦٣.

(٣) ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد)، المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك، تحقيق ودراسة محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، راجعة وصححه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣، ج١٢، ص ٤٢١- صلاح السيد، نشأة المدارس وتطورها فى العالم الإسلامى، رسالة ماجستير غير منشورة؛ كلية الآداب، جامعة الزقازيق، فرع بنها، ١٩٨٢، ص ٨٣- محمد عبد الرحيم غنيمة، المرجع السابق، ص ٦٦، ٦٧.

"ولليلتين خلتا من (شهر ربيع الأول سنة ٢٨٩هـ فبراير٩٠٢م) اخرج من كانت له دار وحانوت بباب الشماسية عن داره وحانوته، وقيل لهم خذوا أقفاصكم وأخرجوا، وذلك أن المعتضد كان قد قرر أن يبنى لنفسه داراً يسكنها، فخط موضع السور وحفر بعضه، وابتدأ فى بناء دكة على دجلة كان المعتضد أمر ببنائها، لينقل فيقيم فيها إلى أن يفرغ من بناء الدار والقصر، وفى ربيع الآخر منها - أى (٢٨٩هـ - مارس ٩٠٢م) توفى المعتضد[١]"، ولو أن أصحاب ذلك الرأى أمعنوا النظر فيما كتب المقريزى نفسه لوجدوه لايعترف بكونها-«أى مؤسسة المعتضد»- مدرسة حيث أورد فى العبارة التى تلت ذلك النص السابق رأيه الخاص بنشأة المدارس فى العالم الإسلامى إذ ذكر أن "المدارس مما حدث فى الإسلام، ولم تكن فى زمن الصحابة والتابعين، وإنما حدث عملها بعد الأربعمائة من سنى الهجرة[٢]"، وذلك النص وإن كان قد أنهى البحث فى تلك المسألة إلا أن ماإحتواه من أن المدارس قد حدث عملها فى الإسلام بعد الأربعمائة من سنى الهجرة يحتاج إلى دراسة ونظر، فالمدرسة كما ذكرنا بنظامها الكامل لايمكن أن تكون حادثاً قد وقع بعد القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى بل علينا أن نعترف أولاً أن المدرسة جاءت كنتيجة لمراحل مختلفة، تطورت خلالها المؤسسة التعليمية حتى بلغت تمامها بالشكل الذى عرف بين المؤرخين بالمدرسة وفيما يلى عرض لأهم تلك المراحل.

أولاً: المسجد

ينبغى علينا أن ننتبه إلى حقيقة هامة مؤداها أن المسجد كان المؤسسة الأولى فى الدولة الإسلامية، وتركزت فيه معظم أنشطة الدولة وقد ظل كذلك إلى فترة

---

(١) الطبرى، المصدر السابق، ج١٠، ص ٨٦.

(٢) المقريزى، الخطط، ج٢، ص ٣٦٣- حسن عبد العال، التربية الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٢٠٩.

بعيدة وكان بمثابة المصدر الذى تفرعت منه المؤسسات المختلفة على كافة المستويات السياسية والحضارية، حدث ذلك بعد أن تعقدت المشكلات والقضايا التى واجهت الدولة الإسلامية، ونتيجة لذلك حدث أن تعقدت الآداة الحكومية مما أدى بالضرورة إلى تخفيف العبء عن كاهل المسجد كى لايطغى ذلك على مهمته الرئيسية التى بنى من أجلها، وهى (الصلاة)، فأخذت تستقل عنه تدريجياً المهام السياسية والحضارية في مؤسسات مستقلة بذاتها، ومن تلك المهام «التعليم»[١]، وعلى الرغم من حدوث ذلك بالفعل إلا أن المسجد ظل محتفظاً بمكانته الأولى لدى المسلمين، إذ كان من الضرورى أن تقام بتلك المساجد حلقات للدرس وذلك على الرغم من توفر المؤسسات التى ظهرت بعد المسجد، والتى يمكنها القيام بتلك المهمة على أفضل وجه[٢] ويرجع ذلك إلى الامتيازات التى ظل المسجد محتفظاً بها عن غيره من المؤسسات الأخرى، كاحتفاظه بإعلان الخطبة للخلفاء والملوك والأمراء والولاه من على منبره، وكخطبة الجمعة، والتى حملت إلى المسجد هيبته السياسية والحضارية معاً، وقد انعكس ذلك على قيمته التعليمية إلى الحد الذى اعتبره ابن الحاج أشمل وأعم وأقنع عن سواه من تلك الناحية[٣].

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور، العلم بين المسجد والمدرسة، أبحاث «ندوة المدارس فى مصر الإسلامية»، المرجع السابق، ص ١٥، ١٦- أحمد فكرى، مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٦٩، ص ١٤٥- أحمد شلبى، التربية الإسلامية نظمها- فلسفتها- تاريخها، ط٦، [illegible]تبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٨، ص ١٣.

(٢) دولت عبد الله، معاهد تزكية النفوس فى مصر فى العصر الأيوبى والمملوكى، مطبعة حسان، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٦٢.

(٣) ابن الحاج (أبو عبد الله محمد)، المدخل، ط١، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة، ١٣٤٨هـ، ج٢، ص ١٠٢ ومابعدها.

ثانياً: دور الكتب :

من المعروف أن المسلمين منذ أقدم العصور، وهم مولعون باقتناء الكتب، وقد ذكرت لنا المصادر التاريخية أخباراً متعددة تؤكد تلك الحقيقة، ولم تكن المكتبات لتلحق بمنازل العلماء والمثقفين فحسب، بل أنها تعدت وجودها إلى قصور الخلفاء ثم إنها بعد ذلك صارت علامة رئيسية ومميزة للمساجد[1]، ولسنا فى معرض الحديث عن تلك الظاهرة بأكثر ما يهمنا مما نتج عن ذلك من ظهور مؤسسات تعليمية متطورة، ويعود أصلها فى الواقع إلى تلك الظاهرة إلا أنها أثرت وبشكل واضح على تاريخ المؤسسات التعليمية، وتطورها فى العالم الإسلامى ولانستطيع أن نتجاهلها، وأول ما يمكن الإشارة إليه فى ذلك ما أورده ياقوت الحموى من أن (على بن يحيى بن المنجم)[2] "قد عمل خزانة كتب عظيمة، وكان ذلك حوالى منتصف القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى وسماها خزانة الحكمة، وكان يقصدها الناس فى كل بلد فيقيمون فيها ويتعلمون فيها صنوف العلم، والكتب مبذولة لهم، والصيانة مشتملة عليهم، والنفقة فى ذلك من مال على بن يحيى بن

(١) آدام ميتز، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، نقله إلى العربية: محمد عبد الهادى أبو ريدة، الناشر : دار الكتاب العربى، بيروت، ط٤، ١٣٨٧هـ، ج١، ص ٣٢٤- أحمد شلبى، المرجع السابق، ص ١٤١.

(٢) على بن يحيى بن المنجم: أبو الحسن كان أبوه يحيى أول من خدم من آل المنجم وأول من خدم المأمون ونادم إبنه (على) هذا المتوكل وكان من خواصه وندمائه المتقدمين عنده وخص به ومن بعده من الخلفاء إلى أيام المعتمد على الله وكان شاعراً راوية علامة إخبارياً. مات سنة خمس وسبعين ومائتين.

ياقوت الحموى (إبن عبد الله الرومى ت (٦٢٦هـ-١٢٢١م) معجم الأدباء، دار الفكر. ط٣، القاهرة (١٤٠٠هـ-١٩٧٩م)، ج١٥، ص ١٤٤.

المنجم[١]"، وهى بذلك المعنى لا ينقصها سوى المعلم كى تصبح مدرسة على حد قول «أحمد شلبى»[٢].

وعلى الجانب الآخر فقد أوردت لنا الروايات التاريخية أخباراً عن دور أخرى للكتب توفر فيها المعلمون إلا أن ذلك لم يكن بشكل منتظم، ففى أثناء كلام المقدسى عن مدينة «رامهرمز»[٣] يتحدث عن دارى كتب هامتين فيقول «وبها- أى رامهرمز- دار كتب كالتى بالبصرة[٤] والداران فيهما إجراء على من قصدهما ولزم القراءة والنسخ»، ثم قال المقدسى بعد ذلك عن خزانة الكتب التى بالبصرة "أنها كانت أكبر وأعمر كتباً من التى «برام هرمز» كما تميزت عنها أيضا بميزة أخرى، وهى أن بها شيخاً يقوم بتدريس علم الكلام على مذهب المعتزلة[٥]".

وعلى ذلك فالأصل فى نشأة دور الكتب من وجهة نظر الباحث راجع إلى أمور أولها حب الكتاب والرغبة فى اقتنائه وقد أدى ذلك بالضرورة إلى احترامه ومحاولة فهمه، وكلما زادت الرغبة فى ذلك زاد من شأن الكتاب حتى صار له بيتاً يقصده الناس، ولما كان من العجز فهم الكتاب بغير معلم فقد حرص أصحاب تلك البيوت أو الدور على توفير المعلمين فى بعض الأحيان، وتعتبر دورالكتب بمثابة مرحلة تمهيدية لدور العلم.

---

(١) ياقوت الحموى، معجم الأدباء، ج١٥، ص ٣٢٥.
- أحمد شلبى، المرجع السابق، ص ١٤٠.

(٢) أحمد شلبى، نفسه، ص ١٤٠.

(٣) رامهرمز: هى من بين مدن خوز إستان تجمع النخل والجوز والاترنج وليس ذلك يجتمع بغيرها من مدن خوز إستان.
- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٣، ص ١٧.

(٤) وهى من أشهر مدن العراق بعد بغداد
ياقوت الحموى، نفسه، جـ ٤٣٠١.

(٥) المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد)، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ليدن، ١٩٠٦، ص ٤١٣.

ثالثاً: دور العلم:

يطالعنا المؤرخون منذ عصور الإسلام الأولى بأخبار مفادها أن دوراً قد أقيمت وخصصت من أجل التعليم، فمن ذلك ما رواه المقريزى عن الواقدى من "أن عبد الله بن أم مكتوم(١) قدم مهاجراً إلى المدينة مع مصعب بن عمير(٢) رضى الله عنهما، وقيل نزل بعد بدر بيسير فنزل دار القراء(٣)"، إلا أنه لاتوجد أى معلومات

---

(١) هو عبد الله بن أم مكتوم الأعمى القرشى العامرى لم يختلفوا أنه من بنى عامر بن لؤى وأما أمه أم مكتوم. عاتكة بنت عبد الله بن عنكبة بن عامر بن مخزوم، واختلفوا فى اسم أبية فقال بعضهم هو عبد الله بن زائدة بن الأصم وقال آخرون هو عبد الله بن قيس بن مالك بن الأصم بن رواحة بن صخر بن عبد الله بن عامر بن لؤى القرشى العامرى كان قديم الإسلام بمكة وهاجر إلى المدينة واختلف فى وقت هجرته إليها فقيل كان ممن قدم المدينة مع مصعب بن عمير قبل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال الواقدى: قدمها بعد بدر بيسير؟ نزل بدار القراء وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما قدم المدينة يستخلفه عليها فى أكثر غزواته وكان يؤذن لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع بلال وشهد القادسية.

- ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن)، صفوة الصفوة، ضبطها وكتب هوامشها: إبراهيم رمضان وسعيد اللحام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٩م، ج٢، ص ٢٩٧.

(٢) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف القرشى من بنى عبد الدار، صحابى شجاع من السابقين إلى الإسلام، أسلم فى مكة وكتم إسلامه فعلم به أهله فأوثقوه وحبسوه فهرب مع من هاجر إلى الحبشة ثم رجع إلى مكة وهاجر إلى المدينة فكان أول من جمع الجمعة فيها، وعرف فيها بالمقرئ وأسلم على يده اسيد بن حضير وسعد بن معاذ وشهد بدراً وحمل اللواء بأحد فأستشهد.

- ابن الأثير (عز الدين بن الأثير)، أسد الغابة فى معرفة الصحابة، دار التعاون، القاهرة، ط٤، ١٩٦٤م، ج٤، ص ٣٦٨.

(٣) المقريزى، الخطط، ج٢، ص ٣٦٢.

عن تلك الدار بعد ذلك، ويبدو من تسميتها أنها أعدت للمشتغلين بقراءة القرآن وحفظه.

ولاريب أننا لانستطيع أن نتتبع دور العلم التى أنشأت منذ ذلك الوقت بقصد حصرها ولكن ما يهمنا فى ذلك المقام ما طرأ على شكل وجوهر المؤسسة التعليمية من تطوير وتغير، وهل أدى ذلك بالضرورة إلى تطوير لاحق لتلك المرحلة نستطيع به تأييد آراء بعض الباحثين من أن المدرسة قد أخذت فكرتها من دار العلم(١).

والذى يتابع ما ورد من أخبار تلك الدور يجد فيها ما يؤيد ذلك، ويستفاد من النص السابق للمقريزى عن مؤسسة المعتضد أنها فى عداد دور العلم، وإن كانت لم تتم فإنها عبرت عن مرحلة متقدمة جدا من المراحل التى مرت بها المؤسسة التعليمية فى التاريخ الإسلامى، حيث أنها احتوت على معظم ما ميز المدرسة عن غيرها من المؤسسات ويدل مجرد إسم هذه المؤسسات على الفرق بينها وبين دور الكتب القديمة، فكانت دار الكتب قديماً تسمى (خزانة الحكمة)، وهى خزانة كتب ليس غير، أما المؤسسات الجديدة فتسمى دور العلم وخزانة الكتب جزء منها(٢).

وفى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى أخذت دور العلم فى الانتشار فى العالم الإسلامى حيث أصبحت المؤسسة العلمية أشد تخصصاً ومركزاً للاشعاع الفكرى، ولذا فقد وجدنا أن المعاهد العلمية التى ظهرت فى تلك المرحلة قد واكبت الحركة الفكرية فى العالم الإسلامى منقسمة على نفسها إلى فكر شيعى وفكر سنى، وبدأت تظهر فى ذلك الوقت دور العلم على المذهبين الشيعى والسنى لأن الفكر الدينى فى تلك المرحلة كان دعامة رئيسية من دعائم الحكم والسياسة، وقد حرص مؤسسوا تلك المعاهد على أن يوفروا لها سبل النجاح فأوقفوا لها الأوقاف المناسبة

---

(١) سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٦م، ج١، ص١٨.

(٢) آدام ميتز، المرجع السابق، ج١، ص ٣٣٠.

للصرف عليها .كما أنهم قاموا بتخصيص الجرايات[١] للقائمين على تلك المعاهد من مدرسين وغيرهم، ومن الطبيعى أن يحدث ذلك الأثر بداية على يد الشيعة[٢]، ويرجع ذلك إلى أهمية العلم لديهم باعتباره السلاح الذى يشهرونه فى وجه خصومهم من أهل السنه، ويلاحظ أن المنهج الذى اتبعه ولاة الشيعة فى تلك المرحلة قد انتهى بهم إلى إعلان الخلافة الفاطمية فى مصر فى منتصف القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى، وقد أدى ذلك التطور من وجهه نظر الباحث إلى تباين ملحوظ بين فرق السنة الأربعة، وقد انعكس ذلك التباين على الخريطة السكانية للعالم الإسلامى، وليس ذلك فحسب بل وجدنا الحكومات الإسلامية تتعصب لمذهب دون الآخر، وقد أثر ذلك على المؤسسات العلمية بطبيعة الحال حيث صار كل واحد منهم على حدة يتخصص فى دراسة مذهب من مذاهب أهل السنة الأربعة دون الآخر وقد حاول أصحاب كل طائفة نشر مذهبهم من خلال تلك المؤسسات.

رابعاً: الخان :

استخدم الخان فى العصور الإسلامية كمكان لاستضافة التجار والأجانب، وإيوائهم داخل المدن وعلى الطرق والمفاوز، وعلاوة على ذلك فقد كان له استخدام آخر كداخلية للطلبة الغرباء عن المدينة والمترددين على دروس الفقه فى مساجدها[٣]، وكان كل خان على حدة موقوفاً على طائفة بعينها من طوائف الفقهاء.

---

(١) مفردها جرايا وهى الجارى من الرواتب وهى فى علم الاقتصاد نظام يحدد مايستهلكه الفرد من بعض السلع.
ابراهيم أنيس - المعجم الوسيط - الطبعة الثالثة - القاهرة - ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

(٢) حسن أمين، المسجد المعهد الأول، ص٢٥، ٢٦- آدام ميتز، المرجع السابق، ج١، ص ٣٣٠.

(٣) ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٢، ص ٣٤١- ابن الجوزى، المنتظم، ج١٥، ص ١٠٥.

وقد أوردت المصادر التاريخية أخباراً عن الخانات تفيد بأسبقيتها عن المدارس، فمن ذلك ما رواه الهمذانى من أن دعلج بن أحمد بن دعلج[1] المحدث كان قد أنشأ خاناً ببغداد وأوقفه على أصحاب الشافعى، وكان ذلك فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى[2]، ومن ذلك أيضا ما رواه إبن الجوزى فى (المنتظم) عند الحديث عن «بدر الدين بن حسنوية بن الحسين»[3] ت (٤٠٥هـ-١٠١٤م)، أحد أهم عمال عضد الدوله البويهى من أنه استحدث فى أعماله ثلاثة ألف مسجد وخان للغرباء[4].

وقد حدث ذلك بالقطع قبل السنة ٤٠٥هـ-١٠١٤م، وقد استمرت الخانات بعد ظهور المدارس، ومن ذلك ما رواه ابن الأثير عند الحديث عن الفتنة التى دارت

---

(١) أحد شيوخ الحديث فى زمانه مولده فى حدود السنة ٢٥٩هـ-٨٧٣م وطاف بالبلاد فى طلب العلم وكان وفاته سنة ٣٥١هـ-٩٦٢م.

- الذهبى (شمس الدين محمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ-١٣٧٤م)، سير اعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد معروف، ومحى هلال السرحان. مؤسسة الرسالة. بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ج١٦، ص ٣٠ ومابعدها.

(٢) الهمذانى (رشيد الدين فضل الله ت (٨١٧هـ- ١٣١٨م)، تكملة تاريخ الطبرى، تحقيق : ألبيُر يوسف كنعان، بيروت، ١٩٦١، ص ٧٢.

- أيمن فؤاد سيد، المدارس فى مصر قبل العصر الايوبى، ص ٩٣.

(٣) هو: بدر بن حسنويه بن الحسين أبو النجم الكروى كان من أهل الجبال وولاه عضد الدوله الجبال وهمذان ودينور ونهاوند وسابور وتلك النواحى بعد وفاه أبيه حسنويه وكان شجاعاً عادلاً كثير الصدقات والخليفه القادر كناه أبا نجم ولقبه ناصر الدوله وعقد له لواء بيده.

- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ-١٤٦٩م) النجوم الزاهره فى ملوك مصر والقاهرة. دار الكتاب. القاهرة ١٩٣٩م، ج٤، ص ١٣٧.

(٤) ابن الجوزى، المنتظم، ج١٥، ص ١٠٥- أيمن فؤاد سيد، المدارس فى مصر قبل العصر الايوبى، ص ٩٣.

بين أهل السنة والشيعة ٤٤٣هـ-١٠٥١م، من أن أهل الكرخ[١] قصدوا خان الفقهاء الحنفية فنهبوه وقتلوا مدرس الحنفية «أبا سعد السرجى»، وأحرقوا الخان ودور الفقهاء[٢] فالخان على ذلك عرف قبل المدرسة واستمر بعدها، والمعروف أن المدارس كانت قد لحق بتصميمها المعمارى دور أو مساكن للطلبة والمدرسين، وهو الأمر الذى جعل بعض الباحثين يعتقد أن الخان يعتبر مرحلة انتقال هامة بين المسجد والمدرسة[٣].

ولاشك أن الخان كان له أثر كبير فى تطوير شكل المؤسسة العلمية إلا أننا لانستطيع أن نجزم بأن ذلك الأثر كان مباشراً ولاتوجد أى معلومات لتأييد ذلك.

خامساً: الخوانق :

قال المقريزى أن الخوانق حدث عملها فى الإسلام خلال القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى، وهى بيوت أعدها الصوفية لكى يخلوا فيها إلى عبادة الله تعالى بكل ما تحمله تلك الكلمة من معنى[٤] وهذا هو المعروف والمعتمد، إلا أن بعض

---

(١) الكرخ: أمر ببنائها أبو جعفر المنصور وكانت أولاً فى وسط بغداد والمحال حولها أما بعد ذلك فهى محلة وحدها مفردة فى وسط الخراب وحولها محال إلا أنها غير مختلطة بها فبين شرقها والقبلة محلة باب البصرة وأهلها كلهم سنية حنابلة لايوجد غير ذلك.
- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٤، ص ٤٤٨.

(٢) ابن الأثير (عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم)، الكامل فى التاريخ، دار صادر بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٦هـ، ج٩، ص ٥٧٧.

(٣) أيمن فؤاد سيد، المدارس فى مصر قبل العصر الايوبى، ص ٩٣، خوليان ريبيرا، المرجع السابق، ص ٢٥٩.

(٤) المقريزى، الخطط، ج٢، ص ٤١٤.

الباحثين رأوا غير ذلك إذ أرخوا لظهور الخوانق قبل القرن الرابع الهجرى العاشـــر الميلادى بل قبل ظهور الصوفية(١).

وأول ما يتبادر إلى الذهن أن الخوانق جاءت محاكية لبيوت الرهبنة عند اليهود والنصارى(٢)، والحق أن أول ظهور لتلك المؤسسات فى الإسلام يعود إلى ماقبل القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى بكثير(٣)، فقد حكت لنا المصادر التاريخية عن طائفة تسمى الكرامية تنسب لمحمد بن كرام ت: ٢٥٥هـ-٨٦٩م(٤) أخباراً مفادها أنهم قد أنشأوا كثيراً من تلك المؤسسات(٥).

---

(١) آدم ميتز، المرجع السابق، ج٢، ص ٢٩.

(٢) دم ميتز، نفسه، ص ٢١.

(3) Zaky. Hassan, MoslIm Egypt and its Contribution to Islamic Civilization, Found I University Press, Cairo, 1949, p. 124.

(٤) هو أبو عبد الله بن كرام بن عراق السجزى وهو من المشبهة أو المجسمة الذين يرون أن الله جوهر وله جسم وكان قد أثبت الصفات حتى إنتهى فيها إلى التجسيم والتشبيه، وحج وقدم الشام ومات سنة خمس وخمسين ومائتين ودفن بالقدس وكان هناك من أصحابه زيادة على عشرين ألفاً على التعبد والتقشف سوى من كان منهم ببلاد الشرق وهم لايحصون لكثرتهم وقد تميزت هذه الطائفة بخاصية ملحوظة إذ كان الكثير من أتباعها يعيشون حياة زاهدة ويقيمون فى خلوات شيدت لذلك وفى نهاية القرن الرابع كانوا يملكون زوايا لاتحصى فى فرغانة وهيطل وسمرقند وديار بكر وجرجان وطبرستان وحتى فى بيت المقدس وفى القاهرة حيث يسكنون من الفسطاط حياً خاصاً بهم فيما يبدو وفى هذه الزوايا تعودوا أن تكون لهم مؤسسات يدرسون فيها العقائد بصفة خاصة.

- الشهرستانى (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم)، الملل والنحل، تحقيق : محمد سيد كيلانى، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ، ج١، ص ١٠٨ ومابعدها- المقريزى، الخطط، ج٢، ص ٣٥٧- أيمن فؤاد سيد، المدارس فى مصر قبل العصر الأيوبى، ص ٩٥- خوليان ريبيرا، المرجع السابق، ص ٢٧٤، ٢٧٥.

(٥) المقدسى، المصدر السابق، ص ٣٢٣، ٣٥٦.

والذى يهمنا فى ذلك الموضوع هو تحديد موقع الخوانق بين المؤسسات التعليمية والحق أننا نستطيع أن نقرر بأن الخوانق جاءت متقدمة عن سواها من المؤسسات الأخرى التى سبقتها ، من ناحية الشكل والمضمون بحيث أنها أصبحت مهيأة تماما لتحقيق الغرض التعليمى الذى أنشأت من أجله الخوانق، والتى تعد وبحق المرحلة التمهيدية لظهور المدارس بعد ذلك.

فتعتبر الخانقاه والمدرسة نوعان من المؤسسات الدينية التى تميل إلى الجمع بين عناصر المعمار المدنى والدينى، فمن المسجد أخذوا اتجاه القبلة نحو مكة بالإضافة إلى وجود مأذنة ومن المعمار المدنى أخذوا وحدات الإعاشة والمطابخ، ومثل الخانقاه كانت المدرسة مؤسسة ترعاها الدولة وتزود مقيميها بالمأوى والطعام بالإضافة إلى راتب شهرى فموظفى وواعظى المستقبل كانوا يتعلمون القانون الإسلامى الراشد وعلوم التصوف من خلال جدول منتظم من المحاضرات.

وبالرغم من أوجه التشابه بين المدرسة والخانقاه إلا أنه فى المرحلة الأولى من تاريخهما أوجدت المؤسستان عناصر تعكس التمييز فى الهدف فى حياة مجتمعاتهما ، وبهذه الطريقة تأثرت معاملة وحدات الإعاشة على وجه الخصوص فعكس الصوفيين الذين أقاموا فى الخانقاه على أسس عادلة دائمة، فإن طلاب المدرسة كانوا متنقلين، فمستقبل الدارس كان مرتبط بإكماله للمقررات فى مواد معينة مع مدرسين متخصصين الذين كان منوط بهم إصدار (الإجازة) أو التصريح الأكاديمى لكل مادة(١).

---

(1) Behrens- Abouseif, Change in Function and form of Momlouk Religious institutions, Annales Islamologiques, Institute Francais D'Archeologie Orientale Du Caire, 1985, p.p. 75, 76.

- Hill Derek , Islamic Architecture And Its Decoration, Faber And Faber, London, 1958, p.p. 42, 43.

سادساً: المدرسة :

حاول الكثير من الباحثين التأريخ لنشأة المدارس فى الإسلام بالبحث فى الأصل اللغوى لكلمة «مدرسة»(١)، ولم يكن أمامهم سوى رد الكلمة إلى أصلها الثلاثى «درس»، إلا أنهم وجدوا لنفس الكلمة معان متباينة لم يستطيعوا الربط بينها حتى أن أحدهم ولنفس السبب رد الكلمة إلى أصل عبرى(٢)، والذى يثير الدهشة فى ذلك الرأى هو أن صاحبه قد اتفق مع ما ورد فى المعاجم اللغوية من أن الكلمة (درس) بمعنى اندثر وامحى قديمة فى اللغة العربية، ولها وجود بذلك المعنى فى الشعر الجاهلى ثم أنه ولمجرد ورود الكلمة (درس) فى العبرية بمعنى قرأ إعتبرها عبرية ذلك على الرغم من أنه جاء بدليل يؤيده، فأخل به حيث ذكر أن (درس) فى كل اللغات السامية بمعنى فحص أو اجتهد(٣)، ونسى أن اللغة العربية إحدى هذه اللغات(٤) ولم يكن ليعطينا بعد ذلك أى دليل على رأيه.

والواقع أننا لايهمنا فى ذلك المقام سوى إيراد ما جاء به اللغويون من أنه «درس الكتاب يدرسه درساً» ودراسة ودارسه بمعنى عاود الكتاب قراءة فيه حتى إنقاد لحفظه»(٥)، ومعنى ذلك أن الكلمة لها علاقة بالعملية التعليمية إلا أنه لا

(١) سعيد إسماعيل على، معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص ٣٦٤.

(٢) محمد عبد الرحيم غنيمة، المرجع السابق، ص٦٤ ومابعدها.

(٣) نفس المرجع السابق، ص ٦٥.

(٤) عبد القادر مصطفى المغربى، الاشتقاق والتعريب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٣٦٦هـ، ص ١٦ ومابعدها.

(٥) ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، الناشر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، (د.ت)، ج٧، ص ٣٨٢- الفيروز أبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، مؤسسة الحلبى للتوزيع والنشر، القاهرة، د.ت، ج٢، ص ٣١٥.

المساجد وذكر فـي الجوامع واختلف إلى المدارس[١]"، كما قال المقدسي في وصف مدينة الرى[٢]: "الرى بلـد جليل وبه مجالس ومدارس[٣]"، ووصف مدينة إيرانشهر بقوله "إيرانشهر هو مصر الجانب وقصبة نيسابور وهو بلد الأجلة والراسخين من الأئمة وبه أسواق فسيحة ومجالس أليفة ومدارس رشيقة[٤]".

والذى يرجح أن كلمة «مدارس» في النصوص السابقة جاءت جمعاً لكلمة «مدرسه لا مدرس». ما جاء في المصادر التاريخية بعد قليل من هذا التاريخ- أى (٣٧٥هـ-٩٨٥م)- عن محمد بن عبد الله بن حمشاد[٥]، والذى قال عنه السبكى "أنه ظل ملازما لمسجده ومدرسته إلى أن مات فـي سنة (٣٨٨هـ-٩٩٨م)[٦]"،

---

(١) المقدسى، المصدر السابق، ص٤٤- أحمد فكرى، مساجد القاهرة، ج٢، ص ١٥١.

(٢) وهى: مدينة مشهورة بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً افتتحها المسلمون قديما سنة (٢٠هـ-٦٤٠م)في خلافه عمر بن الخطاب واعيد بناؤها سنة ١٥٨هـ-٨٦٥م في خلافة المهدى.

- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٣، ص ١١٦.

(٣) المقدسى، مصدر سابق، ص ٣٩.

(٤) المقدسى، مصدر سابق، ص ٣١٤-٣١٦.

(٥) وهو محمد بن عبد الله بن حمشاد الاستاذ أبو منصور العشماوى مولده سنة (٣١٦هـ-٩٢٨م) وتفقه بخراسان والعراق ودخل الحجاز واليمن وأدرك الأسانيد العالية وقرأ علم الكلام وكان من المجتهدين فى العباده والزاهدين فى الدنيا وتخرج به جماعة من العلماء والواعظين وظهر له مصنفات أكثر من ثلاثمائه كتاب مصنف توفى سنة (٣٨٨هـ-٩٩٨م).

- السبكى (تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود الطناحى، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٢، ج٣، ص١٧٩.

(٦) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٣، ص ١٧٩.

إلى الأمير ناصر الدولة أبى الحسن محمد بن إبراهيم، وإلتمسنا منه المراسلة فى توجهه أى -ابن فورك- إلى نيسابور فبنى له الدار والمدرسة من خانقاة كانت بنيسابور وأحيا الله به فى بلدنا أنواعاً من العلوم لما استوطنها وظهرت بركته على جماعة من المتفقهة وتخرجوا به[١]"، وتعود أهمية ذلك النص إلى ماورد فيه من أن مدرسة إبن فورك فى أصلها خانقاه تحولت إلى مدرسة ويحيلنا ذلك إلى سؤال هام:-

- هل كانت المدرسة تطوراً لنظام الخوانق ؟

باعتبار ما أورده السبكى غير مهملين بالطبع ما أورده غيره من المؤرخين فيما بعد من أن منشآت أخرى غير الخوانق قد تحولت إلى مدارس، ومثل ذلك نجده فيما رواه (ابن شداد) من حوادث السنة (٥٨٩هـ-١١٩٣م)عن (صلاح الدين) "لما رحل إلى القدس فى رابع شهر رمضان وتفقد أحواله وأمر بتسديد أسواره وزاد فى وقف المدرسة التى عملها بالقدس وهذه المدرسة كانت تعرف قبل الإسلام «بصندحنة»، يذكرون أن فيها قبر أم السيدة مريم العذراء ثم صارت فى الإسلام دار علم قبل أن يمتلك الإفرنج القدس، ثم لما ملكها الإفرنج أعادوها كنيسة كما كانت قبل الإسلام فلما فتح صلاح الدين القدسى أعادها مدرسة[٢]"، ولايفوتنا فى ذلك المقام ما أورده (ريبيرا) عن فرقة الكرامية باعتبار أن مؤسساتها التعليمية

---

(١) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص ١٢٨.

(٢) ابن شداد (القاضى بهاء الدين)، سيرة صلاح الدين المعروف بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، وفى زيله منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماة تاج الدين شاهنشاه بن أيوب، الناشر: دار الفرجان، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٢٧٢، ٢٧٣- الحنبلى (أحمد إبن إبراهيم)، ت: (٨٧٦هـ-١٤٧١م)، شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب، تحقيق: مديحة الشرقاوى، مطبعة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ١٨١.

(الزوايا والخوانق) كانت أقرب المؤسسات إلى المدارس[١]، وقد اعتبر ريبيرا ما ذكره (ابن الأثير) في الفتنة التي جرت سنة (٤٨٨هـ-١٠٩٥م) ببغداد بين الكرامية وسائر الطوائف من أهلها لأوضح دليل على مادعى إليه، إذ يذكر «ابن الأثير» "أن الظفر كان لسائر الطوائف على الكرامية فخربت مدارسهم، وقتل كثير منهم ومن غيرهم[٢]" ومن جهة أخرى فقد أيد «ريبيرا» وجهة نظره هذه بما ورد عن «ابن فورك» من أخبار تفيد بأنه كان أشد الناس عداوة للكرامية حيث قال وبالحرف الواحد "ألا يمكن إذاً أن نفترض أن المدرسة التي أسست لابن فورك المجادل والمقاتل بعنف ضد الكرامية أقيمت على هيئة المدارس التي كانت قائمة في زوايا أعدائهم[٣]"، وعلى الرغم من ذلك لم نجد أحداً من الباحثين يتفق مع ما ذهب إليه ريبيرا، واعتبروا أنه لابرهان له على ذلك[٤].

والحق أن ما قاله ريبيرا يعد جزءاً من حقيقة مؤداها أن المؤسسة التعليمية الجديدة، والتي أطلق عليها كلمة مدرسة، جاءت لتشمل كل ما يميز المؤسسات التعليمية الأخرى التي سبقتها في مؤسسة واحدة، والتي حرص مؤسسوها على أن يحققوا لها تميزها واستقلالها عن بقية المؤسسات التعليمية الأخرى والواقع أنهم نجحوا في ذلك القصد، لاسيما إذا علمنا أن المدارس قد ارتبطت نشأتها بالفقه السني وليس معنى ذلك أن المدرسة في أصلها ابتكار سني بل إن الذي حدث بالفعل أن المذاهب الفقهية الأربعة المعروفة لأهل السنة، وهي الحنفية، والمالكية،

---

(١) خوليان ريبيرا، المرجع السابق، ص ٢٧٦.

(٢) ابن الأثير،الكامل في التاريخ، ج١٠، ص ٢٥١.

(٣) خوليان ريبيرا، المرجع السابق، ص ٢٧٦.

(٤) آدم ميتز، المرجع السابق، ج١، ص ٣٣٧- أيمن فؤاد سيد، المدارس في مصر قبل العصر الايوبي، ص ٩٥.

والشافعية، والحنبلية أخذت فى تباين ملحوظ مع مطلع القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى حتى أننا لنجد أنفسنا خلال القرن الرابع الهجرى /العاشر الميلادى أمام دول بأكملها قد مالت لتأييد مذهب دون بقية المذاهب الأخرى، وقد ظل ذلك فى تزايد مستمر حتى انعكس أثره على المتغيرات السياسية والحضارية، ولأن الفقه أصله العلم فقد كان من الطبيعى أن نجد المؤسسات التعليمية قد انحازت كل واحدة منها لدراسة مذهب بعينة دون بقية المذاهب الأخرى ذلك بشرط واقف المؤسسة نفسها، ولذا فإن الدراسة تميل إلى اعتبار شرط الواقف هو الذى يحدد طبيعة المؤسسة التعليمية، وما إذا كانت مدرسة أو سواها من المؤسسات الأخرى أى أن أهل السنة وبمعنى أكثر وضوحاً قد أطفوا على المؤسسات التعليمية سماتا واضحة فى الحركة الفكرية فى العالم الإسلامى بتخصيصها لدراسة الفقه، وما يخدمه من علوم لاسيما إذا علمنا أنهم قد حاولوا التأكيد على نجاح تلك المؤسسات فى أداء مهمتها بالاستفادة بما تميزت به المؤسسات الأخرى التى سبقتها، وفى ذلك الإطار لايستطيع الباحث اعتماد ما صدر عن بعض الباحثين من أن الذى ميز المدرسة عن سواها من المؤسسات الأخرى هو مساكن الطلبة الملحقة بالمدارس(١)، وكأنهم لم ينظروا إلا لما زادت به المدرسة عن المسجد متجاهلين فى ذلك الخانات والخوانق ودور العلم والكتب مع أنها كلها تشترك مع المدارس فى الحاق دور ومساكن للطلبة والقائمين عليها وقد كانت أسبق فى الظهور على المدارس، وأما من ناحية الشكل المعمارى فإن الدراسة ترجح أنه لم يكن للمدرسة فى بداية الأمر شكل مستقر، لأننا قد وجدنا مؤسسات أخرى كانت قد تحولت وبشكلها المعمارى إلى مدارس كالخوانق

---

(١) أحمد فكرى، خصائص عمارة القاهرة فى العصر الأيوبى، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م، ج١، ص ١٨٣ ومابعدها.

والكنائس كما رأينا وكما سنرى فيما بعد من دور ومؤسسات أخرى فى مصر على عهد (صلاح الدين) قد تحولت إلى مدارس، وهذا ما يؤكد على حقيقة مؤداها أن الشكل المعمارى للمدارس كان قد أخذ فى التميز والاستقلال عن المؤسسات الأخرى بعد القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى ولم يكن ذلك ليحدث منذ البداية تابعاً لإلحاق دور ومساكن للطلبة بالمدارس(١).

والواقع أن البحث عن أول مدرسة بنيت فى الإسلام أمر عسير وقد انعكست تلك الصعوبة على كتابات بعض الباحثين فأوقعتهم فى خلط كبير فيما ينقلون ويفهمون من النصوص، فى أثناء بحثهم عن أول مدرسة فى الإسلام فمن ذلك ما إعتمدته إحدى الباحثات من أن أول مدرسة فى الإسلام تنسب إلى (أبى حاتم محمد بن حيان البستى)ت : (٣٥٤هـ-٩٦٥م)(٢) وهى تعتمد فى ذلك على نص أوردته نقلاً عن (السمعانى) فى كتاب (الأنساب)، حيث ذكرت "أن أبا حاتم اتخذ من داره مدرسة لأصحابه وأفرد فيها مكانا لسكنى الطلبة الغرباء من أهل الحديث والمتفقهة وأنشأ بها خزانة كتب وأودع بها ما عنده من الكتب، وعين عليها خازناً يقوم بإحضار الكتب لمن يريد القراءة أوالنسخ وشرط عليه ألايخرج منها شيئاً خارج

---

(١) مصطفى عبد الله شيحة، الآثار الإسلامية فى مصر من الفتح العربى حتى نهاية العصر الأيوبى، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٢، ص ١٧.

(٢) وهو: أبو حاتم محمد بن حيان بن معاذ بن معبد بن سعيد بن شهيد التميمى، الامام العلامة الفاضل المتقن، كان مكثراً من الحديث والرحلة والشيوخ، عالماً بالمتون والاسانيد، أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره، سافر مابين الشاش والإسكندرية فى طلب العلم تولى قضاء سمرقند ونيسابور ومدن أخرى ببلاد فارس توفى سنة (٣٥٤هـ-٩٦٥م).

- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج١، ص ٤١٥.

المدرسة كما كان للطلبة الدارسين بها بعض الجرايات الخاصة بنفقتهم[١]"، وبمراجعة كتاب (الأنساب) للسمعانى، وكتب أخرى قد تعرضت لحياة أبو حاتم البستى، فإن الباحث لم يعثر على ذلك النص أو ما يشابهه أو يؤيده ولم يذكر أحداً من المؤرخين إلا سوى ماقيل من بنائه- أى أبى حاتم- لخانقاه بنيسابور وماذكره السمعانى من "أنه- أى أبا حاتم- قد دفن فى بيت فى الصفة التى ابتناها بقرب داره التى هى اليوم مدرسة لأصحابه"، ومعنى الكلام أنها لم تكن كذلك فى حياة أبى حاتم بل فى حياة السمعانى وهو المتوفى سنة (٥٦٢هـ-١١٦٦م)[٢] وأما غير هؤلاء ممن تعرضوا لحياة أبى حاتم البستى فلا نجد سوى ما ذكره (ياقوت الحموى) من أن "أبا حاتم كان قد شيد حوالى سنة ٣٤٠هـ-٩٥٦م) داراً فى بلدة (بست)[٣]، وجعل فيها خزانة كتب وبيوت للطلبة[٤]"، وهى كما نرى لاتتجاوز عن وصفها بدار علم لامدرسة، فلانستطيع إذاً أن نجزم بحقيقة ثابتة بشأن أول مدرسة بنيت فى الإسلام سوى ما أشرنا إليه آنفاً بحدوث ذلك فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى.

وأما ما يمكن التأكيد عليه هو أن المدارس أصبح لها الأثر الكبير فى الحركة الفكرية فى العالم الإسلامى الأمر الذى أدى بكثير من المهتمين بذلك من فقهاء وعلماء ووزراء إلى الحرص على بناء المدارس.

ويلاحظ أن حركة إنشاء المدارس بعد أن بقيت ولمدة معلومة بنيسابور قد انتقلت إلى العراق، بل إلى بقية أنحاء العالم الإسلامى على يد نظام الملك

(١) عفاف سيد محمد صبرة، المدارس فى العصر الأيوبى، أبحاث ندوة المدارس فى مصر الإسلامية، المرجع السابق، ص ١٤٢.

(٢) السمعانى (أبى سعيد عبد الكريم بن محمد)، الأنساب، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودى، دار الجنان، ط١، بيروت، ١٤٠٨، ج١، ص٣٤٨، ٣٤٩- السبكى،طبقات الشافعية الكبرى، ج٣، ص١٣١ ومابعدها.

(٣) وهى من سجستان وهراة من أعمنال كابل.
ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج١، ص٤١٤.

(٤) ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٢، ص١٧١.

السلجوقى[١]، ولذلك السبب قد اعتبره ابن خلكان أول من بنى مدرسة فى الإسلام[٢]، وقد أجهد ذلك القول السبكى فنجده يقول «وقد أدرت فكرى فغلب على ظنى أن نظام الملك أول من قدر المعاليم للطلبة فإنه لم يتضح لى هل كانت المدارس قبله بمعاليم للطلبة أولا والأظهر إنه لم يكن لها معلوم»[٣].

والواقع أن ما توصل إليه السبكى جاء بعد مراجعة للحركة المدرسية قبل نظام الملك ومع ذلك فقد تحفظ فى رأيه إذ جاء على الترجيح، وقد إنتقد أحد الباحثين ما ذهب إليه السبكى فى ذلك باعتبار أن إجراء نظام الملك المعاليم على الطلبة كان قد سبقه إليه العزيز بالله[٤] الفاطمى فى أواخر القرن الرابع الهجرى/

---

(١) وهو قوام الدين أبو على الحسين بن على بن إسحق الطوسى الوزير السلجوقى نظام الملك وزر لألبار سلان الملك السلجوقى وولده من بعده أربعين سنة وكان حسن السيرة فى العلماء فقد بنى لهم المدارس وأنفق عليهم نفقات لاتحصى وكان هو نفسه محباً للعلم فقيهاً شافعياً ساعياً فى نصرة مذهبه وكانت وفاته فى سنة ٤٨٥هـ.

- ابن أسعد اليافعى، مرآة الجنان، ج٣، ص١٣٦.

(٢) إبن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٤٩م، ج٢، ص ١٢٩- صلاح السيد، المرجع السابق، ص٥٨.

- Hill Derek , Op. Cit, p. 42.

(٣) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص ٣١٤- الزركشى (أبو محمد عبد الله٩، إعلام الساجد بأحكام المساجد، ط٢، تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغى القاهرة، ١٤٠٣، ص ٣٢، ٣٣.

(٤) هو نزار أبو منصور العزيز بالله بن المعز لدين الله أبى تميم معد بن المنصور بالله أبى طاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن المهدى أبى محمد عبيد الله الفاطمى المغربى ثم المصرى ثانى خلفاء مصر من الفاطميين تولى الحكم فيها بعد أبيه وكانت مدة خلافته ٢١ سنة فيما بين سنتى ٣٦٥هـ-٣٨٦هـ.

- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٤، ص ١١٢.

العاشر الميلادى، مع الفقهاء الذين كانوا يتحلقون فى الجامع الأزهر بالقاهرة(١)، والحق أن السبكى كان قد أطلق ترجيحه هذا على المدارس لا على غيرها من المؤسسات الأخرى وأما غير ذلك من الباحثين فقد اعتبر أن نظام الملك كان بداية تبنى الحكومات لحركة إنشاء المدارس، وأما ما قبله فإنها لم تعد عن كونها جهود أهلية ضعيفة التأثير(٢).

ولا ريب أن معاصرة الأحداث وتدوينها لتصل إلينا شاهدة عليها لهو الأقرب والأوضح فهذا (أبو بكر الطرطوشى) تّ: (٥٢٠هـ-١١٢٦م)، يدون لنا فى كتاب (سراج الملوك) عن مولد المدرسة النظامية رواية مؤداها "أن رجلا قصد نظام الملك يقال له أبو سعيد الصوفى فقال له ، يا خواجا أنا أبنى لك مدرسة ببغداد مدينة السلام ولايكون فى معمور الأرض مثلها يخلد بها ذكرك إلى أن تقوم الساعة قال افعل وكتب إلى وكلائه ببغداد أن يمكنوه من الأموال فابتاع بقعة على شاطئ دجلة وخط المدرسة النظامية وبناها أحسن بنيان وكتب عليها إسم نظام الملك وبنى حولها أسواقاً تكون محبسة عليها وابتاع ضياعاً وخانات وحمامات أوقفت عليها فكملت لنظام الملك بذلك رياسة وسؤدد، وكان ذلك سنة (٤٥٠هـ-١٠٥٨م) ثم رفع حساب النفقات إلى نظام الملك فبلغ مايقرب من ستين ألف دينار ثم نما الخبر إلى نظام الملك من الكتاب وأهل الحساب أن جميع ما أنفق فيها نحوتسعة عشر ألف

---

(١) أيمن فؤاد سيد، المدارس فى مصر قبل العصر الايوبى، ص ٩٦.

(٢) محمد عبد الرحيم غنيمة، المرجع السابق، ص٧٣ ومابعدها- صلاح السيد، المرجع السابق، ص ٩٥- أحمد عزت عثمان، التربية والمجتمع المصرى فى العصر الأيوبى، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ١٩٨٢، ص ٤٠٣.

دينار وأن سائر الأموال احتجبها لنفسه وخانك فيها فدعاه نظام الملك إلى أصبهان[1] للحساب فلما أحس أبو سعيد الصوفى بذلك أرسل إلى الخليفة أبى العباس يقول له هل لك من أن أنشر لك فخرا لا تمحوه الأيام، قال: ماهو؟ قال نمحو اسم نظام الملك عن هذه المدرسة ونكتب عليها اسمك وتزن له ستين ألف دينار، فأرسل إليه الخليفة يقول له إبعث إلينا من يقبض المال فلما استوثق منه مضى إلى أصبهان فقال له نظام الملك إنك قد رفعت إلينا نحو ستين ألف دينار نفقة واجب إخراج الحساب فقال له (أبو سعيد) لا تطل الخطاب وإلا محوت اسمك المكتوب عليها وكتبت عليها اسم غيرك وأرسل معى من يقبض المال فلما أحس نظام الملك بذلك قال ياشيخ قد سوغنا لك جمع ذلك كله ولا تمح اسمنا ، ثم أن أبا سعيد بنى

---

(١) مدينة أصبهان: منهم من يفتح الهمزة وهم الأكثر وكسرها الآخرون منهم السمعانى وأبو عبيد البكرى الأندلسى وهى مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، وأصبهان: اسم للإقليم بأسره وهى من نواحى الجبل فى أخر الإقليم الرابع طولها ست وثمانون درجة وعرضها ستة وثلاثون درجة تحت اثنتى عشر درجة من السرطان يقابلها مثلها من الجدى، قال إبن الكلبى: سميت بأصبهان بن فلوج بن سام بن نوح عليه السلام، قال إبن دريد: أصبهان إسم مركب لأن الأصب البلد بلسان الفرس وهان إسم الفارس فكأنه يقال بلاد الفرسان، قال عبيد الله المستجير: إن الأصب بلغة الفرس هو الفرس وهان كأنه دليل الجمع، قال حمزة بن الحسن: أصبهان إسم مشتق من الجندية وذلك أن لفظ أصبهان إذا رد إلى اسمه بالفارسية كان أسباهان وهى جمع أسباه وأسباه اسم للجند والكلب، وأصبهان صحيحة الهواء نفيسة الجو خالية من جميع الهوام، لاتبلى الموتى فى تربتها ولا تتغير فيها رائحة اللحم والميت فيها على حاله لم يتغير.

- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج١، ص ٢٠٦-٢٠٨.

بتلك الأموال الرباطات للصوفية، واشترى الضياع والخانات والبساتين والدور، وأوقف جميع ذلك على الصوفية(١)".

والذى يراجع ذلك النص يتبين له أن صاحب الفضل الحقيقى فى إنشاء المدرسة النظامية كان رجلا صوفيا يدعى «أبا سعيد الصوفى»، وهو مايدعم الرأى الذى ذهب إليه ريبيرا والذى أشرنا إليه آنفا من أن المدارس جاءت كمرحلة تالية للخوانق هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد وضح من النص أن المدرسة النظامية كانت قد اكتسبت شهرتها هذه قبل أن يتسلمها نظام الملك حتى صار الحال إلى من تنسب إليه فخراً يسعى إليه الخليفة والأمير ولو كلفهما ذلك ثلاثة أضعاف ما أنفق عليه، وحقيقة الأمر أن المدرسة النظامية كانت قد اكتسبت أهميتها من أنها ساهمت وبشكل فعال فى الحركة الفكرية والعلمية بل قل إن شئت أنها أحدثت تحولاً فى موازين القوى الفكرية فى العالم الإسلامى، فقد تفوق المذهب الأشعرى(٢) وذلك بفضل إحتضان المدرسة النظامية له.

ولاشك أن الفهم الصحيح للتاريخ الإسلامي فى القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى يجب أن يأخذ فى الاعتبار انتصار الأشعرية وتأييد ودعم

---

(١) الطرطوشى (أبو بكر محمد بن محمد الوليد الفهرى)، سراج الملوك، ط٢، الناشر: دار الكتاب الإسلامى، القاهرة، ١٤١٣هـ، ص٣١٢.

(٢) المذهب الأشعرى (ويقال لأتباعه الأشعرية والأشاعرة) نسبة إلى الإمام أبى الحسن بن اسماعيل الأشعرى المتوفى فى بغداد سنة (٣٢٤هـ-٩٣٥م) مؤسس مدرسة علم الكلام السنى، كان معتزلياً من أبرز تلاميذ أبى هاشم الجبائى شيخ المعتزلة البصريين ولكنه ترك الإعتزال وإتجه إلى مذهب أهل السنة وهو فى الأربعين من عمره سنة (٣٠٠هـ-٩١٣م)، وكان علماء الأشعرية مضطهدين في أول عهد السلاجقة بتحريض من الوزير عبد الملك أبى نصر الكندرى، ولكن خلفه نظام الملك كان يعتنق مذهب الأشعرى فقضى على هذا الاضطهاد.

- الشهرستانى، الملل والنحل، ج١، ص٩٤- أيمن فؤاد سيد، المدارس فى مصر قبل العصر الأيوبى، ص ٩٧، ٩٨.

السلاجقة لهم بحيث أصبحت المدارس النظامية موسسة سياسية تخضع للإشراف الرسمى للدولة لتدريس المذهب الأشعرى، ولم يرتبط هذا النصر وهذه المدرسة فقط بإسم نظام الملك لكن أيضاً بأعلام المذهب الأشعرى «الذين كان لهم تأثير كبير فى قبول المسلمين السنة للمذهب الأشعرى[١]».

وعلي ذلك فيجب أن نعترف بحقيقة هامة وثابتة مؤداها أن المدارس الأولى فى الإسلام كانت قد نشأت فى كنف فقهاء الشافعية بنيسابور ثم إن حركة مدرسية بعد ذلك قد تبنى أمرها الشافعية الأشاعرة على عهد نظام الملك، وذلك فى بغداد وغيرها من المدن ثم إن حركة مدرسية تالية ارتبطت نشأتها بالمذهب الأشعرى في مصر والشام زمن الدولتين (النورية والأيوبية)، ويعود ذلك من البداية إلى أن المذهب الأشعرى الشافعى كان أكثر المذاهب خطورة على المذهب الشيعى لما احتواه من أفكار ومبادئ تكاد تكون متشابهة فى الشكل مع المذهب الشيعى إلا أن الأشاعرة الشافعية كانوا أجدر على الإقناع من نظرائهم من الشيعة، فقد امتلكوا ما يملكون ووقفوا على ماعندهم من علوم وأصول وقد شعر بذلك الشيعة أنفسهم الأمر الذى دفع بهم فى بعض الأحيان للوقوف حيال بناء أى مدرسة لأهل السنة كلما أمكن ولعل أوضح دليل على ذلك ما رواه «ابن الشحنة» فى منتخبتمن وقوف الشيعة فى حلب[٢] حيال بناء المدرسة الزجاجية، والتى أنشأها «بدر الدين أبو ربيع سليمان بن عبد الجبار بن أرتق» صاحب حلب وهى أول مدرسة بنيت بها فيما بين سنتى (٥١٠هـ :٥١٧هـ - ١٠١٦م :١٠٢٣م)إذ "يذكر أنه لما أراد بناؤها لم يمكنه الحلبيون إذ كان الغالب عليهم التشيع فكان كلما بنى فيها شيئاً نهاراً خربـــــوه

(١) أيمن فؤاد سيد، المدارس فى مصر قبل العصر الأيوبى، ص ٩٧.

(٢) وهى البلدة المشهورة ببلاد الشام.

ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٢، ص٢٨٦.

ليلاً فأعياه ذلك، فأحضر (الشريف زهرة بن على بن أبى إبراهيم الإسحاقى الحسينى) ، وإلتمس منه أن يباشر بنائها ليكف العامة عن هدم ما يبنى فباشر الشريف البناء فلازم له حتى فرغ منها ، وكان هذا الشريف من أكابر الأشراف وذوى الرأى والأصالة والوجاهة مقدماً فى بلده يرجع الناس إلى أمره ونهيه، وكان معظم القدر عند الملوك(١)".

وأخيراً فينبغى أن نشير إلى أن الحركة المدرسية فى تلك المرحلة الأخيرة قد امتدت لتشمل كل مذاهب أهل السنة، إلا أن المدارس قد بقيت على الدوام مرتبطة أشد الارتباط بالشافعية الأشعرية، وفى هذا الإطار قد أدخل السلاجقة عن طريق الزنكيين المدارس إلى الشام فى القرن السادس الهجرى /الثانى عشر الميلادى، كمؤسسة قوية للدعاية الدينية والسياسية لنشر المذهب الأشعرى ووجدت هذه السياسة تأييداً واسعاً من نور الدين محمود(٢) خلال مواجهته للصليبيين فى أواسط هذا القرن، فقد أنشأ العديد من المدارس للفقهاء الشافعية فى بلاد الشام رغم كونه حنفيا ، ثم كان لخلفائه الأيوبيين فضلا فى انتقال المذهب الأشعرى إلى مصر، وإدخال المدارس بمعنى الكلمة إليها(٣).

---

(١) ابن الشحنة (أبو الفضل محمد)، الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب، تقديم: عبد الله محمد الدرويش، دار الكتاب العربى، دمشق، (١٤٠٤هـ ١٩٨٤م)، ص ١٠٩، ١١٠.

(٢) وهو نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكى بن آق سنقر صاحب الشام ومصر المعروف بنور الدين الشهيد ولد سنة ٥١١هـ وكان زنكى يقدمه على أولاده وفتح فى أيام سلطته نيفاً وخمسين حصناً ومصر أيضاً من جملة فتوحاته ولولاه ما ملك صلاح الدين مصر من أيدى تلك الرافضة من بنى عبيد خلفاء مصر توفى ٥٦٩هـ.

- إبن تغرى بردى، النجوم الزاهرة ، ج٦، ص ٧١- حسين مؤنس. نور الدين محمود، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ١٨١ ومابعدها.

(٣) أيمن فؤاد سيد، المدارس فى مصر قبل العصر الأيوبى، ص ٩٨.

الفصل الأول

المدارس في مصر في العصر الفاطمي

الفصل الأول
المدارس فى مصر فى العصر الفاطمى

ظلت مصر خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة بعيدة كل البعد عن الصراع الفكرى والمذهبى بين أهل السنة والشيعة، اللهم إلا فى القليل النادر فلم تكن الروايات التاريخية، تكشف لنا عن الوجود الشيعى بمصر خلال تلك الحقبة الزمنية، وقد تتبع المقريزى فى كتاب الخطط تاريخ التشيع فى مصر الإسلامية حتى دخل الفاطميون مصر سنة (٣٥٨هـ-٩٦٩م)، وذكر أن أكثر مسلمى مصر فى هذا العهد كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة، وأن قليلاً منهم كانوا يعتنقون المذهب الشيعى، ولكن هؤلاء الشيعة من المصريين لم يشتركوا اشتراكاً ايجابياً فى حركات فرق الشيعة التى ظهرت فى الأقطار الإسلامية الأخرى، إذ لم يذكر مؤرخوا مصر شيئاً عن صدى حركات الشيعة فى مصر سوى حركة محمد النفس الذكية سنة (١٤٤هـ-٧٦١م)(١) ولكن هذه الحركة سرعان ما خمد أوارها ولم تظهر لها فى مصر نتائج سياسية أو مذهبية، وأما بعد ذلك أى أثناء مقام الفاطميين

---

(١) أول وأهم حركات الشيعة فى العصر العباسى الأول كان على رأسها الشقيقان محمد وإبراهيم إبنا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن إبى طالب وقد انتشرت دعوتهما انتشاراً واسعاً فى الولايات الإسلامية سنتى (١٤٤هـ :١٤٥هـ-٧٦١م:٧٦٢م) إلا إنها قد إنتهت بمقتل الشقيقين محمد المعروف بذى النفس الذكية وأخيه إبراهيم سنة (١٤٥هـ-١٧٦٢م، واحد تلو الآخر.

- الطبرى، المصدر السابق، ج٧، ص٥١٧ ومابعدها، النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ-١٣٣١م) نهاية الأرب فى فنون الأدب، تحقيق الباز العرينى، مكتبة دار الكتب، القاهرة، ١٤١٢-١٩٩٢م، ج٥، ص ٧ ومابعدها.

بالمغرب، فقد حدث ميلاً طفيفاً لبعض المصريين تجاه المذهب الشيعى ومع ذلك لم يذكر المؤرخون شيئاً عن تحرك المصريين لتأييد الحملات الفاطمية [١].

وقد جاء هذا الرأى متفقاً مع ما ذهب إليه أحد الباحثين، من أن أصحاب المذهب الشيعى في مصر قبل العصر الفاطمى كانوا قلة وغالباً ما تعرضوا لكثير من المضايقات والإضطهادات[٢]، وقد يدع ذلك الرأى مجالا للدهشة انطلاقاً من تساؤل هام عن ماهية الدوافع والأسباب التى رغبت الفاطميين الفارين من بلاد المغرب فى إمتلاك مصر مادام ذلك صحيحاً، ولم يكن أمامنا سوى الإعتراف أولاً بحقيقة هامة مؤداها أن الفكر السياسى للفاطميين كان قد شهد فشلاً ذريعاً- ببلاد المغرب -، وقد أدى ذلك بالضرورة إلى تغيير فى النظرة الفاطمية القديمة.. والتى كان اعتمادها الكلى على كسب تأييد الأتباع عن طريق الدعوة والإقناع وأصبحوا يؤمنون بأهمية القوة العسكرية فى تأمين الجانب الفكرى وتهيئة المناخ المناسب له وضمان استمراره آخذين فى الاعتبار أن تكون البداية سياسية عسكرية لا عقائدية مذهبيه، وهو الأمر الذى حدث بالفعل عند استيلاء الفاطميين على مصر فلم يكن بالضرورة يهمهم فى تلك المره الكشف عن مؤيديهم فى المذهب بأكثر ما كان يهمهم بالكشف عمن يستطيعون الإعتماد عليهم فى إدارة البلاد.

وكأنهم كانوا على موعد مع أهل مصر الذين كادوا يفقدون هويتهم السياسية من كثرة ما طرأ عليها من تغير من قبل دخول عمرو بن العاص إليها، وحتى بعد دخول الإسلام، فلم تكن أكثر حظاً من تلك الناحية من قبل ذلك فقد تغيرت انتماءاتهم السياسية منذ سنة (٢١هـ-٦٤١م) من المدينة إلى الكوفة بعد سنة (٣٥هـ-٦٥٥م)، ثم إلى دمشق بعد سنه (٤١هـ-٦٦١م)، وبغداد بعد

---

(١) المقريزى، الخطط، ج٢، ص ٣٣١ ومابعدها.

(٢) عبد الغنى عبد العاطى، التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص ١٩.

سنة (١٣٢هـ-٧٢٩م)، وقد نتج عن ذلك أن تربى أهل مصر على قبول القوة العسكرية، ومايلحق بها من فكر سياسى ومذهبى وليس العكس.

ولعل ذلك ما يفسر موقف أهل مصر من الفاطميين عند قدومهم إليها فهم أصحاب البلاد، وليس لهم من الأمر شيء، وقد سلبتهم الظروف التاريخية أحقية الدفاع عنها باعتبار أن هناك من هم أولى منهم بالقيام بذلك الدور.

وقد حاول الفاطميون الاستفادة من إمكانيات كل الأفراد المنتمين إلى مختلف التكتلات العنصرية والاجتماعية التى كانت تؤلف مجموع الشعب المصرى استفاده لم يسبق لها مثيل[١].

وهو ما يفسر بقائهم فى حكم مصر أكثر من قرنين ولو لم يخرجهم الأيوبيون منها، لدامت أيامهم فيها أكثر من ذلك، وقد أورد أبو شامه فى كتابه الروضتين، نصا من النصوص الهامة التى تعبر عن إنتماء المصريين للفاطميين حتى قدوم جيش نور الدين محمود للمرة الثانية إلى مصر. وذلك أن أسد الدين لما خاف اجتماع الفاطميين والفرنج... دعا أصحابه فاستشارهم فأشاروا علية بعبور النيل إلى الجانب الشرقى، والعودة إلى الشام، وقالوا له- إن نحن انهزمنا وهو الذى لاشك فيه فإلى أين نلتجئ وبمن نحتمى وكل من فى هذه الديار من جندى وعامل وفلاح عدو لنا ويودون لو شربوا دماءنا[٢].

ومعنى ذلك أنه كان لدى هؤلاء القادمين إلى مصر أدلة مسبقة على ما أقروه

---

(١) أيمن فؤاد سيد، المدارس فى مصر قبل العصر الأيوبى، ص ١٠٢.

(٢) أبو شامه، (عبد الرحمن بن اسماعيل بن إبراهيم المقدسى)، الروضتين فى أخبار الدولتين، دار الجيل، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٤٧م، ج١، ص ١٤٣.

وذلك على الرغم مما لوحظ من تأييد أهل الإسكندرية للجيش النورى[١]، فلا غرابة فى ذلك، باعتبار ما للإسكندرية من وضع جغرافى سهل لها الاتصال بالعالم السنى. وذلك من خلال وقوعها على طريق الحج والتجارة بين المشرق والمغرب مما ساهم وبشكل ملحوظ فى جعل الإسكندرية مركزاً للإشعاع السنى طوال العصر الفاطمى[٢].

لم تكن مهمة الفاطميين عند قدومهم إلى مصر مهمة سهلة، ولذا فقد أعدوا لها كل ما أتيح لهم من إمكانيات عسكرية وعلمية وقد لاحظ الفاطميون خلو مصر من أى معاهد علمية باستثناء مساجدها، والتى كانت تعد وبحق المتنفس العلمى الوحيد فى مصر قبل العصر الفاطمى وبخاصة جامعى عمرو بن العاص، وابن طولون وبالطبع كانت الدراسات السنية هى الغالبة على محاضرات العلماء فى تلك المساجد آنذاك.

وعلى الرغم من أن المذهب الشيعى كان يعتبر بمثابة أحد الدعامات الرئيسية فى الفكر السياسى الفاطمى، إلا أنه كان من الجهل أن يفتتح الفاطميون سياستهم تجاه المصريين باسقاط كل مايتعلق بالمذهب السنى من أثر فلم يكن ذلك وليداً ليوم وليلة، وعلى الرغم من ذلك فقد بدأ جوهر[٣] سياسة الدولة الجديدة بفرض مذهبها

---

(١) إبن الأثير (على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ت (٦٣٠هـ-١٢٣٢م) التاريخ الباهر فى الدوله الأتابيكيه، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات- دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ١٢٣.

(٢) محمد زغلول سلام الأدب فى عصر صلاح الدين الايوبى، مؤسسة الثقافه الجامعية الإسكندرية، ١٩٥٩م، ص ٩٣.

(٣) هو أبو الحسن جوهر بن عبد الله القائد المعزى المعروف بالكاتب مولى المعز لدين الله أبى تميم معد الفاطمى وكان من كبار قواد المعز وهو الذى سيره إلى مصر ففتحها سنة ٣٥٨هـ. وكان جوهر مقدماً عند الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية على الخاصة والعامة =

والعمل على نشره ولم يكن ذلك الأمر سهلاً لأن معتنقى المذهب الجديد من المصريين لم يكونوا إلا فئة قليلة بالنسبة لباقى المصريين الذين رأوا فى المذهب الشيعى خروجاً عن معتقداتهم وأرائهم فى بعض جوانب الديانة.

ومن أجل أن يستوعب الداخلون فى هذا المذهب أحكامه، ومعتقداته كان لزاماً على الفاطميين نشر دعوة واسعة واتباع سياسة تعليمية تمكنهم من نشر مذهبهم، وبدأ نشاطهم يتغلغل إلى أماكن التعليم القائمة حيث كانت تعقد حلقات العلم وخاصة فى جامعى عمرو وابن طولون[١].

على أن جوهر لم يقنع بما فى مصر من جوامع قديمة كانت منذ تأسيسها مركزاً للمذهب السنى وإنما بدأ بإنشاء جامع جديد ليكون مقراً ومركزاً لتعليم فقه المذهب الشيعى وكان ذلك سنة (٣٥٩هـ- ٩٧٠م) عندما وضع جوهر أساس الجامع الأزهر الذى تم بناؤه فى شهر رمضان سنة (٣٦١هـ- يونيو ٩٧٢م).

ومما لاشك فيه أن الغرض الأساسى من بناء الجامع الأزهر هو أن يكون معهداً لفئة معينة من الطلاب الذين يدرسون الفقه الشيعى وفلسفته حتى إذا أتموا دراستهم قاموا بالدور المطلوب منهم، وهو نشر الدعوة الشيعية ومعتقداتها بين الناس، أى أنه كان مركزاً لتدريب دعاة المذهب وتخريجهم[٢]، وكان المعز لدين

= وقد استمر جوهر حاكم الديار المصرية إلى أن قدم إليها مولاه المعز لدين الله فى سنة ٣٦٢هـ فصرف جوهر من الديار المصرية بأستاذه المعز وصار من عظماء القواد فى دولة المعز وغيره ولم يزل جوهر على ذلك إلى أن مات فى سنة ٣٨١هـ -٩٩١م.

- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٢٨.

(١) عبد الغنى محمود عبد العاطى، المرجع السابق، ص ٢٠.

(٢) عبد الغنى عبد العاطى، نفسه، ص ٢٣، ٢٤.

الله الفاطمى[١] أول من اهتم بشئون العلم والعلماء والدعوة للمذهب الشيعى فى أنحاء مصر.

وكان أول ما عرف بإقامة درس من قبل السلطان بمعلوم جار لطائفة من الناس بديار مصر فى خلافة العزيز بالله نزار بن المعز ووزارة يعقوب بن على[٢]، فعمل ذلك بالجامع الأزهر- ثم عمل فى دار الوزير يعقوب بن على مجلس يحضره الفقهاء فكان يقرأ فيه كتاب فقه على مذهبهم، وعمل أيضا مجلس بجامع عمرو ابن العاص فى فسطاط مصر لقراءة كتاب الوزير[٣].

(١) هو أبو تميم معد بن المنصور اسماعيل بن القائم بأمر الله المهدى عبيد الله الفاطمى المغربى الملقب بالمعز لدين الله والذى نسبت اليه القاهرة المعزية مولده بالمهدية فى سنة ٣١٩هـ وبويع بالخلافة فى المغرب سنة ٣٤١هـ بعد موت أبيه وسير من فوره قائده الشهير جوهر الصقلى لفتح مدن المغرب التى لم تكن فى حوزتهم وقد نجح جوهر فى ذلك كما فتح له أفريقية وانتزع مصر من أيدى الأخشيديين فى سنة ٣٥٨هـ. كل ذلك والمعز مقيم فى المهدية من بلاد المغرب حتى اتم جوهر بناء القاهرة انتقل إليها وذلك فى سنة ٣٦٢هـ وبقى بها إلى حين وفاته ٣٦٥هـ فكانت مدة خلافته جميعاً أربعة وعشرين سنة ، ثلاثة منها بمصر وأما الباقون فى بلاد المغرب.

- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٧٠.

(٢) وهو يعقوب بن يوسف بن كلس أبو الفرج وزير العزيز صاحب مصر كان يهودياً من أهل بغداد ثم انتقل إلى الرملة وعمل سمساراً فانكسر عليه مال فهرب إلى مصر. وتاجر لكافور الاخشيدى فرأى منه فطنة، فقال لو أسلم لصلح للوزارة، فأسلم. فقصده الوزير حينئذ فهرب بن كلس هذا إلى المغرب وترقى إلى أن وزره العزيز سنة ٣٦٥هـ فاستقامت أمور العزيز بتدبيره إلى أن مات سنة ٣٨٠هـ.

- ابن تغرى بردى، المصدر السابق، نفسه، ج٤، ص ١٥٨.

(٣) المقريزى، الخطط، ج٢، ص ٣٦٣.

أما الجهد الواضح للفاطميين فى مجال الثقافة والتعليم فقد تركز فى دار العلم (الحكمة) التى أنشأها الخليفة الحاكم بأمر الله[١]، وافتتحت رسمياً سنة (٣٩٥هـ- ١٠٠٥م).

وقد تتبع الباحثون المراحل التى مرت بها دار العلم منذ إنشائها حتى قدوم صلاح الدين سنة (٥٦٧هـ-١١٧١م)، ومن الملاحظ أنها أسست فى الأصل لخدمة المذهب الشيعى مذهب الدولة الرسمى[٢]، فكان من الطبيعى أن تصطبغ الحلقات بصبغة الشيعة وعلومهم لكن ذلك لم يكن محتوماً فقد كانت الدولة الفاطمية تسلك فى كثير من الأحيان مسالك التغاضى والتسامح، وإن كانت فى أحيان أخرى تشتط فتعاقب مخالفيها فى المذهب وكان هذا الشطط بعد أن تمكنت الدولة سياسياً، وقد أدى ذلك إلى أن توارى المذهبان اللذان كانا سائدين فى مصر من قبل وهما المذهب الشافعى والمالكى، وصارت الغلبة للمذهب الفاطمى[٣] فالفاطميون نجحوا على ذلك إلى حد كبير فى نشر عقيدتهم بمصر على ماذهب إليه بعض الباحثين[٤]، ولعل أكثر ما يؤيد ذلك مالاحظه الباحثون من استثناء أهل

(١) هو أبو على منصور بن العزيز بن نزار بن المعز الفاطمى صاحب مصر والشام والحجاز والمغرب قال فيه المؤرخون أخبارا غريبة وأحوالا عجيبة خلال مدة حكمه وآخر ما يحكى فى ذلك، هو أن أخته ست الملك هى التى أجهزت عليه فقتلته وذلك فى سنة ٤١١هـ وعمره انذاك ٣٦ سنة - ابن اسعد اليافعى، مرآة الجنان، ج٣، ص ٢٥.

(٢) أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية فى مصر، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ص٣٤٥ عبد الغنى عبد العاطى، التعليم فى مصر، ص٣٠.

(٣) خضر أحمد عطا الله، الحياة الفكرية فى مصر فى العصر الفاطمى، دار الفكر العربى، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٩، ص ١٨٣.

(٤) أندريه ريمون، القاهرة تاريخ حاضرة، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٧٩.

الإسكندرية من ناحية اتباعهم للمذهب السنى[١]، ولو كان ذلك عاماً فاشياً فى بقية أنحاء مصر ما استثنيت الإسكندرية فى ذلك الأمر، هذا من ناحية، من ناحية أخرى فالذى يتابع ما أورده الإدفوى فى كتابه (الطالع السعيد) من أخبار تعبر عن بقاء المذهب الشيعى فى بعض الأنحاء من صعيد مصر وذلك بعد انتهاء العصر الأيوبى بأكمله[٢]، ألم يكن ذلك شاهدا علي مدى التشيع فى مصر فى العصر الفاطمى؟ إذا وضعنا فى الاعتبار جهود الدولة الأيوبية فى إحياء المذهب السنى، والقضاء على المذهب الشيعى، ولايعد ذلك الاتجاه سوى رد فعل لما ذهب إليه الباحثون من أن المهمة كانت سهلة أمام صلاح الدين الأيوبى لاعادة كلمة السنة بمصر[٣]، وواقع الأمر أنها كانت مهمة شاقة جداً[٤] فقد كان صلاح الدين نفسه

(١) جمال الدين الشيال، الإسكندرية طبوغرافية المدينة وتطورها من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، مستخرج من مجلة الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، عدد ٢، سنة ١٩٤٩م، دار المعارف بمصر، ص ٢٢١.

(٢) الإدفوى (أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب)، الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد، تحقيق / سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٥٥.

(٣) سهام مصطفى أبو زيد، الدعوة الإسماعيلية ومدى نجاحها فى مصر الإسلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، قسم التاريخ، ١٩٧٧م، ص ٢٧٥.

(٤) لكى يمكننا فهم الموقف الصعب الذى كان عليه صلاح الدين ينبغى أن نشير إلى بعض من أوضاع الشيعة بمصر طوال العصر الأيوبى والتى لخصها لنا ابن واصل الذى يقول فى كتابه (تاريخ الواصلين) "ولما توفى العاضد وزالت الدولة قالت رعاياهم أن الإمامة صارت بعده لإبنه داوود بن العاضد لقبوه الحامد لله ثم توفى داوود هذا فى أيام الملك العادل =

متخوفاً من عظم تلك المهمة منذ أن كلف بها هو وأفراد جيش نور الدين محمود لما أمرهم بالمسير إلى مصر وتخليصها من ايدى الفاطميين[١].

ومن الإنصاف أن نؤكد على حقيقة هامة مؤداها أن محاولات أهل السنة فى مصر فى العصر الفاطمى كانت فى تزايد مستمر ساعد على ذلك مجموعة من العوامل التى كان من شأنها فقط أن مهدت الطريق أمام صلاح الدين، وكان من أهمها الانقسامات المذهبية والسياسية والضعف الذى أصاب الخلفاء الفاطميين، مماجعلهم فريسة سهلة فى يد وزرائهم، وطبيعة الحال فالوضع السياسى فى مصر آنذاك يقر بأنه «إن فسد الرأس فسد الجسد» وبذلك فقد صارت مصر أقل قدرة على

= سيف الدين أبى بكر بن أيوب في الحبس ثم قالوا انها صارت بعده لابنه سليمان بن داود بن العاضد وكان سليمان هذا قد ادخلت امه إلى داوود فى الحبس سرا فوطئها داوود فحملت بسليمان ثم حملت الجارية إلى الصعيد فولدت سليمان وترعرع وأخفى أمره من الدولة الأيوبية عند بعض الدعاة فلما علم السلطان الملك الكامل بن الملك العادل بخبره ظفر به وحبسه بقلعه الجبل يقول ابن واصل عن نفسه وسافرت إلى مصر سنة ٦٤١هـ وكان سليمان هذا حيا فسمعت إن دعوة الإسماعيلية المصريين له ولهم فيه اعتقاد عظيم ورأيت من اجتمع به وتحدثت معه ثم أن سليمان هذا توفى بقلعة الجبل فى شهر شوال سنة خمس وأربعين وستمائه فى أيام السلطان الملك الصالح بن الكامل رحمه الله ولم يخلفه ولد ذكرا فيما أعلمه وسمعت بعض من ينتمى إلى مذهبهم يدعى ان له ولدا ذكرا قد اخفى أمره حسب ما كان اخفى سليمان والله أعلم بحقيقة ذلك وبقى منهم رجلان محبوسان بقلعة الجبل بالقاهره المحروسه شيخان احدهما ابن العاضد لدين الله وكان اسمه القاسم.

- ابن واصل (جمال الدين محمد)، تاريخ الواصلين فى أخبار الخلفاء والملوك والسلاطين مخطوط بدار الكتب المصرية، تاريخ (٥٣١٩)، المجلد الأول، ورقه رقم (٣٤)- سعديه محمد على، أهل السنة فى مصر فى العصر الفاطمى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٨٠، ص١٥٤.

(١) ابن الأثير، التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص١٣٩.

مقاومة التيارات الفكرية المخالفـة للمذهب الشيعي مذهب الدولة الرسمي.

ولعل أكثر ما يمكن أن يقال عن العوامل التى ساهمت فى احداث ذلك الخلل ماحدث. من إستثارة المصريين عن طريق جلب الفاطميين لعناصر مسيحية من خارج مصر وتزايد نفوذها بفعل الخلفاء الفاطميين[١] مما ساعد على إتاحة الفرصة للاتجاه المضاد أى التيار السنى للظهور والانتشار[٢]، بل أكثر من ذلك فإننا شاهدنا فى المرحلة الأخيرة قبول الخلفاء الفاطميين استوزار سنيين والاعتماد على آخرين منهم فى الوظائف الإدارية الهامة[٣].

والواقع أننا لسنا فى معرض الحديث عن مظاهر أفول الدعوة الفاطمية فى مصر، بالقدر الذى نسعى فيه للحديث عن نشأة المدارس فى مصر، والعوامل التى ساعدت على ذلك لاسيما أن حركة إنشاء المدارس كانت قد بدأت فى الظهور والانتشار فى الوقت الذى كانت فيه مصر بيد الخلفاء الفاطميين، والمعروف أن هذه الحركة قد ظهرت وتربت فى كنف فقهاء المذاهب الأربعة وهو الأمر الذى أدى بالضرورة إلى تأخر ظهور تلك الحركة فى مصر عن سواها من البلدان الإسلامية الأخرى، وقد كان ذلك الظهور فـى مدينـة الإسكندريـة بطبيعـة الحـال تابعاً لمكانـة أهل السنة بالمدينة وفى الوقت نفسه شاهداً على المحاولات الجاده لإحياء المذهب السنى بمصر، ولانستطيع فى ذلك قبول الرأى الذى تبناه أحد الباحثين بأن حركة إنشاء المـدارس

---

(١) أيمن فؤاد سيد، المدارس فى مصر قبل العصر الأيوبى، ص١١، ومابعدها.

(٢) محمد عبد الرحيم غنيمة، مرجع سابق، ص ٨٢.

(٣) ابن خلكان، المصدر السابق، ج٣، ص ٤٣٢ ومابعدها- هادية دجانى، القاضى الفاضل (عبد الرحيم البيسانى العسقلانى)، (٥٢٦هـ:٥٩٦هـ-١١٣١:١١٩٩م) حسب مؤسسة الإمارات الفلسطينية، بيروت ١٩٩٣م، ص ١٢٩.

إلا علـــى وجـه التقريب، وذلك على الرغم من أن المسألة ليست محيرة لهذا الحـــد.

فبمجرد أن يعود الباحثون إلى مصادر تاريخ مصر فى العصر الفاطمى فإنهم سيقفون على حقيقة لامراء فيها وهى أن المدارس قد عرفت فى مصر قبل صلاح الدين الأيوبى فقد دونت لنا الروايات التاريخية إشارات ومعلومات عن ثلاث مدارس قد أسست بمصر قبل قدوم صلاح الدين وهذه المدارس هى :

١- مدرسة أبو بكر الطرطوشي.

٢- المدرسة الحافظية.

٣- المدرسة السلفية.

ا) مدرسة أبو بكر الطرطوشى :

وتنسب إلى مؤسسها محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهرى المعروف بالطرطوشي ومنها أصله، ويكنى أبا بكر ونسبة إلى طرطوش من بلاد الأندلس محل ميلاده وكان ذلك فى حدود سنة (٤٥٠هـ-١٠٥٨م)، وأبو بكر هذا مالكى المذهب طاف ببلاد المغرب والمشرق فى طلب العلم كعادة علماء تلك الفترة[١].

وقد سبق الإشارة إلى أن أبا بكر الطرطوشى كان قد تصادف تواجده فى المشرق مع إنشاء المدرسة النظامية[٢] فكان من أوائل الذين تفقهوا وتعلموا بها[٣]،

(١) ابن فرحون (برهان الدين إبراهيم بن على بن محمد اليعمرى)، ت(٧٧٩هـ-١٣٧٧م)، (الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ص ٢٧٦- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٢٣١.

(٢) راجع الرسالة، الفصل التمهيدي.

(٣) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص ٢٧٦.

ومعنى ذلك أنه قد نال حظاً وافراً فى استيعاب تجربة المدرسة النظامية منذ أن كانت فكرة وحتى صارت واقعاً ملموساً، ولما بلغت الرحلة بالطرطوشى إلى مدينة الإسكندرية فى حدود سنة (٤٨٧هـ-١٠٩٤م) وذلك فى أعقاب فتنة الوزير الأفضل بن بدر الجمالى[١]، والتى انتهت بنقل عدد من علمائها فوجد البلد عاطلا عن العلم فأقام بها وبث علماً جماً وكان يقول "إن سألنى الله تعالى عن المقام بالإسكندرية لما كانت عليه فى أيام الشيعة العبيديين من ترك وإقامة الجمعة وغير ذلك من المناكر التى كانت فى أيامهم أقول وجدت قوماً ضلالاً فكنت سبب هدايتهم[٢]"، ويفهم من ذلك أن الطرطوشى كان قد حاول الاستفادة من خبراته بصورة جادة ومنظمة وذلك من أجل تحقيق هدفه المنشود، وقد وجدنا أن شهرته بالإسكندرية فى تزايد مستمر، وكذلك طلابه ومريديه ولا غرابة بعد ذلك أن نتوقع من الطرطوشى أن يستفيد من تجربة المدرسة النظامية ويحاول تنفيذها بالإسكندرية، وهو الأمر الذى

---

(١) هو الملك الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي الأرمن وزير الخليفة الفاطمى المستعلى وهو الذى أقام المستعلى فى الحكم بمصر بعد موت أبيه الخليفة المستنصر. وقد ظل الأفضل على ذلك الحال إلى أن قتل سنة (٥١٥هـ-١١٢١م).

- ابن أسعد اليافعى، مرآة الجنان، ج٣، ص ٢١١.

(٢) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٣٩٣، ٣٩٥، إبن العماد (أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى)، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، القاهرة ١٣٥٠م، ج٤، ص ٦٢، ٦٣- ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٢٧٨- ابن أيبك الصفدى (صلاح الدين خليل) ت(٧٦٤هـ-١٣٦٢م) الوافى بالوفيات تحقيق س. د. يدرنغ، بيروت، ١٩٧٠، ج٥، ص٢٧٧- السيوطى (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن)، حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة- تحقيق / محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٨٠م، ج١، ص ٢١٣.

حدث بالفعل فقد بنى بالإسكندرية مدرسة اتخذ من طابقها الثانى منزلاً وهو ما يفهم من النص الذى أورده الضبى فى كتابه (الملتمس) حيث يروى "أنه كانت بالإسكندرية إمرأة متعبدة هى خالة أبي الطاهر بن عوف فخطبها - أى الطرطوشى-، وتزوجها وبنى بها فى المدرسة وكان لها ابن من أهل الدنيا كثير التخليط فصعب ذلك عليه وعهد إلى خنجر، واستتر فى المدرسة فلما أن أقبل الليل قصد البيت الذى كانت فيه أمه مع الفقية، وسمع صوت الفقيه يقرأ فى الصلاة فأم الصوت وخنجره في يده فلما قرب منه وهو عازم على قتله حالت بينه وبينه سارية من سوارى مساكن المدرسة وضرب فيها بوجهه وخر مغشياً عليه، والفقيه لايشعر فلما طلع الفجر نزل إلى المدرسة فصلى الصبح ودرس، وتصرفت زوجته فى أثناء ذلك فوجدت إبنها متجندلا لايعقل فكلمته فلم يكلمها فلما فرغ الفقيه من التدريس صعد إلى منزله فأعلمته زوجته بمكان ابنها فاتجه نحوه فوجده على تلك الحال فجر يده على وجهه وتفل وتكلم بكلمات ففتح عينه فلما أبصر الفقيه قال هات يدك فأنا تائب إلى الله تعالى لا أعصية بعد اليوم أبداً فقال له الطرطوشى والله لا أتركك فى هذا الموضع انتقل لدار أهلك فأسكنها، وحسنت توبه الإبن بعد ذلك[1] وإذا أضفنا إلى تلك الروايه ما نقله الضبى عن أحد شيوخه من أنه كان يبيت أكثر الليالى بمدرسة الحافظ أبى بكر الطرطوشى[2]، فإننا نستطيع أن نؤكد على حقيقة هامة مؤداها أن مدرسة الطرطوشى وهو المتوفى سنة ٥٢٠هـ-١٢٠٦م، تعد وبحق أقدم مدرسة أنشأت بمصر ولم يكن اطلاق كلمه مدرسة على صنيع الطرطوشى مجازا كما

(١) الضبى (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة توفى سنة ٥٩٩هـ)، بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس، دار الكتاب العربى، دمشق، ١٩٦٧، ص ١٣٧.

(٢) الضبى، بغية الملتمس، ص ١٣٧.

أعتقد البعض[١].

على أن شهرة الشيخ أبى بكر الطرطوشى ومدرسته كانت قد ذاعت. وقصده الكثير من الدارسين من خارج مصر الذين رحلوا إليه للانتفاع بعلمه وفضله، ولم يقضى الطرطوشى نحبه بالإسكندرية حتى ترك من تلامذته الكثير الذين يستطيعون أن يكملوا ويتمموا ما بدأه الشيخ[٢]، وعلى الرغم من ذلك فلم يكد ينقضى العصر الفاطمى حتى أننا لانسمع عن تلك المدرسة أى شىء يذكر.

٢) المدرسة الحافظية (العوفية)

فى حدود سنة (٥٣٢هـ-١١٣٧م) كشفت لنا الروايات التاريخية عن مدرسة ثانية بالإسكندرية أنشئت فى تلك السنة، وأول ما يروى فى ذلك ما قاله إبن ميسر "أنه فى سنة (٥٣٢هـ-١١٣٧م) بنى الوزير رضوان[٣] المدرسة المعروفه به فى ثغر الإسكندرية وقرر فى تدريسها الفقيه أبا الطاهر بن عوف[٤] وهو إسماعيل بن بكر

(١) عبد الغنى عبد العاطى، التعليم في مصر في العصرين الأيوبى والمملوكى، ص ٣٩.

(٢) راجع ما جمعه لنا أحمد عبد اللطيف من تلاميذ الطرطوشى- أحمد عبد اللطيف، الجاليات المغربية والأندلسية بمصر فى العصر الفاطمى، رسالة ماجستير غير منشوره، كلية الآداب، جامعة طنطا، سنة ١٩٧٨م، ص ٥٥٥ ومابعدها.

(٣) الوزير رضوان بن ولخشى أمير الجيوش وزير الحافظ ومدير ممالكه بديار مصر وغيرها وقد استوزره الخليفة الفاطمى الحافظ ولما ولى الوزارة سنة (٥٣٢هـ-١١٣٧م) استولى على مصر وحجر على الخليفة الحافظ وسلك فى ذلك طريق الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى وزاد أمره حتى دس عليه الحافظ السودان فوثبوا عليه فقتلوه سنة (٥٤٣هـ-١١٤٨م).

- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٢٨١.

(٤) ابن ميسر (تاج الدين أحمد بن على بن يوسف) المنتقى من أخبار مصر، انتقاه تقى الدين أحمد بن على المقريزى سنة ٨١٤هـ. حققه وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فيها نهايته أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية. بالقاهرة، سنة ١٩٨١م، ص ١٣٠.

إبن اسماعيل عيسى بن عوف بن عبد الرحمن بن عوف أحد تلامذه الطرطوشى، وهو مالكى المذهب كأستاذه .

وقد قام جمال الدين الشيال بدراسة مستوفية حول تلك المدرسة وقد اعتمد فى ذلك اعتماداً كبيراً على السجل الوارد فى صبح الأعشى الخاص بتعيين أبو الطاهر بن عوف مدرساً لتلك المدرسة وقد خلص إلى الآتى :

١- أن المدرسة قد بنيت فى أيام الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله وذلك بتفويض منه لوزيره رضوان بن الولخشى.

٢- أن أبا الطاهر بن عوف يعتبر أول مدرس بتلك المدرسة والتى اعتبرها جمال الدين الشيال أول مدرسة عملت بديار مصر.

٣- وقد حدد جمال الدين الشيال موقع المدرسة فى شارع فؤاد (أبى قير الحالى).

٤- أن المدرسة أسست لتدريس علوم الشريعة.

٥- وقد أوضحت الدراسة أن الأمر بتعيين المدرسين كان يتلى أولاً على الكافة بالمسجد الجامع وأن هذه هى طرق الإعلان والنشر الممكنة في تلك العصور ثم يجلد هذا السجل، ويحفظ بالمدرسة. ليكون حجة بما تضمنه[1] .

والحق أن ما توصل إليه جمال الدين الشيال فى بحثه قد طرح مجموعة من التساؤلات الجديدة من أهمها تساؤلا حول الغرض الذى أنشئت من أجله تلك المدرسة، ولم يكن ما أورده القلقشندى فى ذلك السجل كافيا لإزاله الغموض حول ذلك الموضوع حيث ورد بالسجل أنه "لما انتهى إلى أمير المؤمنين ميزة ثغر الإسكندرية حماها الله تعالى على غيره من الثغور وهو يشتمل على القراء والفقهاء والمرابطين الصلحاء، وأن طالبى العلم من أهله ومن الواردين

(١) جمال الدين الشيال، الإسكندرية، مجلة الجمعية الملكية ص ٢١٨.

- سعاد ماهر، مساجد مصر، ج٢، ص ١٦٢.

إليه أو الطارئين عليـــه مشتتوا الشمل ومتفرقوا الجمع، أبى أمير المؤمنين أن يكونوا حائرين، ولم يرض أن يبقوا مذبذبين وخرجت أوامره بإنشاء المدرسة الحافظية بهذا الثغر المحروس مقاماً ومثوى لجميعهم ووطنا ومحلاً وسكناومستقرا لهـــم[١]".

ويفهم من ذلك النص أن الغرض من إنشاء تلك المدرسة كان متوقفاً عند حد التصريح بإنشاء معهد علمي غير مختص بعلوم أهل السنة أو غيرها، وذلك على الأقل من وجهه نظر الحافظ لدين الله الخليفة الفاطمى الشيعى المذهب وإن كنا بعد ذلك قد وجدنا أن المدرسة قد تخصصت فى دراسات أهل السنة، وبخاصة الفقه المالكى وهو الأمر الذى يوضح لنا أهميــة الدور الذى لعبـه الوزير (رضوان بن الولخشى) فى تعمية الخليفة عن الغرض الحقيقى من وراء إنشاء تلك المدرسة وربما أنه ولهذا السبب قد عرفت المدرسة باسم الوزير على حد قول إبن ميسر وذلك على الرغم من أنها فى الأصل سميت بالحافظية على حد ما أورده القلقشندى، وكذا ما عرفت به نسبة إلى مدرسها أى المدرسة العوفية.

وإذا كانت مدرسة الطرطوشى أول مدرسة أنشئت بالإسكندرية فإنها إذا جاز التشبيه بمثابة مدرسة أهلية أو مدرسة خاصة يرجع الفضل فى إنشائها واستمرار التدريس فيها لشيخها ومن تلاه من تلامذته، أما هذه المدرسة (العوفية) فتختلف اختلافاً كبيراً عن المدرسة الأولى، ذلك أن الخليفه الحافظ الفاطمى هو الذى احتضن هذه المدرسة، ووفر لها من الأموال مايضمن لها الاستمرار والبقاء[٢] لذا فإننـــا

(١) القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٥، ص ١٤٣.

(٢) عبد الغنى عبد العاطى، المرجع السابق، ص ٤٠.

إليه أو الطارئين عليه مشتتوا الشمل ومتفرقوا الجمع، أبى أمير المؤمنين أن يكونوا حائرين، ولم يرض أن يبقوا مذبذبين وخرجت أوامره بإنشاء المدرسة الحافظية بهذا الثغر المحروس مقاماً ومثوى لجميعهم ووطنا ومحلاً وسكناومستقرا لهم[١]".

ويفهم من ذلك النص أن الغرض من إنشاء تلك المدرسة كان متوقفاً عند حد التصريح بإنشاء معهد علمي غير مختص بعلوم أهل السنة أو غيرها، وذلك على الأقل من وجهه نظر الحافظ لدين الله الخليفة الفاطمى الشيعى المذهب وإن كنا بعد ذلك قد وجدنا أن المدرسة قد تخصصت فى دراسات أهل السنة، وبخاصة الفقه المالكى وهو الأمر الذى يوضح لنا أهمية الدور الذى لعبه الوزير (رضوان بن الولخشى) فى تعمية الخليفة عن الغرض الحقيقى من وراء إنشاء تلك المدرسة وربما أنه ولهذا السبب قد عرفت المدرسة باسم الوزير على حد قول إبن ميسر وذلك على الرغم من أنها فى الأصل سميت بالحافظية على حد ما أورده القلقشندى، وكذا ما عرفت به نسبة إلى مدرسها أى المدرسة العوفية.

وإذا كانت مدرسة الطرطوشى أول مدرسة أنشئت بالإسكندرية فإنها إذا جاز التشبيه بمثابة مدرسة أهلية أو مدرسة خاصة يرجع الفضل فى إنشائها واستمرار التدريس فيها لشيخها ومن تلاه من تلامذته، أما هذه المدرسة (العوفية) فتختلف اختلافاً كبيراً عن المدرسة الأولى، ذلك أن الخليفه الحافظ الفاطمى هو الذى احتضن هذه المدرسة، ووفر لها من الأموال مايضمن لها الاستمرار والبقاء[٢] لذا فإننا

(١) القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٥، ص ١٤٣.

(٢) عبد الغنى عبد العاطى، المرجع السابق، ص ٤٠.

الشيعى المتمثل فى البويهين، جاء ذلك عن طريق إنشاء المدارس على الفقه الشافعى.

وفى سنة (٥١١هـ-١١١٧م) دخل الحافظ السلفى مدينة الإسكندرية واستوطنها إلى أن مات بها سنة (٥٧٦هـ-١١٨٠م)(١)، وصارت له بالإسكندرية وجاهة قيل أنه كان له عند ملوك مصر الجاه والكلمة النافذة مع مخالفته لهم فى المذهب(٢).

وكان السلفى أثناء اتصاله برجال الدولة الفاطمية حريصا على اجتناب عداوتهم واكتساب مودتهم حيث أن الدولة شيعية وهو سنى شافعى، ولهذا كان يغضى عن مذهبهم ويقنع بصلات الود والصداقة التى تربطه بهم ويبتعد ما استطاع أن يخوض معهم فى مناقشات دينية أو مذهبية، وإذا احرج واستطردوا أمامه فى مناقشات من هذا النوع حاول بذكائه ولباقته أن يخرج من هذا المخرج دون أن يؤذى شعورهم(٣).

وقد عاصر الحافظ السلفى أثناء مقامه فى مصر عدداً كبيراً من خلفاء الفاطميين فقد وصل إلى الإسكندرية فى عهد الخليفة الأمر(٤) . وشهد

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ١ ص ١٠٥، سعاد ماهر، مساجد مصر، جـ٢، ص ١٦٠، - الذهبى، سير اعلام النبلاء، ج٢١، ص ١٧١٦، هذا ما أقره المؤرخون أى نزول السلفى بالاسكندريه فى سنة (٥١١هـ - ١١٧٠م) عدا إبن كثير الذى ذكر نزوله -أى السلفى- إلى الاسكندرية فى سنة (٥١٠هـ - ١١٦٩م).

- إبن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ-١٣٧٢م)، البدايه والنهايه، مكتبة المعارف، ط١، بيروت، ١٩٦٦، ج١١، ص ٢٠.

(٢) السبكى، طبقات الشافعية، جـ٦، ص ٣٧.

(٣) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٢٣- جمال الدين الشيال، أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى، دار المعارف المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١٥٤.

(٤) وهو الأمر باحكام الله أبو على منصور بن المستعلى بالله الفاطمى صاحب مصر كان مشتهراً بالظلم والفسق امتدت دولته ثلاثين سنة فلما تمكن وكبر قتل وزيره الأفضل =

مؤسسات علمية اختصت بدراسة الفقه السنى كمدرستى الطرطوشى وابن عوف.

ومن الملاحظ أن هاتين المدرستين قامتا على تدريس الفقه المالكى نظراً لاعتبارين أولهما :- أن الطرطوشي وابن عوف كانا على المالكية، وثانيهما :- أن عموم أهل الإسكندرية كانوا على ذلك المذهب، والمعروف أن السلفى شافعى المذهب والحق أن المالكية كانت قد حققت نجاحاً لم يسبق إليه على الشيعة ببلاد المغرب إلا أنها بعد ذلك لم تستطع أن تلاحق الشيعة بمصر، وكأنها قد اكتفت بابعادهم عن بلاد المغرب وهو ما يعنى أن فشل الفاطميين ببلاد المغرب عائد فى الحقيقة إلى فقهاء المالكية لا إلى الفقه المالكى نفسه[1] فى الوقت الذى ظهرت فيه الشافعية ببلاد المشرق فى صورة فتية أمام التحديات الشيعية، والتى كانت أبلغ وأعظم مما كان عليه الحال ببلاد المغرب إلا أنها قد استطاعت أن تعلى من كلمة أهل السنة على وجه العموم ولم يكن ذلك مقيداً بمكان دون غيره أى أنها قد اكتسبت من الإسلام نفسه عالمية الدعوة، ولاسيما إذا وضعنا فى الاعتبار ماحدث من استيعاب الشافعية لعقيدة الأشعرى معنى ذلك أن وجود مثل هذا الفقيه الشافعى المذهب

---

(١) محمد أحمد عبد المولى، القوى السنية فى بلاد المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية من سنة (٢٩٦هـ:٣٦١هـ- ٩٠٩م:٩٧٢م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥م، ص ٣٨، محمود إسماعيل، المالكية والشيعة بإفريقية إبان قيام الدولة الفاطمية، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثالث والعشرون، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٧٣ ومابعدها.

- أى السلفى- بالإسكندرية في الوقت الذى تولى فيه العادل بن السلار[١] ثغر الإسكندرية من قبل الخليفة الفاطمى، وذلك منذ سنة (٥٤٠هـ-١١٤٥م) وهو كما تذكر الروايات التاريخية كان سنياً على الشافعية أيضا[٢] فإذا أضفنا إلى ذلك ماقيل من أن وزراء الدولة الفاطمية فى ذلك الوقت كانوا على اتصال (بنور الدين محمود) فى المشرق[٣] حامل لواء كلمة السنة فى عصره لشعرنا بأن حركة منظمة كانت قائمة منذ ذلك الوقت بقصد القضاء على الدولة الفاطمية، ولعل أكبر دليل على ذلك هو ماحدث من استكمال نفس الدور بعد قليل على يد نور الدين محمود نفسه، ولكن فى تلك المرة كانت على يد أسد الدين شيركوه، وبن أخيه صلاح الدين الأيوبى، ولم يكن غريباً بعد ذلك أن نسمع عن بناء العادل بن السلار مدرسة بالإسكندرية على الفقه الشافعى، وأنه أوقف عليها الأوقاف[٤]، وذلك ليقوم على شئونها والتدريس بها أبو الطاهر السلفى وذلك أثناء ولايته-أى العادل - على ثغر

---

(١) هو على بن السلار الكردى ثم المصرى وزير الظافر الفاطمى صاحب مصر كان سنياً شافعياً شجاعاً مقداماً شهماً مائلا إلى أرباب الفضل والصلاح عمر بالقاهرة مساجدا وكان مع هذه الأوصاف ذا سيرة جائرة وسطوة قاهرة قتل فى سنة ٥٤٨هـ.

- ابن أسعد اليافعى، مرآة الجنان، ج٣، ص ٢٨٨.

(٢) الذهبى، سير أعلام النبـــلاء، ج٢١، ص ٢٤، ٢٥، ابن أسعد اليافعى، نفسه، ج٣، ص ٢٨٨..

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص ٢٣٤.

(٤) سبط إبن الجوزى (شمس الدين أبى المظفر يوسف قزاوغلى التركى ت ٦٤٥هـ-١٢٥٧م) مرآه الزمان فى تاريخ الاعيان، مطبعة مجلس دائره المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، ط١، ١٣٧٠هـ-١٩٥٠م، ج٨، القسم الأول، ص ٣٦١، ٣٦٢.

الإسكندرية، أى أن ذلك قد حدث قبل سنة (٥٤٤هـ-١١٤٩م) على حد قول ابن خلكان[١]، الذى عاد فذكر أن العادل كان قد بناها للسلفى فى سنة (٥٤٦هـ-١١٥١م)، أثناء وزارته للظافر الفاطمى[٢] ولم يكن لدينا أى دليل لترجيح أحد الرأيين على الآخر[٣]، وإذا كانت المصادر التاريخية لم يعيننا على ذلك، فإنها قد أمدتنا بمعلومات قيمة عن تلك المدرسة، فمن ذلك ما رصده الباحثون عن منهاج الدراسة بتلك المدرسة والعلوم التى كانت تدرس بها من فقه وتفسير وحديث ومايلحق بذلك من علوم[٤]، وكذا هيئة التدريس بالمدرسة إذ تذكر الروايات أن السلفى كان أستاذ المدرسة يعاونه عدد من المعيدين، وأما رواد المدرسة فكانوا من شتى الأعمار والفئات[٥].

وقد عكست لنا التراجم التى أوردها السلفى فى معجمه عن مدى الشهرة الواسعة والتأثيرات البالغة لمدرسته فى العصر الفاطمى ليس فى مصر وحدها بل تعدى ذلك إلى غيرها من الأقطار الإسلامية الأخرى[٦].

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ١، ص ١٠٢- السبكى، طبقات الشافعية، جـ٦، ص ٣٧.

(٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج١، ص ١٠٥- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٢٢.

(٣) أحمد أحمد بدوى (الحياة العقليه فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام) دار النهضة المصرية للطبع والنشر- القاهرة ١٩٧٢م، ص ٥٤، ٥٥ - محمد عبد الرحيم غنيمة، المرجع السابق، ص ٨٣.

(٤) جمال الدين الشيال، أعلام الاسكندرية، ص ١٤٢، ١٤٣.

(٥) سعاد ماهر، مساجد مصر، جـ٢، ص ١٦١.

(٦) السلفى (أحمد بن محمد) معجم السفر، مخطوط بدار الكتب المصرية، تاريخ ٤٣٩٣٢ ورقة رقم ٨٠، ومابعدها.

وقد ظلت أهمية السلفيون مدرسته فى تزايد مستمر حتى قيام الدولة الأيوبية، والتى زادت من قدر هذا الفقيه ومدرسته فمن ذلك ما تحدثنا به الروايات التاريخية من أنه لما كانت السنة (٥٧٢هـ-١١٧٦م) ركب الناصر إلى الإسكندرية فأسمع ولديه الأفضل على، والعزيز عثمان على الحافظ السلفى، وتردد بها إليه ثلاثة أيام الخميس والجمعة والسبت رابع رمضان[١]، ومن جهة أخرى فقد كان السلفى مرجع الفتوى لدى الأيوبيين[٢].

وآخر ما يمكن أن يقال عن تلك المدرسة أنها قد استمرت فى أداء رسالتها طوال العصر الأيوبى فمن ذلك ماحكى عن ابن البورى المتوفى سنة (٥٩٩هـ-١٢٠٢م) من أنه لما انتقل إلى الإسكندرية تلقى دروسه بالمدرسة السلفية[٣]. وكذا ما حكى عن مظفر بن عبد الله بن على بن الحسين المعروف بالمقترح. وهو المتوفى سنة (٦١٢هـ-١٢١٥م) من أنه ولى التدريس بالمدرسة السلفية مدة[٤]، وما حكى

---

(١) إبن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص ٥٧٢- الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ٢٤.

(٢) السبكى، طبقات، ج٦، ص ٤٢.

(٣) المنذرى (زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى ت٦٥٦هـ-١٢٥٨م)، التكمله لوقيات النقله، تحقيق بشار عواد معروف. مؤسسة الرساله. بيروت، ط٤، ١٩٨٨م، ج١، ص٥٠ - السيوطى، حسن المحاضره، ج١، ص ٤٠٨- السبكى، طبقات، ج٦، ص٣٢٨.

(٤) السبكى، طبقات، ج٨، ص٢١٤ - المنذرى، التكملة، ج٢، ص٣٤٣- ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم) تاريخ الدول والملوك تحقيق حسن محمد الشحات، البصرة، ١٩٧٠م، المجلد الخامس، ج١، ص١٨٤، ١٨٥.

- ابن كثير- طبقات فقهاء الشافعية- تحقيق أحمد عمر هاشم، ومحمد زينهم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص ٣٠٧.

أيضا عن عبد البارى بن عبد الرحمن الصعيدى المتوفى بعد سنة (٦٥٠هـ-١٢٥٢م) من أنه ولى مشيخة الإقراء بالمدرسة الحافظية السلفية[١] وكذلك ما حكى عن ابنه عبد الكريم بن عبد البارى من أنه تولى مشيخة الإقراء بالمدرسة السلفية بعد أبيه[٢].

(١) إبن الجذرى (شمس الدين ابى العز محمد بن محمد)، غاية النهاية فى طبقات القراء، مكتبة المتنبي، القاهرة، ١٩٣٣م، ج١، ص ٣٥٦.

(٢) ابن الجذرى، غاية النهاية، ج١، ص ٤٠١.

الفصل الثاني

المدارس في مصر في العصر الأيوبي -

الفصل الثانى

المدارس فى مصر فى العصر الأيوبى

أولاً: المدارس التى خصصت لتدريس المذهب الشافعى

١ - المدرسة الناصرية الأولى:

كان من الطبيعى أن تتابع المصادر التاريخية خطوات صلاح الدين الأيوبى نحو الاعداد لإحياء المذهب السنى فى مصر كخطوة أخيرة للقضاء على الدولة الفاطمية، وذلك منذ بداية توليته لوزارة العاضد الفاطمى[١].

وكان من أهم تلك الخطوات ماقام به سنة (٥٦٦هـ-١١٧٠م)، من هدم سجناً كان يعرف بدار المعونه[٢] بجوار جامع عمرو بن العاص وإنشاء مكانه مدرسة للفقهاء الشافعية[٣]، قال المقريزى: «وكان هذا - أى بناء تلك المدرسة من أعظم مانزل بالدولة - أى الدولة الفاطمية.[٤]

وقد تابع المؤرخون المراحل التاريخية التى مرت بها تلك المدرسة منذ نشأتها وحتى نهاية العصر الأيوبى، وأول مايحكى عن ذلك أنها قد سميت منذ نشأتها بالمدرسة الناصرية نسبة للناصر صلاح الدين[٥]، إلاأن سبط بن الجوزى قد

(١) العينى (بدر الدين محمود)، عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، مخطوط بدار الكتب المصرية، تاريخ ١٥٨٤، حوادث من سنة ٥٤١ هـ: ٥٧٨هـ، ورقة رقم ٥٥٨ .

(٢) أحد الدور الهامة بمصر وقد ذكر لنا المقريزى عنها أنها كانت داراً للشرطة ثم تحولت بعد السنة ٣٨١هـ إلى سجن ثم حولها صلاح الدين بعد ذلك إلى مدرسة .
المقريزى، الخطط، ج٢، ص١٨٧.

(٣) إبن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧، ص٢٠٧-١. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣٨٥- أحمد عزت عثمان، التربية والمجتمع المصرى فى العصر الأيوبى، ص٤٠٩ - محمد عبد الرحيم غنيمه، نشأة الجامعات الإسلامية الكبرى، ص٨٤ . أحمد فكرى، مساجد القاهرة ومدارسها، ج٢ ص٥٠- حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية فى القاهرة، ط١، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٩٤٦، ج١، ص١٢ ومابعدها .

(٤) المقريزى، نفسه، ج٢، ص٣٦٣ .

(٥) المقريزى، نفسه، ج٢، ص٣٦٢ .

خالف ذلك الرأى وأطلق عليها اسم المدرسة الصلاحية حيث يذكر فى حوادث السنة (٥٦٦هـ-١١٧٠م) "أن صلاح الدين كان قد بنى فى هذه السنة المدرسة الصلاحية للشافعية وكان موضعها حبس المعونه"(١) وذلك على الرغم من أننا لم نجد أحداً من المؤرخين قد أشار إلى المدرسة الصلاحية إلا على اعتبارها أنها مدرسة أخرى غير هذه المدرسة، وهى المدرسة التى أمر ببناءها السلطان صلاح الدين في السنة (٥٧٢هـ - ١١٧٦م) بجوار القبر الشافعى، ومن العجب أن هذه المدرسة أيضاً قد أطلق عليها اسم المدرسة الناصرية.(٢)

وواقع الأمرأن هاتين المدرستين لم تكن لتعيننا المصادر التاريخية على إثبات اسميهما وقت بنائهما وحتى ابن خلكان الذى تعرض لذلك الموضوع لم يكن ليفصح عن ذلك بل زاد الأمر غموضاً بقوله عن صلاح الدين، "ولقد فكرت فى نفسى فى أمور هذا الرجل وقلت أنه سعيد بالدنيا والآخرة فإنه فعل فى الدنيا هذه الأفعال المشهورة من الفتوحات الكثيرة وغيرها، ورتب هذه الأوقاف العظيمة وليس شيئاً منسوباً إليه فى الظاهر فإن المدرسة التى بالقرافة - أى الناصرية الثانية - مايسمونها الناس إلا بالشافعى والتى بمصر - أى الناصرية الأولى- لايقولون إلا مدرسة ابن زين التجار"(٣) .

وإبن زين التجار المذكور فى رواية ابن خلكان، هو أبو العباس أحمد بن المظفر بن الحسينى الدمشقى، وهو أول من قام بالتدريس فى المدرسة الناصرية الأولى /

(١) سبط بن الجوزى، مرآة الزمان، ج٨، القسم الأول، ص٢٨٣ .

(٢) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٦، ص٢٤- المقريزى، الخطط، ج٢، ص٤٠٠ - عبد الرحمن ذكى، نشأة القاهرة، وامتدادها فى أيام الأيوبيين، المجلة التاريخية المصرية، مطابع سجل العرب، القاهرة، سنة ١٩٧١م، ج١٨ ص١٥٨ .

(٣) إبن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧، ص٢٠٧. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٥٥.

وقـد طالت مدة إقامتـه بها إلى حين وفاته سنة (٥٩١هـ-١١١٥م)، حتى عرفت باسمه مدة[١]، وذلك على الرغم من أنها قد اشتهرت بمسميات أخرى بعد ابن زين التجار إلا أنها قد احفتظت بتسميتها بإبن زين التجار حتى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى[٢].

وقد تلى ابن زين التجار فى التدريس فى هذه المدرسة جماعة منهم أبو عبد الله محمد بن هبة الله بن مكى الحموى المتوفى سنة (٥٩٩هـ-١٢٠٢م)[٣]، وابن قطيطه الوزان[٤]ومن بعدهم كمال الدين أحمد بن شيخ الشيوخ[٥]، وكمـال الديـن

---

(١) ابن دقماق (صارم الدين إبراهيم) الانتصار لواسطة عقد الأمصار، بولاق القاهرة، د. ت جـ٤، ص٩٣.
- المقريزى، الخطط، ج٢، ص٣٦٣.
- المنذرى، التكملة، ج١، ص٢٣٢ - السيوطى - حسن المحاضرة، ج١ ص٤٠٧.

(٢) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨،ص٣٦٣.
- القلقشندى، صبح الأعشى، ج٣، ص٣٩١.

(٣) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج١، ص٤٥٨.

(٤) ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج٤، ص٩٣ - المقريزى، الخطط، ج٢،ص٣٦٢.
لم يعثر الباحث على ترجمة لإبن قطيطه الوزان هذا والظاهر إن ابن دقماق والمقريزى قد أخطأ فى نقل إسمه والذى اعتقد أنه (أبو الخير بن إسماعيل بن على الوارانى) وهو المعروف بأمين الدين التبريزى وكان مولده سنة (٥٥٨هـ ١١٦٣م) ببغداد قدم إلى مصر وقيل أنه تولى التدريس فى هذه المدرسة ثم سافر إلى العراق ومن العراق إلى شيراز ومات بها سنة (٦٢١هـ - ١٢٢٤م).
- السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٢٧٣، ٢٧٤ - السيوطى، حسن المحاضرة، ج١، ص٤١٠.

(٥) ابن دقماق، الإنتصار، ج٤، ص٩٣- المقريزى، الخطط، ج٢،ص٣٦٢.

أحمد هذا، هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر بن حموية الجوينى المتوفى سنة (٦٤٠هـ-١٢٤٢م)[١]، والظاهر أن أباه كان قد سبقه في الجلوس لوظيفة التدريس فى هذه المدرسة[٢].

وتلى كمال الدين فى التدريس بالناصرية الأولى القاضى شمس الدين الأرموى[٣]، وهو الشريف القاضى شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن الحسين بن محمد الحنفى قاضى العسكر الأرموى وعرفت به وقيل لها المدرسة الشريفية من عهده إلى أيام المقريزى[٤]، ويبدو أن القاضى شمس الدين هذا كان قد تفقه بنفس المدرسة حيث يذكر الإسنوى أنه - أى الشريف - قد تفقه على شيخ الشيوخ صدر الدين بن حموية والد كمال الدين، وكانت وفاته فى سنة (٦٥٠هـ-١٢٥٢م) وقد جاوز السبعين[٥].

وقد استمرت تلك المدرسة فى أداء مهمتها التعليمية إلى أيام المقريزى كما ذكرنا ولم نعلم عنها بعد ذلك أى شئ ومحلها اليوم أرض فضاء فى الجنوب الشرقى من جامع عمرو بمصر القديمة.[٦]

---

(١) المنذرى، التكملة لوفيات التفلة، ج٣، ص٥٩٨ .

(٢) المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ-١٤٤٢م) المقفى الكبير، تحقيق محمد البعلاوى - دار الغرب الإسلامى - القاهرة، ١٩٩٣، ج١٦ صـ٤٢٠، ٤٢١ .

(٣) ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص٩٣. ابن واصل، تاريخ الواصلين، الجزء الثانى ورقة رقم (٣١٣) .

(٤) المقريزى، الخطط، ج٢،ص٣٦٤ .

(٥) الإسنوى، طبقات الشافعية، ج٢، ص٣٩، السيوطى، حسن المحاضرة ج١، ص٤٦٣- يبدو أن الإسنوى قد وقع فى خلط بعد ذلك بين الشريف شمس الدين المذكور والشريف عماد الدين العباسى إذ ذكر أن عماد الدين قد درس بالمدرسة الناصرية المجاورة للجامع العتيق مدة حتى اشتهرت به المدرسة وعرفت به بين العامه .
- الاسنوى، طبقات الشافعية، ج٢، ص١٠١ .

(٦) أحمد أحمد بدوى، الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية، ص٤٣ .

٢ - المدرسة القطبية:-

ذكر ابن عبد الظاهر فى خططه "أن الذى بناها - أى المدرسة القطبية - الأمير قطب الدين خسرو بن بلبل بن شجاع الهدبانى[١] فى سنة (٥٧٠هـ-١١٧٤م) وهى قريبة من البندقانيين"[٢]، وقد حدد المقريزى موقع تلك المدرسة فى درب الحريرى[٣] وهذه المدرسة من مدارس الفقهاء الشافعية كما حدد المقريزى[٤].

وأما عن مدرسى هذه المدرسة فقد ذكر المنذرى منهم الفقيه الإمام أبا الفتح نصر بن محمد بن مقلد القضاعى الشذرى الشافعى المتوفى سنة (٥٩٨هـ-١٢٠١م)، وقال "أنه حدث وناب بالمدرسة القطبية"[٥] كما ذكر المنذرى عن عبد المجيد بن محمد بن يحيى الاسكندرانى المتوفى سنة (٦٢٨هـ-١٢٢٩م) من "أنه سكن القاهرة وسمع بها دروس بالمدرسة القطبية"[٦]، كما ذكر أيضاً عن أبى محمد عبد القادر بن محمد بن الحسن البغدادى الذى رحل من الشام إلى القاهرة وتفقه على الشهاب الطوسى "أنه تولى التدريس بالمدرسة القطبية إلى حين وفاته سنة (٦٣٤هـ-١٢٣٦م"[٧].

---

(١) هو أحد الأمراء المتنافسين على وزارة العاضد بعد وفاة شيركوه .
- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٢٦، ص١٦ .

(٢) إبن عبد الظاهر (محى الدين) الروضة البهية الزاهرة فى الخطط المعزية القاهرة، تحقيق/ أيمن فؤاد سيد، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، د. ت، ص٩٠ .

(٣) المقريزى، الخطط، ج٢، ص٤٢، ٣٦٥ .

(٤) المقريزى، نفسه، ج٢، ص٤٢، ٣٦٥ .

(٥) المنذرى، التكملة لوفيات النقله، ج١، ص٤٤٠ .

(٦) المنذرى، نفسه، ج٣، ص٢٩٠، ٢٩١ .

(٧) المنذرى، نفسه، ج٣، ص٤٥٥. السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص١٢٤.

وهذه المدرسة درست وبالبحث وجد أن محلها اليوم دار وقف التلاوى رقم ١٠ بحارة الملطى (درب الحريرى سابقاً المتفرعة من سكة اللبودية بالحمزاوى)(١).

٣ - مدرسة بن الأرسوفى:-

قال المقريزى "هذه المدرسة كانت بالبذارين التى تجاور خط النخالين بمصر عرفت بابن الأرسوفى التاجر العسقلانى، وكان بناؤها فى سنة (٥٧٠هـ-١١٧٤م) وابن الأرسوفى هو عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن هبة الله الأرسوفى الشافعى المتوفى سنة (٥٩٣هـ-١١٩٧م)"(٢)، وقال عنها ابن دقماق "أنها من مدارس الفقهاء الشافعية"(٣).

---

(١) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص١٦ .

هذه المدرسة غير المدرسة القطبية التى ذكرها المقريزى فى ص٣٦٨ من الجزء الثانى من الخطط وهى المنسوبة إلى الأفضل قطب الدين شقيق عصمة الدين مؤنسة خاتون بنت العادل الأيوبى وهى التى أوقفها على الفقهاء الشافعية والحنفية وكان موضعها وقت إنشائها بحارة زويلة برحبة كوكاى، وقد حدد المقريزى تاريخ وقفها سنة ٦٠٥هـ- فى ص٣٩١ من الجزء الثانى من الخطط وهذا غير صحيح حيث يذكر المقريزى نفسه أن مولدها (أى عصمة الدين) كان فى سنة ٦٠٣هـ ووفاتها في سنة ٦٩٣هـ وأنها هى التى أوصت ببناء تلك المدرسة فكيف يتفق ذلك مع السنة ٦٠٥هـ وواقع الأمر أن تاريخ هذه المدرسة مجهول وترجح الدراسة أنها قد أنشئت فى العصر المملوكى أى بعد السنة ٦٤٨هـ.

(٢) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٣٩٤ .

- RagibYusuf, sur Deux Monuments funeraires du Cimetiere DAL-Qarafa Al- Kubra Au Cairo, Annales- Islamologiques, Institut francais D'archeologie orientale Du Cairo, Tome XII 1974., P. 81.

(٣) ابن دقماق، الإنتصار، جـ٤، ص٩٨ .

٤ - المدرسة التقوية :

ومن أشهر المدارس الشافعية التى أسست بمصر فى العصر الأيوبى المدرسة التقوية نسبة إلي واقفها تقى الدين عمر بن شاهنشاه وهو ابن أخي صلاح الدين الأيوبى[١].

وأول مايلاحظ عن تلك المدرسة هو أن تاريخ إنشائها غير واضح، وأكثر الذين نقلوا خبر إنشاء تلك المدرسة فى كتاباتهم قد أقروا بما لايحتمل الشك أن تقى الدين عمر كانت أول إقامته بمصر فى منازل العز[٢] بالقرب من باب القنطرة قبلى الفسطاط[٣]، فلما كانت سنة (٥٦٦هـ-١١٧٠م) إشترى تقى الدين منازل العز وبناها مدرسة للفقهاء الشافعية[٤]، وهذا التاريخ لايتفق مع ماأورده المقريزى من "أن تقى الدين عمر كان قد نزل بمنازل العز بعد زوال الدولة الفاطمية"[٥] والمعروف أن زوال الدولة الفاطمية يتفق والسنة (٥٦٧هـ-١١٧١م)[٦] ويضاف إلى ذلك

(١) وهو تقى الدين أبو سعيد عمر بن شاهنشاه كان صلاح الدين قد ولاه فى العديد من المناصب والتى كان من أهمها ولايته لحماة وهى التى فيها قبره. توفى سنة ٥٨٧هـ.
المقريزى، الخطط، ج٢، ص٣٦٤.

(٢) منازل العز من دور الخلفاء الفاطميين بنتها أم الخليفة العزيز بالله بن المعز وعرفت بمنازل العز وكانت تشرف على النيل وصارت معدة لنزهة الخلفاء .
- المقريزى، نفسه، ج٢، ص٣٦٤.

(٣) القلقشندى، صبح الأعشى، ج٣، ص٣٩١ .

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٣٦٦، سبط ابن الجوزى، مرآة الجنان، ج٨، القسم الأول ص٢٨٣ ، ٢٨٤- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣٨٦. النويرى، نهاية الأرب ج٢٨، ص٣٦٣. ابن الوردى (زين الدين عمر بن الوردى ت (٧٥٠هـ-١٣٤٩م)، تاريخ بن الوردى، مطبعة جمعية المعارف - القاهره - (١٢٨٥هـ-١٨٦٨م)، ج٢، ص٧٩ .

(٥) المقريزى، نفسه، ج٢، ص٣٦٤.

(٦) أبو شامه، الروضتين، ج١، ص١٩١- ابن واصل تاريخ الواصلين ورقة رقم (٣١)
Creswell K. A. C. The muslim architecture of, Egypt, exford unirersity Press, London, 1959. P. 130.

ماذكره المقريزى من "أنه - أى تقى الدين- كان قد أقام بها - أى منازل العز - مدة قبل عزمه على شرائها وتحويلها مدرسة"[١]، وكذلك لايتفق هذا التاريخ سنة (٥٦٦هـ- ١١٧٠م) مع ماذكره ابن دقماق من "أنه لما استقر ملك السلطان الملك الناصر صلاح الدين بمصر، ومات العاضد سير السلطان في طلب والده وإخوته وأولاده من الشام وخال السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى حتى مكنهم من التوجه فلما حضروا وأنزل ابن أخيه الملك المظفر تقى الدين عمر هذه المنظره - أى منازل العز- فلما استقر فيها اشتراها جميعها فلما قصد الملك الناصر التوجه إلي البلاد الشامية استناب عنه فى الديار المصرية ابن أخيه الملك تقى الدين عمر فلما جرى له ماجرى من قتله لعمارة اليمنى[٢] أوقف هذه الدار وماحولها مدرسة للشافعية ثم سافر لعمه الملك الناصر فملكه حماة"[٣].

ومعنى ذلك أن المدرسة التقوية فى رواية ابن دقماق قد أنشئت بعد موت العاضد سنة (٥٦٧هـ- ١١٧١م)، وخروج صلاح الدين إلى البلاد الشامية (سنة

---

(١) المقريزى، الخطط، ج٢، ص٣٦٤ .

(٢) هو الفقيه أبو محمد عمارة بن أبى الحسن بن زيدان بن أحمد الحاكمى اليمنى الملقب نجم الدين، الشاعر المشهور يمنى الأصل والمولد والنشأة. وكان إنتقاله إلى مصر فى حدود سنة ٥٥١ هـ. وكان عمارة قد إتصل بكبار الدولة الفاطمية الذين أحسنوا إليه وقدموه على الرغم من مخالفتهم له فى المذهب فلما زالت الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ قل حاله وكان ذلك سبباً فى إشتراكه فى مؤامرة مع العلويين فى محاولة فاشلة لإعادة الدولة الفاطمية أودت بقتله من بين ماقتل من أفراد المؤامرة سنة ٥٦٩هـ .

- ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٣، ص٤٣٢ ومابعدها .

(٣) ابن دقماق، الانتصار، ج٤،ص٩٣، ٩٤ .

(٥٧٠هـ- ١١٧٤م) وقبل سفر تقى الدين إلى حماه وتملكه إياها سنة (٥٧١هـ-١١٧٥م)[١]، وهو الأمر الذى دعى أحد الباحثين إلى اعتبار أن المدرسة التقوية قد أنشئت قبل السنه (٥٧١هـ-١١٧٥م) دون تحديد تاريخ بعينه لإنشاء هذه المدرسة[٢] أما غير المقريزى وابن دقماق فإننا نجد من المؤرخين من يذكر أن تقى الدين عمر كان قد بنى مدرسة منازل العز لشهاب الدين أبى الفتح محمد ابن محمود الطوسى الشافعى[٣]، والمعروف أن الشهاب الطوسى كان قد نزل مصر أول مانزل فى سنة (٥٧٩هـ-١١٨٣م) على حد رواية أحد معاصريه، وهو المنذرى[٤]، ومعنى ذلك أن منازل العز قد أنشئت فى حدود السنة (٥٧٩هـ-١١٨٣م) على حد مااعتمد فى ذلك أحمد فكرى[٥] وهو اعتماداً بعيداً كل البعد عن الآراء السابقة ولو كان ذلك صحيحاً لكان أولى بذكره المنذرى الذى اكتف بقوله عن الشهاب الطوسى من أنه "قدم مصر من مكة شرفها الله تعالى سنة

(١) ابن شداد، سيرة صلاح الدين، ص٣٥، ومابعدها :

(٢) عبد الرحيم غنيمه، تاريخ الجامعات الإسلامية، ص٨٨ .

(٣) الإسنوى، طبقات الشافعية، ج٢، ص٧٠. النعيمى (عبد القادر محمد الدمشقى ت ٩٢٧ هـ - ١٥٢٠م)، الدارس فى تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسينى - مكتبة الثقافة الدينية القاهره، ١٩٨٨م، ج١، ص٢١٦.

(٤) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج١، ص٣٦٥- الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٣٨٧ .

(٥) أحمد فكرى، مساجد القاهرة، ومدارسها، ج٢ ص٥٢ .

(٥٧٩هـ-١١٨٣م) ونزل خانقاه سعيد السعداء[١] بالقاهرة وتردد إليه فيها الفقهاء والطلبة ثم ولى التدريس بالمدرسة المعروفة بمنازل العز"[٢].

وواقع الأمر أن تاريخ إنشاء المدرسة التقوية غامض ويحتاج إلى تحديد وليس فى الإمكان إلا الميل للرأى السابق بأنها قد أنشأت قبل السنه (٥٧١هـ-١١٧٥م).

وأما عن أهم من قام بالتدريس بهذه المدرسة فهو الشهاب الطوسى (٥٢٢هـ: ١١٢٨م- ٥٩٦هـ:١١٩٩م) المذكور آنفاً وكان للشهاب هذا معيدون بالمدرسة التقوية فمن ذلك ماذكره أبو شامه عن الشيخ بهاء الدين على بن هبة الله من أنه كان أول من تولى مهمة الإعاده بالمدرسة التقوية للشهاب[٣]، وكذلك ماذكره المنذرى عن الفقيه الإمام أبى القاسم عبد الرحمن بن محمد بن اسماعيل القرشى

---

(١) بناها صلاح الدين سنة ٥٦٩هـ ورتب للصوفية فى كل يوم طعاماً ولحماً وخبزاً وبنى لهم حماماً بجوارهم فكانت أول خانقاه عملت بديار مصر وعرفت بدويره الصوفيه ونعت مشيختها بشيخ الشيوخ واستمر ذلك بعده وولى مشيختها الأكابر والأعيان كأولاد شيخ الشيوخ بن حمويه مع ماكان لهم من الوزارة والإمارة وتدبير الدوله وقياده الجيوش وتقدمة العساكر .

- المقريزى، الخطط، ج٢، صـ٤١٥ .

(٢) المنذرى، التكمله لوفيات النقله، ج١، ص٣٦٥- .

المعروف أن عوده تقى الدين عمر إلى مصر تتفق والسنه (٥٧٩هـ-١١٨٣م) أيضاً وربما أنه قد رتب فى هذه العوده الشهاب الطوسى - بمدرسته .

المقريزى، الخطط، ج٢، ص٣٦٤ .

(٣) أبو شامه (عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى. ت ٦٦٥هـ ١٢١٧م)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين، تصحيح محمد زاهد بن الحسن الكوثرى، وراجع أصله السيد عزت العطار الحسينى، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٩٤٧م، ص١٨٧ .

الشافعى المتوفى سنة ٦١٦هـ، من أنه "تفقه على الإمام أبى الفتح محمد بن محمود الطوسى المنعوت بالشهاب وانقطع إليه مدة وتخرج به وكان أحد المعيدين له بالمدرسة المعروفة بمنازل العز"[١] ثم تلا الشهاب الطوسى فى الجلوس للتدريس بالمدرسة التقوية جماعة منهم قاضى القضاة عماد الدين بن السكرى[٢]، وهو أبو القاسم عبد الرحمن الطوسى بن عبد العلى السكرى[٣]، ومولده بمصر سنة (٥٣٣هـ-١١٣٨م) تفقه على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه على الفقيه أبى الفتح محمد بن محمود الطوسى المنعوت بالشهاب وولى قضاء القضاة بالديار المصرية والخطابة بالقاهرة وولى التدريس بمنازل العز بمصر إلى حين وفاته فى سنة (٦٢٤هـ-١٢٢٧م)[٤]، وكان بداية جلوسه- أى عماد الدين- لمهمة التدريس بهذه المدرسة فيما بين سنتى (٦٠٥هـ:٦١٣هـ-١٢٠٨م: ١٢١٦م) طبقاً لرواية الفيومى[٥]، وقد تولى الإعادة لأبى القاسم هذا بمنازل العز طبقاً لرواية المنذرى أبو الطاهر اسماعيل بن طاهر بن حسن الحسينى الشافعى المعروف بابن الماوردى المتوفى سنة (٦٢٩هـ-١٢٣١م)[٦]، وقد قام بالتدريس

(١) المنذرى، التكمله لوفيات النقله، جـ٢،ص٤٦٧ . السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص١٨٤ .

(٢) ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص٩٤ .

(٣) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٣٦٤ .

(٤) المنذرى، التكملة لوفيات النقله، ج٢، ص١٦٥- النويرى، نهاية الإرب، ، ج٢٩، ص١٤٢.

(٥) الفيومى، (أحمد بن محمد بن على الحموى أبو العباس. ت بعد ٧٧٠هـ-١٣٦٨م) نثر الجمان فى تراجم الأعيان، مخطوط بدار الكتب المصرية تاريخ ١٧٤٦، ورقة رقم (١١) .

(٦) المنذرى، التكملة لوفيات النقله، ج٢، ص٣٦٥ .

بالمدرسة التقوية بعد قاضى القضاة أبو القاسم عبد الرحمن ابن لـه يدعى شرف الدين محمد بن عبد الرحمن[١] وكان على طريقة والده فى السكون والوقار والمعاملة الجميلة[٢]. ، وقد استمر الحال على ذلك - أى توالى أولاد السكرى على التدريس بهذه المدرسة إلى أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب فتولاها قاضى القضاة بدر الدين أبى المحاسن السنجارى ثم رجع تدريسها إلى أولاد السكرى، وهى معهم إلى أيام ابن دقماق[٣].

أما أشهر تلاميذ هذه المدرسة فى العصر الأيوبى فهو الشيخ الفقيه صالح بن صارم الأنصارى، وكذا الحافظ المنذرى حيث ذكر أنه قد استمع مع صالح هذا فى منازل العز المدرسة المشهورة بمصر[٤] .

وقد بقيت تلك المدرسة عامرة بالعلم والعلماء إلى زمان المقريزى[٥] ومحلها اليوم مجموعة المبانى التى تحد من الغرب بشارع مصر القديمة ومن الجنوب مدخل شارع المرحومى وحارة الشراقوة، وعطفة زاهر ومن الشرق جنينه الجعجعى وعطفة الإسرلى ومن الشمال شارع القبوة وأما المدرسة التقوية فتعرف اليوم باسم جامع شهاب الدين أحمد المرحومى الذى يتوسط هذه المنطقة بشارع المرحومى بمصر القديمة[٦].

(١) ذكر ذلك بن دقماق ولكنه لقبه (بفخر الدين) لاشرف الدين .

- ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص٩٤ .

(٢) المقريزى، المقفى الكبير، ج٦، ص٣٥ المنذرى، التكمله لوفيات التقله، ج٣، ص٣١٩ .

(٣) إبن دقماق، الانتصار، ج٤، ص٩٤ .

(٤) المنذرى، التكمله لوفيات النقلة، ج٣، ص٣١٩ .

(٥) المقريزى، الخطط، ج٢، ص٣٦٤ .

(٦) إبن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣٨٦ .

هـ- المدرسة الناصرية الثانية :

ذكر المؤرخون فى حوادث سنة (٥٧٢هـ-١١٧٦م)[١] أن الملك الناصر صلاح الدين قد أمر ببناء تلك المدرسة بجوار تربه الإمام الشافعى[٢]، ويتضح من خلال ماحكاه ابن جبير عن تلك المدرسة أثناء مشاهداته التى عاينها بمصر وذلك فى أواخر سنة (٥٧٨هـ-١١٨٢م) أن البناء بهذه المدرسة كان لايزال متصلاً إلى هذه السنة[٣] وقد استمرت تلك المدرسة طوال العصر الأيوبى من أعظم مدارس مصر[٤] وقد وصفها السيوطى بقوله: "وينبغى أن يقال لها تاج المدارس وهى أعظم مدارس الدنيا على الإطلاق لشرفها بجوار الإمام الشافعى ولأن بانيها أعظم الملوك وليس

---

(١) إتفقت كل المصادر التاريخية على ذلك التاريخ الذى بنيت فيه تلك المدرسة إلا أن ابن الطولونى قد أثبت ذلك خطأ فى حوادث سنة ٥٦٩هـ .

- ابن الطولونى (حسين بن حسن ٨٣٢هـ:٩٠٩هـ- ١٤٢٨م:١٥٠٣م) النزهة السنية فى أخبار الخلفاء والملوك المصرية مخطوطه بدار الكتب المصرية تاريخ ٢٢٥٣، ورقة رقم ١٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٤٤٠- سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان، ج٨، القسم الأول، ص٣٣٩. النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٣٦٤ . البندارى (الفتح بن على البندارى ت ٦٤٢هـ-١٢٤٤م)، سنا البرق الشامى، تحقيق فتحيه النبراوى - مكتبة الخانجى، القاهرة ١٩٧٩م، صـ٢٠.

R. L Deuorshire, 1' Egypte Musulmane Maisonne Uvefrere Paris 1926. P. 52 .

(٣) ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد الكفانى ت ٦١٤هـ ١٢١٧م) (رحلة بن جبير) دار مكتب الهلال بيروت ١٩٨١م ص٥٠.

lane- Poole,Ahistory of Egypt in the middle Ages, methuen and co london, 1901/. p 204.

(٤) ابن سعيد المغربى (على بن موسى) النجوم الزاهرة فى حلى حضره القاهرة تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠، ص١٠.

فى ملوك الإسلام مثله لاقبله ولابعده بناها السلطان صلاح الدين بن أيوب رحمه الله تعالى سنه إثنين وسبعين وخمسمائه"(١)، ومن الطبيعى أن تكون تلك المدرسة وقفاً على فقهاء المذهب الشافعى.(٢).

وقد رتب فى هذه المدرسة جماعة من أجل شيوخ المذهب كان أولهم الفقيه نجم الدين أبو البركات محمد بن موفق بن سعيد الخبوشانى الشافعى الصوفى وهو الذى أنشئت المدرسة من أجله فكان ناظرها ومدرسها إلى أن مات في سنه (٥٨٧هـ-١١٩١م)(٣) ثم تلا نجم الدين فى الجلوس بهذه المدرسة للتدريس جماعة من الفقهاء إلى أن تولاها صدر الدين بن حموية فى نهاية سنة (٥٨٨ هـ-١١٩٢م)(٤)، وقد تولى مهمة الإعادة بهذه المدرسة لصدر الدين بن حموية أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب المنعوت بالجمال المتوفى سنة (٦٣٩هـ-١٢٤١م)(٥).

ومن الذين تولوا التدريس فى هذه المدرسة أبو الفتح القضاعى الشيرازى الملقب بالمرتضى المتوفى سنة (٥٩٨هـ-١٢٠١م)(٦)، ومن الذين تولوا الإعاده فى

(١) السيوطى، حسن المحاضره، ج١ ص٢٥٧ - سعيد اسماعيل على (معاهد التربية الإسلامية) ص١٧٨ .

(٢) المقريزى، الخطط، ج٢، ص٤٠٠ .

(٣) العماد الكاتب الأصفهانى، الفتح القسى فى الفتح القدسى، مطبعة الموسوعات، القاهرة، سنة ١٣٢٣هـ، ص٢٩٧ - الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٢٠٥.

(٤) العماد الأصفهانى الفتح القسى، ص٢٩٧- السبكى، طبقات الشافعية، ج٦، ص٢٥.

(٥) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص٢٧١.

(٦) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٢٨، ص٣٨٩- ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات - مجلد أربعة، ج٢، ص٢٤٤ .

هذه المدرسة السيف الأمدى وهو أبو الحسن على بن أبى على بن محمد المتوفى فى سنة (٦٣١هـ-١٢٣٣م) إذ تذكر لنا المصادر التاريخية إنه لما قدم إلى مصر تولى الإعادة بالمدرسة التى بجوار تربة الشافعى(١)، ومنهم أيضاً القاسم بن على المنعوت بالشرف المتوفى سنة (٦٢٧هـ-١٢٣٠م) الذى قال عنه المنذرى أنه قد تولى مهمة الإعادة بهذه المدرسة(٢) ومن أشهر تلاميذ تلك المدرسة فى العصر الأيوبى أبو الربيع سليمان بن أبى إسحاق إبراهيم، ومولده بإحدى قرى الغربية سنة (٥٩٦هـ-١٢٠١م)، قال فيه صاحب صلة التكملة "كان فقيهاً بالمدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعى رضى الله عنه بقرافة مصر وانقطع بها مدة"(٣).

وقد ظلت هذه المدرسة موضع رعاية من سلاطين مصر من ناحية تجديدها وتوسيعها(٤) وموضعها اليوم مسجد الإمام الشافعى رضى الله عنه(٥).

---

(١) إبن أسعد اليافعى، مرآة الجنان، ج٤، ص٧٤ . أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل بن على ت ٧٣٢هـ-١٣٣١م)، المختصر فى أخبار البشر. القاهرة، ١٣٣٥هـ، ج٣، ص١١٦٣. العينى، عقد الجمان مخطوط بدار الكتب المصرية، تاريخ تيمور ٩١٩، ورقة رقم ١٦٣.

(٢) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص٢٧١- العينى، عقد الجمان مخطوطه بدار الكتب المصرية، حوادث سنة ٦٢١، ٦٣٥هـ، ورقة رقم ١٦٣ .

(٣) مجهول، جزء من صله التكمله، مخطوط بدار الكتب، تاريخ ٢٩٨، ورقه رقم ١٩٠ .

(٤) مؤلف مجهول، إنسان العيون فى مشاهير سادس القرون، مخطوط بدار الكتب المصرية، تاريخ تيمور ٩١٩ ورقة رقم ٩٥ .

(٥) Saladin H. manuel D'Art musulman, paris. 1907 P. 113 .

٦-مدرسة المشهد الحسينى:

وهى من جملة المدارس التى أنشأها صلاح الدين الأيوبى على حد قول ابن خلكان[١]، وعلى الرغم من ذلك فإننا لم نجد أحداً من الذين اختصوا بخطط مصر وآثارها قد ذكر شيئاً عن هذه المدرسة، عدا ماذكره لنا صاحب تحفة الأحباب الذى قال عنها "وأما المدرسة التى بجانبه - أى المشهد الحسينى - فإن السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب لما ملك الديار المصرية جعل بها تدريساً، وأوقف لها وقفا فلما وزر معين الدين بن شيخ الشيوخ بن حموية، فوض إليه الأمر بالمشهد بعد إخوته فجمع أوقافه، وبنى بها إيواناً للتدريس وبيوتاً للفقهاء"[٢].

وهذه المدرسة من جمله المدارس التى لم تعيننا المصادر التاريخية على ضبط تاريخ إنشاءها ولاالمذهب الذى خصصت من أجله، فقد انحصرت معلوماتنا عن تلك المدرسة فى اثنين من الذين تولوا مهمة التدريس بها، وهما شهاب الدين محمد ابن إبراهيم الحموى المعروف بإبن الجاموس المتوفى سنة (٦١٥هـ-١٢١٨م)[٣]، وشيخ الشيوخ صدر الدين محمد بن عمر بن حموية الجوينى المتوفى سنة (٦١٧هـ-١٢١٩م)[٤]، ومن الذين تولوا الإعادة بهذه المدرسة أبو الطاهر إسماعيل ابن الطاهر بن الحسينى المعروف بابن الماوردى المتوفى سنة ٦٢٧ هـ-١٢٢٩م[٥]، وأبو

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٧، صـ٢٠٧. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهره، جـ٦، صـ٥٥.

(٢) السخاوى «أبو الحسن نور الدين» تحفة الأحباب، وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات، مكتبة علوم، القاهره (١٣٥٦هـ،١٩٣٧م) صـ٩٥.

(٣) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، جـ٨، صـ٤٥- السيوطى، حسن المحاضرة، جـ١، ص٤١٠.

(٤) السبكى، طبقات الشافعية، الكبرى، جـ٨، صـ٩٦، ٩٧.

(٥) المنذرى، التكملة لوفيات النقله، جـ٣، صـ٢٨٥، ٢٨٦.

إسحاق إبراهيم بن يعقوب المنعوت بالجمال المتوفى سنة (٦٣٩هـ -١٢٤١هـ) والذى ذكر عنه المنذرى أنه تولى الإعاده بالمشهد الحسينى[١].

وبمراجعة تراجم هؤلاء المدرسين والمعيدين يمكننا أن نرجح أن هذه المدرسة كانت وقفاً على الفقهاء الشافعية، إذ كلهم كانوا على ذلك المذهب وبالطبع فإننا لم نعلم عن تلك المدرسة بعد ذلك أى معلومات ويعتقد أحد الباحثين أن موضعها الآن يشغله المسجد المعروف بالقاهره بمسجد الإمام الحسين رضى الله عنه[٢].

٧ـ المدارس الشافعية بالفيوم:

قال النابلسى "وبالفيوم خمسة مدارس ثلاثة منها شافعية"[٣]، وبمراجعة ماكتب عن صلاح الدين وجدنا ابن دقماق يشير إلى أنه - أى صلاح الدين- قد بنى بالفيوم مدرسة للفقهاء الشافعية[٤]، فهذه واحدة، وأما المدرسة الثانية فقد ذكرت لنا المصادر التاريخية عن تقى الدين عمر بن أخى صلاح الدين من أنه بنى بالفيوم مدرستين أحدهما للشافعية وذلك لما كانت الفيوم إقطاعاً لها[٥] .

ومن المحتمل أن هاتين المدرستين من بين المدارس الثلاثة التى أشار إليها النابلسى، وليس لدينا بعد ذلك أى معلومات عن المدرسة الثالثة، والتى نعتقد أنها المدرسة الحسامية الشافعية على حد ماوصفها النابلسى.[٦]

---

(١) المنذرى، التكملة لوفيات النقله، جـ٣، صـ٥٧٨.

(٢) مصطفى عبد الله شيحه (الأثار الإسلامية فى مصر من الفتح العربى حتى نهاية العصر الأيوبى ص١٨ .

(٣) النابلسى (أبو عثمان) تاريخ الفيوم وبلاده، دار الجيل، بيروت، سنة ١٩٧٤م، ص٢٩.

(٤) ابن دقماق، (صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أيدمر ت (٨٠٩هـ- ١٤٠٦هـ). الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين على، عالم الكتب. بيروت، طـ١ (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) جـ٢، صـ١٨ .

(٥) ابن خلكان، وافيات الأعيان، جـ٣، صـ٤٥٦- بن الفرات، تاريخ بن الفرات مجلد ٤، جـ٢ ، صـ٤٨.

(٦) النابلسى، تاريخ الفيوم. ص١٧٧.

٨ـ المدرسة السيفية :

قال المقريزى "هذه المدرسة بالقاهرة فيما بين خط البندفانيين وخط الملاحين، وموضعها من جملة دار الديباج"(١)، وأما ابن عبد الظاهر فقد ذكر "أنها كانت داراً من المدرسة القطبية كان قد سكنها شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه، ثم أن سيف الإسلام طغتكين بن أيوب(٢) ت سنة (٥٩٣هـ-١١٩٧م)، أوقفها فى أيام وزارة صفى الدين بن شكر مدرسة وولى فيها عماد الدين ولد القاضى صدر بن درباس مدرساً بها(٣). وقال اليونيين وهو الأقرب "مدرسة سيف الإسلام طغتكين بن أيوب صاحب اليمن كانت داره لما كان بالقاهرة، ثم جعلها مدرسة وهى بخط البندقانين بالقاهرة"(٤) .

---

(١) المقريزى، الخطط، ج٢، ص٣٦٨ .

كانت قديماً داراً للوزارة وسكناً للوزراء على عهد الفاطميين، المقريزى نفسه ج١ ص٤٦٤ .

(٢) هو سيف الإسلام الملك الوزير طغتكين بن أيوب بن شادى صاحب اليمن كان أخوه الملك الناصر صلاح الدين لما ملك الديار المصرية قد سير أخاه شمس الدولة إلى بلاد اليمن فدخلها واستولى على كثير من بلادها ثم رجع عنها فى سنة (٥٧٦هـ/١١٨١م) ثم سير السلطان صلاح الدين إليها بعد ذلك أخاه سيف الإسلام وذلك فى سنة (٥٧٧هـ-١١٨٢م) وكان رجلاً شجاعاً كريماً مشكور السيرة وحسن السياسة مقصوداً من البلاد الشاسعة لإحسانه وبره وكانت وفاته فى سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٧م بالمنصورة مدينة أختطها باليمن وتولى بعده ولده الملك المعز فتح الدين إسماعيل .

- إبن أسعد اليافعى، مرآة الجنان، جـ٣، ص٤٧٥ .

(٣) ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص٩٠، المقريزى، الخطط،ج٢، ص٣٦٨.

(٤) اليونينى (قطب الدين أبو الفتح موسى بن أحمد بن قطب الدين ت ٧٢٦هـ-١٣٢٤م)، زيل مرآة الزمان- دار الكتاب الإسلامى، القاهره، (١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، ج٤، ص١٦٦.

ومن الملاحظ أن هذه المدرسة ضمن المدارس التى لم يفصح المؤرخون عن تاريخ إنشائها ولا عن المذهب الذى خصصت من أجله، ولم يكن ماكتبوه عنها بأنها أنشئت فى أيام وزارة صفى الدين بن شكر صحيحاً لاسيما، إذا عرفنا أن وزارته - أى صفى الدين - كانت بعد سنة (٥٩٦هـ-١١٩٩م)(١)، أى بعد استيلاء الملك العادل على ولاية مصر وذلك طبقاً لرواية المقريزى نفسه، والمعروف أن وفاة سيف الإسلام طغتكين كانت فى سنة (٥٩٣هـ- ١١٩٧م)(٢). فكيف يتفق ذلك .

أما عن المذهب الذى خصصت من أجله هذه المدرسة فمن المحتمل أنها كانت من مدارس الفقه الشافعى، ودليل ذلك فيما كتبه المؤرخون عن مدرسى تلك المدرسة، والذين كانوا جميعاً على المذهب الشافعى فمن ذلك ماذكره المنذرى عن أبى الطاهر إسحاق بن عبد الملك بن عيسى بن درياس المارانى الشافعى المتوفى فى سنة (٦٠٠هـ-١٢٠٣م) من "إنه درس بالمدرسة السيفية بالقاهرة"(٣)، وكذلك ماذكره الإسنوى والسبكى عن عماد الدين أبى عمرو عثمان الكردى المتوفى سنة (٦٢٠هـ-١٢٢٣م) من "أنه لما قدم مصر درس بالمدرسة السيفية"(٤)، وماذكره السيوطى عن على بن أحمد بن محمود بن الغزنوى توفى سنة (٦٣٣هـ-١٢٣٥)م من "أنه درس بالمدرسة السيفية"(٥)، وماذكره صاحب صلة التكملة عن أبى حامد

---

(١) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٣٧١ .

(٢) ابن أيبك الدويدارى (أبو بكر بن عبد الله) كنز الدرر وجامع الغرر تحقيق د/سعيد عبدالفتاح عاشور، القاهرة، ١٣٩١هـ، ١٩٧٢م جـ٧، صـ١٣١ . - ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص١٤١.

(٣) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٢، ص٣٨ .

(٤) الإسنوى، طبقات الشافعية، ج٢، ص١٨٦، السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٣٨٨ .

(٥) السيوطى، حسن المحاضرة، ج١، ص٤٦٥ .

محمد بن عبد الملك بن درباس ومولده بمصر سنة (٥٧٦هـ- ١٢٧٧م) من "أنه قد تولى التدريس بالمدرسة السيفية مدة"[١]، وكذلك ماقيل عن بن سالم الكنانى المصرى من "أنه أعاد بالمدرسة السيفية وتوفى سنة (٦٣٤هـ-١٢٣٦م)"[٢]، وكذلك ماذكره البونينى عن إدريس بن صالح المصرى إمام المدرسة السيفية من "أنه فى سنة (٦٣٧هـ-١٢٣٩م) جلس بهذه المدرسة للسماع من القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان"[٣]، والمعروف أن ابن خلكان كان من الشافعية.

٩- مدرسة أسوان :

وهى من المدارس التى استدل على وجودها فى العصر الأيوبى من خلال ماترجم من حياة القاضى أبى الطاهر إسماعيل بن محمد بن حسان الأسوانى الأنصارى الشافعى، وهو المتوفى سنة (٥٩٩هـ-١٢٠٢م) إذ ذكر لنا الأدفوى "أنه كان - أى أبو الطاهر - حاكماً بأسوان ومدرساً بمدرستها"[٤]، وبالطبع فإننا نميل إلى اعتبار تلك المدرسة من مدارس الفقهاء الشافعية نظراً إلى ماكان عليه مدرسها من المذهب الشافعى.

(١) مجهول، جزء من صلة التكملة، تاريخ ٢٩٨، ورقة رقم ٢٠٦ .

(٢) الإسنوى، طبقات الشافعية، ج٢، ص١٨٧- السبكى، طبقات الشافعية الكبرى ج٨، ص٣٨٨ .

(٣) اليونينى - ذيل مرآة الزمان، ج٤، ص١٦٦ .

(٤) الأدفوى، الطالع السعيد، ص١٦٦- السيوطى، حسن المحاضرة ج١، ص٤٠٨ .

١٠ـ المدرسة الهكارية :

ذكر هذه المدرسة السخاوى فى تحفة الأحباب[١] كما وصل إلينا خبر هذه المدرسة من خلال ماكتبه المؤرخون عن أول مدرس لهذه المدرسة وهو أبو عمرو عثمان الهذبانى المعروف بضياء الدين بن درباس إذ قالوا "أن جمال الدين الهكارى كان قد وقف عليه مدرسة بين القصرين بالقاهره وبقى فى تدريسها إلى أن توفى سنة (٦٠٢هـ- ١٢٠٥م)[٢]، وتميل الدراسة إلى اعتبار هذه المدرسة من مدارس الشافعية ذلك لأن ضياء الدين المذكور من أئمة الشافعية فى زمانه .

١١ـ مدرسة الشريف فخر الدين بن ثعلب:

حدد المقريزى موقع هذه المدرسة وقت إنشائها بدرب كركامة على رأس حارة الجودرية بالقاهرة[٣] وذكرها ابن عبد الظاهر فى خططه "بأنها كانت داراً أوقفها الشريف فخر الدين أبو نصر إسماعيل بن ثعلب بن يعقوب الزينى"[٤]، وهو أحد أمراء مصر فى الدولة الأيوبية وتاريخ إتمام هذه المدرسة فى خطط المقريزى سنة (٦١٢هـ-١٢١٥م)، ووقفها الشريف فخر الدين للفقهاء الشافعية[٥]، ولـــه فـــى

---

(١) السخاوى، تحفة الأحباب، ص٨٧ .

(٢) المنذرى، التكمله لوفيات النقلة، جـ٢،ص٩٠ - ابن أسعد اليافعى، مرآة لجنان، جـ٤، صـ٣- الأسنوى، طبقات الشافعيه جـ١، ص٧٠ - السبكى - طبقات الشافعية الكبرى، جـ٨، صـ٣٣٧ .

(٣) المقريزى، الخطط، جـ٢، صـ٣٧٣ .

- Creswell, K. A. C. op. Cit. P. P. 79,/130.

(٤) ابن عبد الظاهر، الروضه البهية، صـ٩١ .

(٥) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٣٧٣ .

وقفها حكاية مؤداها أن الشريف فخر الدين كان قد تشفع للفقيه بن الوراق عند العادل الأيوبى فشفع له، وقد اتفق ذلك مع رؤيا لابن الوراق محصلتها أن خلاصه من يد العادل سيكون علي يد واحد من أهله (صلى الله عليه وسلم) صحيح النسب يقول بن عبد الظاهر أن الشريف بن ثعلب لما علم بذلك، قال لإبن الوراق (ياسيدى اشهد على أن جميع ماأملكه وقف وصدقه شكراً لهذه الرؤيا) وخرج عن كل مايملكه وكان من جمله ذلك المدرسة الشريفية والتى كانت فى الأصل مسكنه ووقف عليها أملاكه[١]، وكان الشريف إسماعيل بن ثعلب قد توفى سنة ٦١٣هـ-١٢١٦م، ولم تعيننا المصادر التاريخية على معرفة من تولوا مهمة التدريس بهذه المدرسة، باستثناء ماكتبه المنذرى عن أبى العز المظفر الذى سبق الإشارة إليه فى المدرسة السلفية من أنه لما فقدت منه مهمة التدريس بالمدرسة السلفية إنتقل إلى القاهرة، وتولى التدريس بمدرسة الشريف بن ثعلب ويظهر لنا من تاريخ وفاته سنة (٦١٢هـ-١٢١٥م) أنه كان من أوائل الذين تولوا التدريس بهذه المدرسة[٢].

وفى كتاب مساجد مصر وأولياؤها الصالحون دراسة حول البقايا الأثرية لهذه المدرسة. وقد خلصت تلك الدراسة إلى أنه لم يبق من المدرسة سوى المدخل والإيوان ومحلها اليوم بشارع سيدى عقبه.[٣]

(١) إبن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص٩١، المقريزى، الخطط، ج٢، ص٣٧٣ .

(٢) إنظر الرسالة، الفصل الأول .

(٣) سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج٢، ص١٩٤ .

١٢-«المدرسة الكاملية»:

فى حدود سنة (٦٢٢هـ-١٢٢٥)م بنى الملك الكامل (٦١٥هـ-١٢١٨م: ٦٣٥هـ-١٢٣٧م) المدرسة الكاملية، والتى اصطلح على تسميتها (بدار الحديث)(١) نظراً لأن واقفها الملك الكامل قد جعلها باتفاق المؤرخين لتدريس علم الحديث ومايلحق بذلك من علوم(٢)، وقد بين لنا المقريزى "أن موضعها كان داراً تعرف بابن كستول بسوق الوراقين بخط بين القصرين"(٣)، والظاهر أن السبب وراء اعتبارها مدرسة أن الكامل قد جعل بها دروساً فى الفقه فقد ذكر لنا القلقشندى "أن الملك الكامل بعد أن ابتنى دار الحديث الكاملية قرر بها مذاهب الأئمة الأربعة"(٤)، وأما المقريزى فقد ذكر لنا "أنها -أى المدرسة الكامليه- ثانى دار عملت للحديث فإن أول من بنى داراً على وجه الأرض الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بدمشق ثم بنى الكامل هذه الدار ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوى ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعيه"(٥)،ولم يكن لدينا أى دليل لترجيح ماإذا كانت المدرسة الكاملية قد جعل بها درساً فى الفقه الشافعى على حد قول المقريزى، أو جعل بها دروساً للمذاهب الأربعة على حد قول القلقشندى، وحتى ماذكره لنا السلامى عن إبراهيم

---

(١) Lane - Poole, Op. Cit, P. 230.

(٢) ابن عبد الظاهر، الروض البهية، ص٨٦- ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٣٠- السخاوى تحفة الأحباب، ص٧٨- الكرمى (مرعى بن يوسف ت ١٠٣٣هـ-١٦٢٣م)، نزهة الناظرين فى تاريخ من ولى مصر من الخلفاء والسلاطين، مخطوط بدار الكتب المصرية، تاريخ ٢٠٧٦، ورقة رقم ٥٥ .

(٣) المقريزى، الخطط، ج٢، ص٣٧٥ .

هذا الخط أعمر أخطاط القاهرة وأنزهها وقد كان فى الدولة الفاطمية فضاء كبير وبراحاً واسعاً يقف فيها عشرة آلاف من العسكر مابين فارس وراجل فلما انقضت أيام الدولة الفاطميه وخلت القصور من أهاليها ونزل بها أمراء الدولة الأيوبية وغيروا معالمها. صار هذا الموضع سوقاً.

المقريزى الخطط ج٢ ص٢٨.

(٤) القلقشندى، صبح الأعشى، ج٣،ص٤١٥ .

(٥) المقريزى، الخطط، جـ٢، صـ٣٧٥.

ابن سعد الرومى الحنبلى من "أنه ألقى دروساً بدار الحديث الكاملية فى حدود السنة (٦٣٩هـ-١٢٤١م)[١] لايعد دليلاً على ماقاله القلقشندى لأن السلامى لم يكن ليفصح لنا عن طبيعة الدروس التى كان قد ألقاها ابن سعد وربما أنها كانت دروساً فى علم الحديث ولعلنا نميل إلى ماكتبه المقريزى راجع ذلك إلى أن المعلومات التى وردت إلينا عن شيوخ تلك المدرسة فى العصر الأيوبى وهم ثلاثة، تفيد بأنهم جميعاً كانوا على مذهب الشافعى فى الغالب، وهم أبو الخطاب عمر بن الحسن بن على بن دحية المتوفى سنة (٦٣٣هـ-١٩٣٩م) الذى كان أول من تولى مشيختها - أى المدرسة الكاملية - والتدريس بها إلى أن عزله الكامل من مشيختها وأسند ذلك إلى أخيه أبى عمرو عثمان بن الحسن بن على بن دحية الذى ظل بها إلى حين وفاته سنة (٦٣٤هـ-١٢٣٧م)[٢]، ثم تولاها من بعده الحافظ عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى المتوفى سنة (٦٥٦هـ-١٢٥٨م) والذى بقى فى مشيختها طيلة أكثر من عشرين سنة[٣].

وهذه المدرسة تهدم معظمها فيما بعد ذلك، وقد قام علماء الآثار بدراسة حول بقايا المدرسة الكاملية والتى تقع الآن بشارع المعز[٤].

---

(١) السلامى (أبو المعالى محمد بن رافع) المنتخب المختار فى تاريخ علماء بغداد، مطبعة الأهالى، بغداد (١٣٥٧هـ، ١٩٣٨م) ص١٠.

(٢) اليونينى، ذيل مرآة الزمان، جـ٢، ص٤٢٧-٤٢٨- المقريزى، الخطط، جـ٢ ص٣٧٥ .

(٣) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، جـ٨، ص٢٥٩، - العينى، (بدر الدين محمد ت ٨٥٢ هـ-١٤٥١) عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٧٨، ١٨٩- اليونينى، ذيل مرآة الزمان، جـ١ ،ص٢٤٨، ٢٤٩، الذهبى (شمس الدين محمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ-١٣٧٤م)، تذكرة الحفاظ. دار الكتب العلميه. بيروت، لبنان، (١٣٧٧هـ-١٩٥٨م)، ج٤، ص٣٧٥.

(٤) سعاد ماهر محمد، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج٢ ص٢٠٦- أحمد فكرى، مساجد مصر ومدارسها، جـ٢، ص٥٥ .

Creswell, K. A. C, Op. Cit. P. 80.

١٣- المدرسة القوصية:

قال ابن عبد الظاهر "وهذه المدرسة بالقاهره بدرب سيف الدولة بالقرب من درب ملوخيا[١] وقفها والى قوص الكردى"[٢]، ولم يذكر أحد بعد ذلك تاريخ إنشائها ولا المذهب الذى أسست من أجله ويحدثنا المنذرى عن اثنين من الذين تولوا التدريس بهذه المدرسة والتى أسماها المنذرى تارة بمدرسة قاضى قوص وتارة أخرى بمدرسة والى قوص والتى نعتقد أنها نفس المدرسة التى نحن بصدد الحديث عنها، حيث يذكر المنذرى عن أبى الحسين يحيى بن أبى السعادات منصور بن يحيى بن الحسن السليمانى اليمانى المتوفى سنة (٦٣١هـ- ١٢٣٣م) المقرئ الشافعى بمشهد الحسين عليه السلام "أنه تفقه على الشهاب الطوسى ودرس بمدرسة قاضى قوص بالقاهرة"[٣] وكذلك ماكتبه عن أبى الفضائل لقمان بن حسن بن بهرام بن بديل الشافعى المتوفى سنة (٦٣٨هـ-١٢٤٠م) من "أنه تولى الحكم بثغر دمياط وغيره ودرس بالمدرسة المعروفة بوالى قوص بالقاهرة مدة"،[٤] ونعتقد اعتماداً على ماذكره المنذرى فى هاتين الترجمتين أن هذه المدرسة كانت من مدارس الفقهاء الشافعية فقد لاحظنا أن أبا الحسين يحيى وأبا الفضائل لقمان كانا على المذهب الشافعى وقد ذكر لنا على مبارك فى خططه أن هذه المدرسة ظلت عامره إلى زمانه وهى التى تعرف بزاوية حارة القرافة[٥].

---

(١) عرفت بهذا الاسم نسبة إلى ملوخيا صاحب ركاب الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى. المقريزى، الخطط، ج٢، ص٣٨ .

(٢) ابن عبد الظاهر الروضه البهية، ص٩١- المقريزى، الخطط،ج٢، ص٣٧٨ .

(٣) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، جـ٣،ص٣٦٨ .

(٤) المنذرى،التكمله لوفيات النقله، جـ٣، ص٥٦١، ٥٦٢ .

(٥) على «باشا» مبارك (الخطط التوفيقية الجديده لمصر القاهره ومدنها وبلادها القديمه والشهيره) الهيئة المصرية للكتاب، القاهره، ١٩٨٧م، ح٦، ص٣٥ .

١٤-المدرسة الفائزية :

قال عنها ابن دقماق "والمدرسة الفائزية عمرها الصاحب شرف الدين عبد الله بن صاعد الفائزى[١]. قبل وزارته فى شهور سنة (٦٣٧هـ-١٢٣٩م)"،[٢] وهى من مدارس الشافعية على حد قول المقريزى والذى لاندرى كيف ضمنها -أى المدرسة الفائزية- بين مدارس القاهره والفسطاط[٣] والمتوافر من معلومات عن تلك المدرسة أنها كانت بأسيوط[٤]، ويتضح ذلك من خلال ماأورده اليونينى عن الفتح ابن موسى من "أنه لما انتقل إلى الديار المصرية فى سنة (٦٤٣هـ-١٢٤٥م) تولى التدريس بالمدرسة الفائزية بمدينة أسيوط زماناً ثم تولى القضاء بها أيضاً وكانت وفاته بها فى سنة (٦٦٣هـ- ١٢٦٤م)"[٥]، وبالطبع فإن هذه المدرسه اليوم قد اندثرت ولانعلم عنها شيئاً يذكر.

---

(١) أحد أمراء الدولة الأيوبية كان فى أول أمره نصرانيا من مدينة أسيوط قدم القاهره وأسلم فى أيام الملك الكامل وخدم عند الملك الفائز إبراهيم عبد الملك العادل فنسب إليه وظل من يومئها يتنقل بين المناصب الكبرى بالدولة الأيوبيه مقدماً عند الخاصه والعامه إلى أيام عز الدين أيبك التركمانى ثم إنه قد ساءت أحواله بعد مقتل عز الدين أيبك وانتهى به المصير إلى قتله سنة ٦٥٥ه.

- المقريزى، الخطط، جـ٢، صـ٩٠ .

(٢) ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص٩٢- القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، صـ٣٩١.

(٣) المقريزى، الخطط، جـ٢، صـ٣٦٥ .

(٤) أحمد أحمد بدوى، الحياه العقليه، صـ٥٦- أحمد عبد الحميد خفاجى، جوانب من الحياة الاجتماعيه فى مصر فى العصر الأيوبى، دار الرشاد للطباعة والنشر، الإسكندريه، (١٩٨١)، صـ٢٣ .

(٥) اليونينى، زيل مرآه الزمان، ج٢، صـ٣٢٩ .

ثانياً: المدارس التى خصصت لتدريس المذهب المالكى:

١- المدرسة القمحية:-

أول وأهم مدرسة للمالكية بمصر فى العصر الأيوبى كان موضعها يعرف بدار الغزل وهى قيسارية[١] يباع فيها الغزل بجوار الجامع العتيق فهدمها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وأنشأ موضعها مدرسة للفقهاء المالكية وكان الشروع فيها للنصف من المحرم سنة (٥٦٦هـ-١١٧٠م)[٢]، وقد عرفت هذه المدرسة باسم المدرسة المالكية بمصر حيناً وبالمدرسة القمحية حيناً آخر وتعود تسميتها بالقمحية إلى أن معلومها كان يصرف للمدرسين والطلبة قمحاً[٣]، قال ابن دقماق "وجعل بها - أى المدرسة القمحية - أربعة زواية وثبت فى كل زاوية منها مدرس لتعليم الطلبة"[٤]، وقد زالت هذه المدرسة ولاأثر لها اليوم.

وفى كتاب التكملة حكى المنذرى عن جماعة ممن تولوا التدريس فى هذه المدرسة فى العصر الأيوبى منهم أبو البركات هبه الله بن عبد المحسن بن على ابن ثعلب بن أحمد الأنصارى المالكى المتوفى سنة (٥٨٩هـ-١١٩٣م)، "الــذى تولــى

---

(١) القيسارية أحد العمائر الإسلامية الهامة وهى مبنى مشتمل على مجموعة من الحوانيت وقد يكون ذلك المبنى مكون من طابق أو طابقين .

- المقريزى، الخطط، ج٢، ص٨٦- كمال الدين سامح، العمارة الإسلامية بمصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١م، ص١٦.

(٢) ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص٩٥، المقريزى، الخطط، ج٢، ص٤٦٤- سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان، ج٨ القسم الأول، ص٣٨٣- أحمد أحمد بدوى، الحياة العقلية، ص٤٤- أحمد عزت عثمان، التربية والمجتمع المصرى فى العصر الأيوبى، ص٤٠٩ .

(٣) القلقشندى، صبح الأعشى، ج٣، ص٣٩١- عبد الرحيم غنيمه، تاريخ الجامعات، ص٨٥.

(٤) ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص٩٥.

التدريس فى المدرسة المالكية المجاورة للجامع العتيق مدة طويلة وأبو المنصور ظافر بن الحسين الأرزدى الاسكندرانى المتوفى سنة (٥٩٦هـ-١١٩٩م)" الذى تولى التدريس بالمدرسة المالكية المجاورة للجامع العتيق مده طويلة إلى حين وفاته" وأبو الحسن على المتوفى سنة (٥٩٩هـ-١٢٠٢م)، وهو ابن أبى البركات هبه الله بن عبد المحسن بن على بن ثعلب المشار إليه "الذى تولى التدريس بعد والده فى المدرسة المالكية المجاورة للجامع العتيق"[١]، وكذلك أبو محمد عبد الله بن نجم بن شاس الجزامى السعدى المالكى المتوفى سنة (٦١٦هـ-١٢١٧م)، قال المنذرى "درس بالمدرسة المالكية المجاورة للجامع العتيق مدة"[٢] ومنهم أيضاً أبو الحسن على المتوفى سنة (٦٢٣هـ-١٢٢٦م) وهو ابن أبى المنصور المشار إليه "والذى تولى التدريس بالمدرسة المالكية المجاورة للجامع العتيق" على حد ماذكر النويرى[٣]، كما روى أيضاً عن أحمد بن على بن محمد العسقلانى المتوفى سنة (٦٣٦هـ-١٢٣٨م) وهو أحد أعيان المالكية من "أنه تولى التدريس بالمدرسة المالكية المجاورة للجامع العتيق"[٤]، ونفس الشئ فيما روى عن أبى الحرم مكى المتوفى سنة (٦٣٩هـ-١٢٤١م) وتدريسه بالمدرسة المالكية المجاورة للجامع العتيق[٥]، وفى

---

(١) المنذرى، التكمله لوفيات النقله، جـ١، ص١٩٤، ص٣٨٨، ص٤٤٤ .

(٢) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص٤٦٩ .

(٣) النويرى، نهاية الأرب، جـ٢٨، ص٣٦٣ . الكتبى (ابن شاكر) فوات الوفيات والذيل عليها تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، لبنان، ١٩٧٣م، جـ٣، ص٢٧ .

(٤) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٦٧ .

(٥) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، جـ٣، ص٥٧٥، - النويرى، نهاية الأرب، جـ٢٩، ص١٠٠- ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٣، صـ٨٦ -ابن أسعد اليافعى، مرآة الجنان، جـ٤، ص٣٥ .

كتاب الكواكب السيارة خبراً عن مدرس آخر بهذه المدرسة هو الفقيه الإمام العالم عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم المالكى المتوفى سنة (٦٤٦هـ-١٢٤٨م)[١] .

ويلاحظ من خلال سير هؤلاء المدرسين أن المدرسة القمحية كانت الاسم الغالب عليها المدرسة المالكية المجاورة للجامع العتيق والظاهر أن تسميتها بالقمحية جاء متأخراً عن ذلك العصر .

٢ - المدارس المالكية بالفيوم:

قال عنها النابلسى وبالفيوم مدرستان للمالكية[٢]، وبالطبع فإن أحدهما التى تنسب لتقى الدين عمر حسبما تشير الروايات[٣]، وأما الثانية فإننا لم نعثر على أى معلومات عنها .

٣ -المدرسة النجيبية: -

وهى من المدارس التى استدل عليها الباحث من تصريح للإدفوى حيث قال "حكى لنا أن النجيب بن هبة الله القوصى، لما بنى مدرسته التى بقوص فى سنة (٦٠٧هـ- ١٢١٠م) أشار عليه الشيخ الإمام أبو الحسن على بن الصباغ أن يحضر إليها الشيخ مجد الدين وأشار بإحضاره أيضاً الشيخ المقترح فأرسل إليه فحضر وجرى من الخير بسببه ماجرى به القدر[٤]، ويتضح من النص السابق أن تلك

(١) ابن الزيات (شمس الدين محمد) الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة، المطبعة الأميرية، القاهرة، (١٣٢٥هـ-١٩٠٧م)، ص٢٥٧ .

(٢) النابلسى، تاريخ الفيوم وبلاده، ص٢٩ .

(٣) ابن دقماق، الجوهر الثمين، جـ٢، ص٢٨.

(٤) الإدفوى، الطالع السعيد، ص٤٠٨، ص٤٢٥.

المدرسة كانت قد أعدت لخدمة المذهب المالكى راجع ذلك إلى أن الأسماء التى وردت فى النص كلها كانت لفقهاء مالكية.

٤- مدرسة منية بنى خصيب :-

وهى من المدارس التى استدل الباحث على وجودها فى العصر الأيوبى من خلال ماأورده المنذرى عن أبى الفضائل بن عبد الستار بن إسماعيل المقديسى المالكى المتوفى سنة (٦١١هـ-١٢١٤م)، من "أنه لما قدم إلى منية بنى الخصيب بصعيد مصر. أعاد بمدرستها للإمام أبى الحسن على بن خلف بن معزوز الكومى ثم اشتغل بالتدريس بالمدرسة المذكورة بعد وفاة الإمام أبى الحسن الكومى(١).

وكذلك ماذكره أبو شامة فى وفيات سنة (٦٤٩هـ-١٢٥١م) عن يعقوب المهيونى حيث قال عنه "وفيها مات صاحبنا العفيف يعقوب المهيونى بمنية بنى خصيب وكان قاضيها ومدرسها"(٢).

وهذه المدرسة من جملة المدارس التى لم نعثر لها على تاريخ إنشاء ولاعلى نوع الدراسة والمذهب التى اختصت به، وبالطبع فإننا نستطيع أن نذكر أنها بنيت قبل السنة (٦١١هـ-١٢١٤م) وأنها قد خصصت لدراسة المذهب المالكى على الأرجح نظر إلى أن أساتذتها كانوا من المالكية .

٥ - مدرسة ابن الأنجب:

وهى من مدارس الإسكندرية فى العصر الأيوبى التى نص عليها المنذرى صراحة عند الحديث عن الإمام الحافظ أبو الحسن على بن الأنجب المقدسى الأصل الإسكندرانى المولدوالدار المالكى وهو المتوفى سنة(٦١١هـ-١٢١٤م)،إذ قال المنذرى

(١) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٢، ص٤٢١ .

(٢) أبو شامة، رجال القرنين السادس والسابع، ص١٨٧ .

عنه "أنه – أى ابن الأنجب- أنه قد ناب فى الحكم للعزيز بالإسكندرية ودرس بها بالمدرسة المعروفة به"(١).

وهذه المدرسة من جملة المدارس التى لم نعثر لها على تاريخ إنشاء وعلى نوع الدراسة والمذهب الذى اختصت به . وبالطبع فإننا نستطيع أن نقول أنها بنيت قبل السنة (٦١١هـ-١٢١٤م)، وأنها قد خصصت لدراسة المذهب المالكى على الأرجح نظراً إلى أن أستاذها ومدرسها كان على المذهب المالكى .

٦ – مدرسة ابن شاس :

وصل إلينا خبر تلك المدرسة من خلال مرجعين فقط أحدهما خطط المقريزى. وأما الآخر فالإنتصار لابن دقماق وقد اعتمد الباحثون فى الحديث عن هذه المدرسة على خطط المقريزى دون الرجوع إلى ابن دقماق(٢) على الرغم من أهميته وبمراجعة ماأورده المقريزى عن تلك المدرسة نجده يقول "أن هذه المدرسة بخط الساحل بجوار الربع العادلى، من مدينة مصر الذى وقف علي الشافعى عمرها الملك العادل أبـــو

---

(١) المندرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٢، ص٣٠٦، ٣٠٧- ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٣، صـ٦٨، الذهبى – تذكرة الحفاظ، ص١٣٩١، أحمد أحمد بدوى، الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية، ص٥٥-

(٢) عباس حلمى اسماعيل،السياسة الداخلية للسلطان الملك العادل الأيوبى الأول، رسالة ماچستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٤٣م، ص١٢٢، ١٢٣ – عبد الرحيم غنيمة، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، ص٨٩. أحمد عزت عثمان، التربية والمجتمع المصرى فى العصر الأيوبى، ص٤١٠- أحمد فكرى، مساجد القاهرة ومدارسها ج٢، ص٥٣- عفاف صبرة، المدارس فى العصر الأيوبى، أبحاث ندوة المدارس فى مصر، المرجع السابق، ص١٥٤-على مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر، القاهرة، ج٦، ص٢٣ .

بكر بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فدرس بها قاضى القضاة تقى الدين أبو على حسين بن شرف الدين ابن أبو الفضل بن شاس فعرفت به وقيل لها مدرسة بن شاس إلى اليوم، وهى عامرة وعرف خطها بالقشاشين وهى للمالكية"(١).

وهذا النص فيه خلط كبير حيث أنه - أى المقريزى - تارة يثبتها (بخط القشاشين) وتارة أخرى يثبتها- أ ى لمدرسة العادلية- "بخط الساحل" كما أنه فى أعلى النص جعلها وقفاً على الشافعية ثم أنه بعد ذلك ينهى كلامه عن المدرسة العادلية بأنها من المدارس المالكية وذلك يدعونا للتعامل مع ذلك النص بحرص فلربما أنه - أى المقريزى - قد خلط عند حديثه عن المدرسة العادلية بين منشأتين أحدهما بخط الساحل وهى للشافعية والثانية بخط القشاشين وهى للمالكية، .
وبمراجعة كتاب الانتصار لابن دقماق تأكدنا من ذلك الظن فقد ذكر لنا تحت عنوان مدرسة بن شاش مانصه "هذه المدرسة بالساحل بجوار الربع العادلى الوقف على مصالح قبة الشافعى رضى الله عنه لم يكن بها تدريس وإنما كانت مسجد قاضى القضاة تقى الدين بن شاس رحمه الله تعالى، وإنما ولده أقضى القضاة شرف الدين محمد عمر ربعاً بخط الجامع الطولونى بحضرة المسجد الذى كان يجلس للحكم فيه، ويشتمل على طاحون وفندق داخله مخازن وحوانيت ظاهره وعلوه طباق فطلبه منه الأمير سلار نائب السلطنة والأمير بيبرس قبل ملكه وبذلوا له مالاً جزيلاً فلم يقبل ووقفه على مدرس يجلس يدرس فى هذا المسجد وطلبة على مذهب الإمام مالك"(٢).

وعلى ذلك فالمدرسة التى بقيت إلى أيام المقريزى وقال عنها أنها عامره إلى أيامه هى المنشأة الثانية التى أوقفها شرف الدين محمد على فقهاء المالكية فى أوائل العصر المملوكى على الأغلب، وهاتان المنشأتان لانعلم عنهما أى شئ بعد ذلك فقد التزمت المصادر التاريخية الصمت حيال الكلام عن هاتين المنشأتين .

---

(١) المقريزى، الخطط، جـ٢ ص٣٦٥.

(٢) ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص٩٨ .

٧ - «المدرسة الصاحبية»:

قال ابن عبد الظاهر عنها فى خططه "أنها كانت قديماً تعرف بدار الديباج، وهى دار الوزير أبى الفرج يعقوب بن كلس"(١). قال المقريزى "أنشأها صفى الدين عبد الله ابن على بن شكر(٢)، وجعلها وقفاً على المالكية"(٣).

وقد ذكر لنا المنذرى جماعة من الذين قاموا بالتدريس فى هذه المدرسة منهم الإمام الشيخ الحافظ أبا الحسن على بن المفضل اللخمى المقدسى الأصل الإسكندرانى المولد المالكى، وولديه أحمد المتوفى سنة (٦١٣هـ-١٢١٦م) ومحمد المتوفى سنة (٦٣١هـ ١٢٣٣م)، وكذلك ماذكره عن عبد الله بن يوسف الهوارى المتوفى سنة (٦١٢هـ-١٢١٥م) من "أنه أقرأ وأم بالناس بالمدرسة الصاحبيه"(٤)، وماذكره

(١) ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص٨٩، القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص٤٠٢.

(٢) وهو عبد الله بن على بن الحسن بن عبد الخالق الشيبى المالكى الصاحب الوزير صفى الدين وزير السلطان العادل أبو بكر بن أيوب ومولده فى سنة ٥٤٠هـ بقرية دميرة من قرى مصر تفقه فى مذهب مالك على الفقيه أبى بكر عتيق البجائى وبه تخرج ودخل الإسكندرية وتفقه بها على أبى القاسم مخلوف بن على المعروف بابن جاره وسمع عليه وعلى الإمام أبى الطاهر إسماعيل بن مكى بن عوف وأبى الطيب عبد المنعم بن يحيى الحميرى وسمع من الحافظ السلفى وأجاز له أبو محمد القاسم ابن الحافظ أبى القاسم بن عساكر وأبو محمد عبد الله بن برى وأبو القاسم هبة الله بن على البوصيرى وغيرهم من الكبار وكان مؤثراً للعلماء الصالحين كثير البذل لهم والتفقد لأحوالهم لايشغله ماهو فيه من كثرة الاشتغال عن مجالسهم وصنف كتاب البصائر فى الفقه على مذهب الإمام مالك وأنشأ المدرسه ورباطاً بالقرب من داره وأوقف لهما مرتبات وتوفى سنة ٦٢٢هـ. إبن فرحون، الديباج المذهب، ص١٤٣ .

(٣) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٣٧١ .

(٤) المنذرى، التكمله لوفيات النقله، جـ٢، ص٣٦١، جـ٣، ص٣٦٨، جـ٢، ص٣٤١.

النويرى عن شرف الدين أبى عبد الله محمد بن عمر بن جعفر الأزدى الغسانى المالكى المعروف بابن اللهيب من "أنه تولى التدريس بالمدرسة الصاحبية بالقاهرة إلى حين وفاته"(١)، ومن الذين تولوا التدريس بالمدرسه الصاحبية أبو إسحاق يوسف المتوفى سنة ٦٣٢هـ - ١٢٣٤م وهو ابن واقف هذه المدرسة(٢).

وفى هامش أربعة من صفحة ٢٨٠ من الجزء السادس من كتاب النجوم الزاهره تحقيق حول مكان هذه المدرسة وفيه أن هذه المدرسة يشغل محلها اليوم منزلان متجاوران أحدهما رقم ٨ بشارع الوزير الصاحب والأخر رقم ٤ بزقاق سعادة بعطفة الست بيرم بشارع درب سعادة(٣).

٨ - مدرسة الزكى التاجر:

وهى من المدارس التى استدل على وجودها الباحث فى العصر الأيوبى بمصر من خلال ماكتبه المنذرى عن أبى الحسن على بن إسماعيل بن على بن حسن الأبيارى المالكى نزيل الإسكندرية والمتوفى سنة (٦١٦هـ-١٢١٩م)، ومولده بأبيار(٤) سنة (٥٥٧هـ- ١١٦٢م). من أنه تفقه بالإسكندرية على مذهب الإمام

(١) النويرى، نهاية الأرب، جـ٣، ص٣٩٢- النويرى، نهاية الإرب، جـ٢٩ ص٢١٠ .

(٢) المنذرى، التكمله لوفيات التقله، جـ٣، ص٣٩٢- النويرى، نهاية الإرب،جـ٢٩، ص٢١٠ .

(٣) أحمد أحمد بدوى، الحياة العقلية، ص١٤٥. ابن تغرى بردى،النجوم الزاهره ج٦ ص٢٨٠، ٢٨١ .

(٤) هى قرية بجزيرة بنى نصر بين مصر والإسكندرية.
ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج١، ص٨٥ .

أبى عبد الله مالك بن أنس رضى الله عنه وحدث ودرس بالمدرسة المعروفة بالزكى التاجر مدة"[١]، وبالطبع فإن هذه المدرسة من مدارس الفقه المالكى على الأرجح .

٩ -مدرسة ابن رشيق:

قال ابن دقماق "كان التكاررة نسبة إلى بلاد التكرور إذا قدموا من بلادهم قاصدين الحجاز قبل بنائها - أى مدرسة ابن رشيق - ينزلون عند قاضى القضاة علم الدين ابن رشيق فى داره عند حمام الريش فدفعوا إليه مالاعمر به هذه المدرسة ودرس بها إلى حين وفاته فعرفت به"[٢]، وكان بناء هذه المدرسة بعد سنة (٦٤٠هـ-١٢٤٢م)، بقليل، على حد قول المقريزى[٣] وهى من مدارس المالكية[٤]،ولم يكن لدينا أى معلومات عن نشاطها العلمى سوى ماذكره المقريزى من شهرتها الواسعة فى بلاد التكرور[٥].

وبالطبع فإن هذه المدرسة تلاشت الآن ولم يبق لها أى ذكر .

١٠-مدرسة بنى حديد :

وهى من مدارس الفقهاء المالكية بمصر فى العصر الأيوبى على الاستنتاج من خلال ماكتبه المقريزى عن أحد مدرسيها وهو محمد بن محمد بن سلامة بن يوسف أبو البركات القضاعى المتوفى سنة(٦٢٠هـ-١٢٢٣م)، والظاهر أنها كانت من

(١) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، جـ٢، ص٤٧٨- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج١، ص٨٥ .

(٢) ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص٩٦.

(٣) المقريزى، الخطط، ج٢، ص٣٦٥ .

(٤) ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص٩٦- المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٣٦٥.

(٥) المقريزى، الخطط، ج٢، ص٣٦٥ .

مدارس المالكية بالإسكندرية وكانت تدعى بالمدرسة المكتبية، ويفهم ذلك من خلال ماكتبه المقريزى نفسه عن محمد هذا قال المقريزى "محمد بن محمد بن سلامة الإسكندرانى مولده بالإسكندرية سنة (٥٧٣هـ- ١١٧٧م)، وتفقه على عمه أبى القاسم عبد الرحمن بن سلامة وناب عنه بالثغر ودرس بالمكتبة مدرسة بنى حديد، وسمع بها من أبى الطيب عبد المنعم بن يحيى وقدم إلى القاهرة، وشهد عند قاضى القضاة صدر الدين أبي القاسم عبد الملك بن درباس ومن بعده من الحكام ودرس بالمدرسة الفاضلية من القاهرة"(١).

والظاهر أن محمد هذا كان له ابنا يدعى أحمد قد تولى التدريس من بعده بالمدرسة المذكورة يفهم ذلك من خلال ماكتبه ابن فرحون عن أحمد هذا قال ابن فرحون "أحمد بن محمد بن سلامة المتوفى سنة (٦٤٥هـ- ١٢٤٧م). درس بمدرسة بنى حديد وهو من رؤساء المالكية".(٢)

(١) المقريزى، المقفى الكبير، ج٧، ص٢١٧ .

(٢) ابن فرحون- الديباج المذهب، ص٧٠، ٧١ . المقريزى، المقفى الكبير، ج٧، ص٢١٧ .

ثالثاً: المدارس التى خصصت لتدريس المذهب الحنفى:

١ - المدرسة السيوفية :

أول وأهم مدارس الفقهاء الحنفية وقفها السلطان صلاح الدين الأيوبى فى (٥٧٢هـ-١١١٦م)[١]، وقد وقف المقريزى على كتاب وقفها، ونقل منه "أن هذه المدرسة بالقاهرة وهى من جملة دار الوزير المأمون البطائحى"[٢]. وقال ابـــن ميســر

---

(١) أحمد أحمد بدوى، الحياة العقلية، ص٤٥ - عبد الرحيم غنيمة، نشأة الجامعات، ص٨٦، أخطأ بعض المؤرخين فى نقل اسم هذه المدرسة وأطلقوا عليها المدرسة اليوسفية - ابراهيم بن وصيف، تاريخ أخبار الديار المصرية، مخطوط بدار الكتب المصرية تاريخ ٥٧٨١١) ورقة رقم (٦٩-). - إبن إياس، (أبو البركات محمد بن أحمد ت ٩٣٠هـ-١٥٢٣م) بدائع الزهور، فى وقائع الدهور، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة (١٤٠٢ هـ-١٩٨٢م) جـ١، القسم الأول، ص٢٥٨. ويبدو أن ذلك راجع إلى ظنهم بأنها قد أخذت تسميتها من اسم السلطان صلاح الدين يوسف وقد يدع لنا ذلك احتمالاً وبالأخرى شكاً فى مسميات المدارس التى أنشأها صلاح الدين كالناصرية والصلاحية باعتبار أنها قد تكون مسميات أطلقها العامة على تلك المدارس .

Creswell, K.A. C. Op. Cit, P. 130.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن الأمير نور الدولة أبى شجاع فاتك المستنصرى ولد سنة ٤٧٨هـ- اتصل بخدمة الأفضل بن أمير الجيوش سنة ٥٠١هـ وحسن عند الأفضل موقع خدمته فاعتمد عليه وسلم له جميع أموره وصرفه فى كل أحواله فصار يخاطب بالقائد ويكاتب به، وصار عنده بمنزلة الأستادار. فلما قتل الأفضل قام القائد أبو عبد الله ابن فاتك لخدمة الخليفة الآمر بأحكام الله فترقى عنده وتقدم ومازالت أحواله تتقلب فى الدولة الفاطمية، بين نعمة ورخاء إلى أن مات فى سنة ٥٢٢هـ-١١٢٨م.

- المقريزى، الخطط، ج١، ص٤٦٢.

"دار نصر بن عباس وهى الدار المعروفة بدار جبر بن قاسم ثم عرفت بدار المأمون بن البطائحى وهى الآن المدرسة السيوفية"[١] . وقد عرفة بالمدرسة السيوفية من أجل أن سوق السيوفيين كان حينئذ على بابها[٢]، وقد أخطأ ابن عبد الظاهر عند نقله لخبر تلك المدرسة حيث قال عن المدرسة السيوفية "وقفها الأمير عز الدين فرحشاه قريب صلاح الدين"[٣] وظلت هذه المدرسة عامرة إلى وقت قريب[٤].

وقد توافرت لنا الأخبار حول النشاط العلمى لهذه المدرسة فى العصر الأيوبى وذلك من خلال سير أعلام مدرسيها، فمن ذلك ماذكره المقريزى عن مجد الدين محمد بن محمد الجبتى من "أنه كان أول من قام بالتدريس بالمدرسة السيوفية.[٥] وماذكره السيوطى عن عبد البه بن محمد بن سعد الله الجريرى من "أنه برع فى مذهب أبى حنيفة وقدم صحبة صلاح الدين بن أيوب بمصر، فأقام بها يفتى ويدرس بالمدرسة السيوفية ويعظ إلى أن مات سنة (٥٨٤هـ- ١١٨٨م)[٦]، وكذلك

---

(١) ابن ميسر، أخبار مصر، ص١٤٧. ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص٨٩.

- المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ-١٤٤٢م)، اتعاظ الحنفا، بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، نشر جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٤٨م، ج٢، ص٣٢٥ .

(٢) المقريزى، الخطط، ج٢، ص٣٦٥ .

Creswell, K. A. C., Op. Cit. P. 130.

(٣) ابن عبد الظاهر، الروض البهية، ص٨٩ .

(٤) على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ٦، ص١٩.

(٥) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٣٦٥ .

(٦) بن أبى الوفاء القرشى (أبو محمد عبد القادر بن محمد) الجواهر المضيه فى طبقات الحنفية - تحقق د/ عبد الفتاح محمد الحلو مطبعة عيسى البابى الحلبى - القاهرة (د. ت) جـ٢ ص٣٩٤ .

===

ماذكره المنذرى عن أبى محمد عبد الوهاب بن يوسف بن على بن الحسين الدمشقى الحنفى المنعوت بالبدر "من أنه قدم القاهرة ودرس بالسيوفية ومات بها سنة (٥٩٩هـ- ١٢٠٢م)"(١)، وفى تاريخ الإسلام لشمس الدين الذهبى. خبر عن مدرس رابع من مدرسى المدرسة السيوفيه وهو ندى بن عبد الغنى بن على الأنصارى توفى سنة (٦٠٤هـ-١٢٠٧م)(٢)، وأما عن المدرس الخامس بالمدرسة السيوفية كما يذكر صاحب الجواهر المضية هو صقر بن أبى على الحسن بن إبراهيم الدميرى(٣)، وكتب عنه المنذرى وأسماه جعفر بدلاً من صقر وهو الأصوب وذكر "أنه تولى التدريس بالمدرسة التى بالسيوفيين بالقاهرة مدة طويلة إلى حين وفاته سنة (٦٢٣هـ-١٢٢٦م)"(٤)، ونعتقد أن على بن أحمد بن محمود المنعوت بالعماد

=== - الدارودنى (شمس الدين محمد بن على طبقات المفسرين، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٣ هـ. ١٩٨٣م، جـ١، ص٢٩٠، ٢٩١ -السيوطى، حسن المحاضرة، ج١، ص٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦ .

(١) المنذرى، التكملة.لوفيات النقلة، ج٢ ص٤٤٧. السيوطى حسن المحاضرة، جـ١، ص٤٦٤- ابن أبى الوفاء القرشى، الجواهرالمضينة، جـ٢، ص٤٨٩ .

(٢) الذهبى (شمس الدين محمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ-١٣٧٤م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعيان. تحقيق بشار عواد معروف، وشعيب الأرنؤط، وصالح مهدى عباس. مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م)، ط١، ص١٦٨، ١٦٩- ابن أبى الوفاء القرشى- الجواهر المضية فى طبقات الحنفيه، جـ٣، ص٥٣٣ .

(٣) ابن أبى الوفاء القرشى، الجواهر المضية فى طبقات الحنفية، جـ٣، ص٢٧٠، ٢٧١.

(٤) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، جـ٣، ص٢١٦- ابن تغرى بردى، (جمال الدين أبو المحاسن يوسف) المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى)- تحقيق/ محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م، ج٤، ص٢٦٨ .

المعروف بابن الغزنوى المتوفى سنة (٦٣٣هـ- ١٢٣٥م) هو سادس هذه القائمة. كما فى التكملة للمنذرى[١]، وكذلك قد ذكر لنا كتاب السير عن إثنين من الذين قاموا بالتدريس بالمدرسة السيوفية. وقد اتفق فى تاريخ وفاتهما سنة (٦٤٢هـ-١٢٤٤م) أحدهما محمد بن عبد الوهاب بن يوسف[٢]، وقد سبقه أبوه فى الجلوس للتدريس فى هذه المدرسة وأما الثانى فهو أبو إسحق إبراهيم بن على بن عبد الوهاب الأنصارى المعروف بابن حمود. وقال عنه المنذرى "أنه أعاد بالمدرسة السيوفية مدة طويلة"[٣]، وآخر من نعتقد أنه درس بالمدرسة السيوفية فى العصر الأيوبى محمد بن عباد بن ملك داد الخلاطى المتوفى فى سنة (٦٥٢هـ-١٢٥٤)[٤].

٢ -المدرسة الأزكشية :

وهى من مدارس الفقهاء الحنفية أنشأها الأمير سيف الدين أيازكوج الأسدى مملوك أسد الدين شيركوه وأحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وكان بناؤها سنة (٥٩٢هـ-١١٩٦م)[٥]، قال المقريزى "هذه المدرسة بالقاهرة على رأس

---

(١) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص٤١٥- ابن أبى الوفاء القرشى، الجواهر المضية، جـ٢، ص٥٤٢ .

(٢) ابن أبى الوفاء القرشى، الجواهر المضية، جـ٣، ص٢٤٢. المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، جـ٣، ص٦٤٢.

(٣) المنذرى. التكملة لوفيات النقلة، جـ٣، ص٦٣٧- ابن أبى الوفاء القرشى،الجواهر المضية، جـ١، ص٩٤ .

(٤) ابن أبى الوفاء القرشى، الجواهر المضية، جـ٣، ص١٨٠، ١٨١ .

(٥) ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص٨٧. ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص٩٥ -المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٣٦٧ .

السوق الذى كان يعرف بالحروقيين ويعرف اليوم بسويقة أمير الجيوش"[١]، والظاهر أن هذا السوق كان يعرف على عهد إبن دقماق بسوق الغزل فهذه المدرسة على حد قوله "وهى المعلقة بسوق الغزل"[٢]، والذى يراجع ماكتبه المقريزى عن سويقة أمير الجيوش يجده يقول "وكان مابعد هذا السوق إلى باب القنطرة معمور الجانبين بالحوانيت المعده لبيع الطرائف والمغازل والكتان والأنواع من المأكولات - وقد خرب أكثر هذه الحوانيت فى سنى المحنه ومابعدها"[٣]، وقد ذكر على مبارك أن هذا السوق موضعه اليوم يعرف بسوق مرجوش وتعرف هى - أى المدرسة الأزكشية- بزاوية جنبلاط[٤].

٣ - المدرسة الغزنوية :

وهى من مدارس الفقهاء الحنفية على الأغلب[٥] قال عنها المقريزى "هذه المدرسة برأس الموضوع المعروف بسويقة أمير الجيوش تجاه المدرسة اليازوكجية بناها الأمير حسام الدين قايماز النجمى مملوك نجم الدين أيوب والد صلاح الدين الأيوبى وأقام بها الشيخ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن يوسف بن محمد الغزنوى البغدادى المقرئ الفقيه الحنفى (٥٣٢هـ:٥٩٩هـ- ١١٢٨:١٢٠٢م). ودرس بها فعرفت به"[٦] وهذه المدرسة من المدارس التى انقطعت أخبارها منذ ذلك الحين .

(١) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٣٦٢.

(٢) ابن دقماق، الانتصار، جـ٤، ص٩٥ .

(٣) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص١٠١ .

(٤) على مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة، جـ٢، ص٢ .

(٥) أحمد عزت، التربية والمجتمع فى العصر الأيوبى، ص٢٨ .

(٦) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٣٩٠ .

٤ - المدرسة العاشورية :

وهى من مدارس الفقهاء الحنفية أوقفتها الست عاشوراء بنت ساروح الأسدى زوجة الأمير ياذكوج الأسدى قال بن عبد الظاهر "كانت فى الأصل داراً لأبن جميع الطبيب اليهودى الكاتب، ثم اشترتها الست عاشوراء وأوقفتها على الحنفية"(١) وقد عين المقريزى موقعها وقت إنشاءها بحارة زويلة من القاهرة بالقرب من المدرسة القطبية الجديدة برحبة كوكاى(٢).

ويلاحظ أن هذه المدرسة من المدارس التى لم يحدد تاريخ إنشائها(٣)، كما أنه لم تتوفر لدينا معلومات عن الذين قاموا بالتدريس فى هذه المدرسة باستثناء ماذكره المؤرخون عن مدرسين أحدهما على بن أحمد بن محمود المنعوت بالعماد مدرس السيوفية الذى سبق الإشارة إليه فقد ذكر لنا المنذرى "أنه درس بالمدرسة التى بحارة زويلة والمعروفة بالعاشورية قبل انتقاله إلى التدريس بالمدرسة السيوفية"(٤)، وأما الثانى فقد ذكرت المصادر التاريخية عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز أنه تتلمذ بالمدرسة السيوفية ثم تولى التدريس بالمدرسة العاشورية إلى حين وفاته سنة (٦٣٤هـ-١٢٤٥م)(٥)، والظاهر أن هذه المدرسة قد تلاشت مبكراً على حد قول المقريزى وصارت طول الأيام مغلقة لاتفتح إلا قليلاً فإنها فى زقاق لايسكنه إلا اليهود ومن يقرب منهم في النسب .

---

(١) ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص٨٩ .

(٢) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٣٦٨ .

(٣) أحمد عزت عثمان، التربية والمجتمع، ص٤١٤ .

(٤) ابن أبى الوفاء القرشى، الجواهر المضية، جـ٢،ص٣٩٤، ٣٩٥ -المنذرى التكملة لوفيات النقلة، جـ٣، ص٤١٥ .

(٥) ابن أبى الوفاء القرشى، الجواهر المضية، جـ٢، ص٣٩٤، ص٣٩٥ الدارودنى، طبقات المفسرين، ج١ ص٢٩٠ .

٥ - المدرسة الفخرية :

وهى من المدارس التى لم يفصح فيها المقريزى عن المذهب الذى أوقفت من أجله، ولم يكن لدينا سوى معلومات محدودة عن تاريخ إنشائها واسم واقفها ومدرس واحد لها فلم يكن لدى ابن عبد الظاهر ومن سبق المقريزى سوى إشارة إلى أن أستاذ دار الملك الكامل الأمير فخر الدين ابن قزل ت سنة (٦٢٩هـ-١٢٣١م) كان قد بنى مكان دار الأمير حسام الدين ساروح المدرسة الفخرية[١]، ولم يضف لنا المقريزى بعد ذلك سوى الإشارة لتاريخ اتمامها وهو سنة (٦٢٢هـ-١٢٢٥م)، ولم يكن لدينا بعد ذلك أى معلومات عن هذه المدرسة خلال العصر الأيوبى سوى ماذكره المقريزى عن أبى أحمد اسماعيل الحنفى المتوفى سنة (٦٣٧هـ-١٢٣٩م)، المعروف بابن فلوس من "أنه تفقه على مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ودرس بمدرسة الأمير فخر الدين عثمان بالقاهرة مدة"[٢]، وهو الأمر الذى يضع احتمالاً بأن تكون المدرسة من مدارس فقهاء الحنفية .

٦ - مدرسة جهاركس:-

وهى من مدارس الفقهاء الحنفية بمصر فى العصر الأيوبى وقد استنتجنا ذلك من خلال ماكتبه (ابن أبى الوفاء القرشى عن القاضى صدر الدين موسى بن زكريا بن إبراهيم بن محمد توفى سنة (٦٥٠ هـ ١٢٥٢م) من "أنه لما قدم إلى مصر أقام بها فى خدمة الملك الصالح أيوب بن محمد وولى التدريس بمدرسة جهاركس

---

(١) ابن عبد الظاهر، الروضة البهية الزاهرة، ص٨٧. النويرى، نهاية الإرب جـ٢٩، ص١٦٩- ابن سعيد المغربى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ص٦٠ .

(٢) المقريزى، المواعظ والاعتبار، جـ٢، ص٣٦٨- السخاوى - تحفة الأحباب ص٨٩ - سعاد ماهر محمد، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، جـ٢، ص١٩٩ .

قـضـاء العـسكر، وأرسل رسـولاً إلى حلب سنة (٦٤٤هـ-١٢٤٦م) ثم فى سنة (٦٤٧هـ-١٢٤٩م) عاد إلى مصر ولما مات الصالح، وولى بعده ولده فوثبوا عليه الأتراك فـعـزلوه عن تدريس تلك المدرسة فلزم بيـتـه إلى أن مـات فى السنة المذكورة"[١]، ولم نكن لنعلم عن تلك المدرسة سوى مااستنتجناه من ذلك النص فقد وقفت المصادر التاريخية صامتة حيال الإفصاح عن موضعها وواقفها وتاريخ انشاءها .

(١) ابن أبى الوفاء القرشى، الجواهر المضية فى طبقات الحنفية، جـ٣، ص٥١٦، ٥١٧ .

رابعاً: المدارس التى أعدت لتدريس مذهبين:

١ - المدرسة الفاضلية:

وهى أول مدرسة بمصر توقف على مذهبين[١] وقد تم بناءها (بعد المدرسة الأسديه بستة عشر عاماً، وهى أول مدرسة لمذهبين فى سوريا) حيث أن واقفها وهو القاضى عبد الرحيم بن على البيسانى قد خصصها لتدريس فقهى مالك والشافعى كما جعل فيها درساً للقراءات وكان إبتدأ التدريس بها سنة (٥٨٠هـ- ١١٨٤م)، وكان موقع هذه المدرسة بدرب ملوخيا بالقاهرة[٢] والذى يفهم من كتابات المؤرخين حول تلك المدرسة أن القاضى الفاضل قد جعل بها قاعتين أحداهما لتدريس المذهبين الشافعى والمالكى على أن يقوم بهذه المهمة مدرساً واحداً اشترط فيه الإلمام بالفقهين معاً وقد جعلت الأخرى لتدريس علم القراءات.

فأما عن الذين جلسوا لتدريس الفقهين المالكى والشافعى خلال تلك الفترة الزمنية فتروى لنا المصادر التاريخية عن إثنين من الذين تولوا هذه المهمة أولهما أبو القاسم عبد الرحمن بن سلامة بن يوسف القضاعى المتوفى سنة (٦٠٣هـ- ١٢٠٦م)[٣]. وثانيهما ابن أخى الأول وهو أبو البركات محمد بن محمد بن سلامة القضاعى المتوفى سنة (٦٢٠هـ-١٢٢٣م)[٤].

---

(١) Creswell K. A. C, Op. Cit P.123 .

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٣، ص١٦٣. - ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص٨٨، -النويرى ، نهاية الأرب، ص٢٨٢، ص٣٧٠. - المقريزى، الخطط جـ٢، ص٣٦٦ .

(٣) المنذرى، التكملة لوفيات التقله، جـ٢، ص٩٨. الذهبى، تاريخ الإسلام، والطبقة ٦٢ ص٣٢١، ١٣٣. -النويرى، نهاية الأرب، جـ٢٨، ص٣٧٠. -المقريزى الخطط، جـ٢، ص٣٦٦ .

(٤) المنذرى، التكملة لوفيات التقله، جـ٣، ص١٠٦، المقريزى، المقفى الكبير جـ٣، ص٢١١ .

وكذلك يحدثنا المنذرى عن إثنين من الذين تولوا الإعادة لهذه المدرسة وهما أبو المنصور القاسم بن على بن شريف الشافعى البلبيسى المتوفى سنة (٦٢٧هـ-١٢٢٩م) المنعوت بالشرف وأبو إسحاق إبراهيم بن صالح بن أحمد المهنى الشافعى المتوفى سنة (٦٤٢هـ-١٢٤٤م) والمنعوت بالجمال[١].

وأما عن الذين جلسوا لتدريس علم القراءات بهذه المدرسة خلال العصر الأيوبى، فقد وصلت إلينا أخبارهم جميعاً من خلال كتاب السير الذين اهتموا بإبراز تلك المرحلة فى حياة كل واحد منهم، وأول من يمكن الإشارة إليه فى ذلك الصدد أبو محمد القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعينى الأندلسى والمعروف بالشاطبى* المتوفى سنة (٥٩٠هـ-١١٩٤م)[٢]، ومن بعده غياث بن فارس بن مكى بن عبد الله المصرى* فقد ذكر لنا كتاب السير أنه -أى غياث بن فارس- قد تصدر لتدريس علم القراءات بالمدرسة الفاضلية بعد الشاطبى حتى توفى سنة (٦٠٥هـ-١٢٠٨م)[٣] ونعتقد أن الذى تلى غياث هذا هو زيادة بن عمران بن زيادة* المتوفى سنة (٦٢٩هـ-١٢٣١م).[٤]

---

(١) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، جـ٣،ص٢٧١، ص٦٤٣ .

(٢) أبو شامة، تراجم رجال القرنين، ص٧. -السبكى، طبقات الشافعية، جـ٦، ص٢٧١ -ابن الجزرى، غاية النهاية، جـ٢، ص٢٠. - بن الزيات، الكواكب السيارة، ص٣١٠ .

(٣) المنذرى، التكمله، لوفيات النقلة، جـ٢، ص١٦٢، الذهبى، تاريخ الإسلام ووفيات الأعيان ص١٨٢- بن الجزرى، غاية النهاية، جـ٢، ص٤ .

(٤) السيوطى، حسن المحاضرة، جـ١، ص٤٩٩- المنذرى، التكمله لوفيات النقلة جـ٣، ص٣١٥.

* سيأتى عنهم الكلام بالتفصيل فى الفصل الرابع .

ثم من بعده محمد بن عمر بن يوسف القرطبى المتوفى سنة (٦٣١هـ-١٢٣٣م)، والذى قيل عنه خطأ أنه جلس للتدريس فى هذه المدرسة بعد الشاطبى[١] ونظن أن الذى تلا القرطبى فى هذه المهمة على بن عبد الصمد بن محمد بن نقيع بن الرماح المصرى الشافعى المتوفى سنة (٦٣٣هـ-١٢٣٥م) الذى قال عنه السيوطى أنه قرأ على غياث بن فارس السابق الإشارة إليه وتصدر للإقراء بالفاضلية[٢]، ثم من بعده محمد بن المسلم بن نبهان بن سالم التميمى البغدادى الكوفى المتوفى سنة (٦٤٦هـ-١٢٤٨م). قال المقريزى قدم إلى مصر وتصدر بالمدرسة الفاضلية من القاهرة لإقراء القرآن بالقراءات[٣] .وآخر من وصل إلينا خبره فى العصر الأيوبى من هؤلاء عثمان بن عمر بن أبى بكر بن يونس بن الحاجب الكردى الأصل الاسنائى المولد المالكى الذى تلقى دروسه فى صباه بالمدرسة الفاضلية ثم انتقل إلى الشام ويقى بها مدة إلى أن دخل القاهرة سنة (٦٣٨هـ-١٢٤٠م) فتولى مهمة تدريس علم القراءات بالمدرسة الفاضلية مدة ثم انتقل إلى الاسكندرية فكانت وفاته بها سنة (٦٤٦هـ-١٢٤٨م)[٤].

---

(١) السيوطى (الحافظ جلال الدين بن عبد الرحمن ت ٩١١هـ-١٥٠٥م)، بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة - مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه، ط١، حلب، (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م)، ص١١٦- ابن الجزرى، غاية النهاية، ج٢، ص٢٢٠ .

(٢) السيوطى- حسن المحاضرة، جـ١، ص٢٣٤ .

(٣) المقريزى، المقفى الكبير، جـ٧، ص١٩٨.

(٤) السيوطى، بغية الوعاة، جـ٢، ص١٣٣ - ابن الجزرى ، غاية النهاية، جـ١، ص٥٠٨ .

خامساً: المدارس التى أعدت لتدريس أربع مذاهب:

١ - المدرسة الصالحية:

فى ١٣ ذى الحجة من السنة (٦٣٩هـ-١٢٤١م) شرع الملك نجم الدين أيوب فى بناء المدرسة الصالحية وموضعها كان من جملة القصر الكبير الشرقى وكان الإنتهاء من بنائها فى السنة (٦٤١هـ-١٢٤٣م) وهى أول مدرسة بمصر يعمل بها دروس للمذاهب الأربعة، فكان بالمدرسة أربعة أواوين لكل طائفة إيوان خاصة بها(١) ، وأول مايلاحظ فى روايات المؤرخين عن تلك المنشأة أنهم أطلقوا عليها اسم المدرسة الصالحية وتارة أخرى بالمدرستين الصالحيتين(٢) وكذلك بالمدارس الصالحية، والظاهر أن ذلك راجع إلي أن هذه المنشأة كانت من الناحية المعمارية وحدة واحدة من الخارج فجاز أن يطلق عليها إسم مدرسة ولما كان التصميم الداخلي لهذه المنشأة مقسماً إلى قسمين أحدهما وهو الجانب الجنوبى وبه إيوانين أولهما للحنفية والآخر للحنابلة. وثانيهما بالجانب الشمالى وبه إيوانين أيضاً أولهما للمالكية والآخر للشافعية فجاز أن يطلق عليها اسم (مدرستين)، وأما إطلاق كلمة «مدارس» على هذه المؤسسة فعائد فى الحقيقة إلى الأربع مواضع التى خصصت للتدريس وهذه

---

(١) إبن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص٨٥، المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٣٧٤ - المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٦٤٥هـ-١٤٤٢م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تصحيح محمد مصطفى زياده، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهره، ١٩٣٤م، ج١، القسم الأول ص٣٨- إبن إياس، بدائع الزهور فى وقائع الدهور جـ١، القسم الأول، ص٣٣٨ .

(٢) إبراهيم بن وصيف، تاريخ أخبار الديار المصرية ومافى ذلك من جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور- ورقة رقم ٧٥ -إبن دقماق- الجوهر الثمين، جـ٢، ص٣٧

التسمية - أى مدارس - هى التى وجدت على الوجهة الرئيسية لهذه المؤسسة والتى تقرأ عليها بخط النسخ مانصه :-

"بسم الله الرحمن الرحيم"أمر بإنشاء هذه المدارس المباركة مولانا السلطان الأعظم الملك الصالح نجم الدين والدنيا أبو الفتح أيوب خليل أمير المؤمنين أعزه الله ونصره فى سنة (٦٤١هـ-١٢٤٣م)"(١).

والواقع أن هذه المنشأة جاءت مشابهة لمنشأة أخرى كانت قد سبقتها فى تدريس المذاهب الأربعة وهى المدرسة المستنصرية ببغداد التى كان إنشاؤها في سنة (٦٣١هـ-١٢٣٣م)(٢)، ولكن الإختلاف بينهما أن المدرسة الصالحية كانت تشتمل على أربعة أواوين كل إيوان منها خاص لطلبة مذهب من المذاهب السنية الأربعة(٣) ، والظاهر أن بناء هذه المدرسة كان عملاً ضخماً وقد حاول الصالح نجم الدين أيوب أن يوفر له كل مايسمح بإتمامه فى وقت قياسى(٤) من ذلك ماذكره المقريزى فى حوادث سنة (٦٣٨هـ-١٢٤٠م) عندما تكلم عن الحروب الصليبية وأن السلطان الصالح نجم الدين أيوب أسر كثيراً من الفرنجة وأنه سخرهم فى بناء قلعة الروضة وبناء المدرسة الصالحية(٥) .

---

(١) أحمد فكرى، مساجد القاهرة ومدارسها جـ٢، ص٦٧، ٦٨، أبو أحمد محمود فرغلى. الدليل الموجز، أهم الآثار الإسلامية والقبطية، ط١، القاهرة، سنة ١٩٩١، ص١٩٨ .

(٢) ناجى معروف.. (تاريخ علماء المستنصريه)، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٥م، ج١، ص٣٠- عبد الرحيم غنيمه، تاريخ الجامعات الإسلامية ص٩١- حسن أمين - المدرسة المستنصرية، مطبعة شفيق، القاهره ١٩٦٠م، ص١٢٢.
Creswell, K. A, C. op. Cit. P. P. 123, 24 .

(٣) عبد الغنى عبد العاطى، التعليم فى مصر، ص٨٤ .

(٤) Devonshire, Quatre- Vingts Mosquees Et Autres Monuments musulmans Du Cairo, De L' Institut Francais D' Archeologie Orientale Pour La Societe Royale De Geographie D'Egypt Imprime L' Imprimeris Cairo, 1924, P. 15.

(٥) المقريزى، السلوك. جـ١، القسم الثانى، ص٣٠٥ .

وقد تعجب الباحثون من شدة اهتمام الصالح نجم الدين أيوب بإتمام هذه المنشأة التعليمية وقالوا كيف ذلك والصالح نجم الدين أيوب لايميل إلى مطالعة الكتب، ويؤثر العزلة علي مجالسة العلماء والطلاب رغم مجيئهم من بلاد بعيدة واكتفى فقط بإطلاق الجرايات عليهم[(١)]، ولعل ذلك يتفق مع ماأورده النويرى من أنه - أى الصالح - لما فرغ من عمارتها ندم لكونه لم يبنى مكانها جامعاً ويرتب فيه الدروس التى رتبها فيها[(٢)] على الرغم من ذلك فقد وجدناه - أى الصالح - فيما روى عن انتقال عز الدين بن عبد السلام السلمى[(٣)] من الشام إلى مصر أواخر سنة (٦٣٨هـ-١٢٤٠م) مايعبر عن إحترام الصالح نجم الدين أيوب للعلماء فبمجرد أن اتصل عز الدين بن عبد السلام به ولاه قضاء مصر وخطابة جامع عمرو بن العاص وعلى الرغم من وقوع الوحشة بينهما والتى أدت إلى عزل الصالح للشيخ من هاتين المهمتين في سنة (٦٤٠هـ-١٢١٢م). إلا أنه بمجرد أن اكتمل بناء المدرسة الصالحية فى سنة (٦٤١هـ-١٢٤٣م) وجدناه -أى الصالح-قد أسند مهمة التدريس

---

(١) أحمد عزب عثمان - التربية والمجتمع، ص٤١١ - عباس حلمى اسماعيل، السياسة الداخلية فى الدولة الأيوبية فى مصر بعد السلطان العادل، رسالة دكتوراه غير منشوره، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٤٣م، ص١٤٧- محمد محمد أمين، السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٦٨م. صـ١٩٥ .

(٢) النويرى - نهاية الإرب، جـ٢٩، ص٢٨١ .

(٣) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن بن محمد المهذب الشيخ السلمى الدمشقى الشافعى مولده سنة ٥٨٧هـ/١٠٩٤م سمع بدمشق على بن عساكر ودخل القاهره سنة ٦٣٨هـ-١٢٤٠م وبقى يتنقل بين المناصب الهامه إلى أن مات سنة ٦٦٠هـ ١٢٦٢م .

إبن كثير، البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢٣٥ .

بالقاعة الشافعية إلى عز الدين هذا والتى بقى فيها إلى حين وفاته فى سنة (٦٦٠هـ-١٢٦٢م)[١]، ويبدوا أن الشيخ بن عبد السلام كان يعاونه عدد من المدرسين فمن ذلك ماذكره السبكى عن محمد بن عبد الملك القاضى وهو المتوفى سنة (٦٤٦هـ-١٢٥٨م) من أنه تولى مهمة التدريس بالمدرسة الصالحية[٢]، وكذلك يفهم من كلام البونينى عن يوسف بن الحسن السنجارى من أنه قد تولى مهمة التدريس بالمدرسة الصالحية للطائفة الشافعية مدة وذلك فى الأيام الأيوبية[٣]. وأما عن مدرسى الفئات الأخرى بالمدرسة الصالحية فلم يكن يتوفر لدينا سوى ماذكره إبن رجب وأيده فيه المقريزى عن القاضى شمس الدين أبى بكر محمد بن العماد إبراهيم بن عبد الواحد المقدسى سنة (٦٠٣هـ: ٦٧٦هـ-١٢٠٦م: ١٢٧٧م)، من أنه أول من جلس للتدريس فى قاعة الحنابلة بالمدرسة الصالحية[٤].

---

(١) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، جـ٨، ص٢٠٩، ومابعدها - العينى- عقد الجمان، ص٣٣٩. - إبن حجر العسقلانى (أحمد بن على ت ٨٥٢هـ-١٤٤٨م)، رفع الأثر عن قضاة مصر. تحقيق حامد عبد المجيد، ومحمد المهدى أبو سنة، ومحمد إسماعيل، المطبعه الأميريه، القاهره، ١٩٥٧م، ج١، ص٣٥٣- السلامى، تاريخ علماء بغداد، ص١٠٤. - رضوان على الندوى، (العز بن عبد السلام أئمة الفكر الإسلامى العربى بعد الإسلام) دار الفكر بدمشق، د. ت، ص٤٧، ٤٨.

(٢) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، جـ٨، ص١٠٥ .

(٣) اليونينى، ذيل مرآة الزمان، جـ٢، ص٣٣٥ .

(٤) ابن رجب (زين الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد ت ٧٩٥هـ- ١٣٩٢م) كتاب الذيل على طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م، ج٢، ص٣٩٥- المقريزى، الخطط،ج٢، ص٣٧٤.

وقد عانت مدرسة الصالح نجم الدين أيوب كثيراً من الإهمال قبل أن تقع تحت إشراف لجنة متابعة الآثار العربية فلم يتبقى منها مايلفت اهتمام أى شخص إن لم يكن قام بدراسة خاصة حولها ورغم قيامها على أساس وحدة عضوية إلا أنها فى الحقيقة تتكون من بنائين البناء الجنوبى والبناء الشمالى ويفصل بينهما دهليز كما هو الحال فى مسجد وضريح قلاوون على الجانب الآخر من الطريق والباب الرئيسى تعلوه مأذنه جميلة وهى تشكل مدخل هذا الدهليز والاثنان هما أقل الأجزاء المحطمة من البناء الأمامى وتحت المأذنة يوجد سقف خشبى أنيق ذو زخارف ثمانيه الشكل، ولكنها ليست كالجزء الباقى حتى الآن فى مسجد الناصر بالقلعة أو فى قلعة بشتاق المحطمة بالجوار ولم يتبقى شيئاً مطلقاً من البناء الجنوبى عدا الجزء السفلى من الحائط الخارجى الذى تكدس بالمنازل والمحلات الذى يشكل الآن جزء من سوق الأحذية، ومن البناء الشمالى يبقى السرداب المقفل من القاعة الغربية والذى مازال يستخدم فى العبادة بالرغم من عدم الاهتمام به(١).

(1) Devorshire, Some Cairo Mosques And Their Founders, Constable Companylimited, London.1921, P. P. 11, 12.
Creseall, K. A. C, Op. Cit, P. P. 123, 24 .
Dimard, S. M, AHand book of muhammadan Art, Harts dale House, New York. 1974, P. 101 .
Milad Salwe, Registers Judiaires Du tribunal De la Salihiyye Nagmiyya, Annales. Islamo Logiques. Op. Cit, P163 .

سادساً: المدارس التى لم يهتدى إلى المذهب الذى خصصت من أجله :

١ - مدرسة المعظم توران شاه :

ذكر المقريزى فى حوادث سنة (٥٧٧هـ-١١٨١م) أن صلاح الدين الأيوبى كان قد عمر مدرسة على ضريح المعظم توران شاه[١] وذلك بالإسكندرية أثناء زيارته لها[٢]، ولم تذكر لنا المصادر أى شئ عن هذه المدرسة لامن ناحية موقعها ولاالمذهب الذى أنشأت من أجله ولاعن من قام بالتدريس فيها[٣]، وقد عثر على لوحة إنشائية بالإسكندرية يعتقد أنها تؤرخ لبناء هذه المدرسة نطالع فيها مايلى .

"مما أمر بعمله السيد الأجل الملك الناصر جامع كلمة الإيمان قامع عبدة الصلبان، صلاح الدنيا والدين، وسلطان الإسلام والمسلمين أبو المظفر يوسف بن السيد الأجل الأ.... أيوب أدام الله قدرته وأعلى أبدا كلمته، وتشرف الخافقين أعلامه (أتم) عمارتها وإنشائها الأمير الإسفهسلار الكبير... زين الدين... جلا الأمراء مملوك أمير المؤمنين أبو سعيد قراجا سنة (٥٨٣هـ-١١٨٨م)"[٤].

---

(١) وهو شمس الدولة توران شاه بن نجم الدين أيوب أخو صلاح الدين قدم إلى مصر فى صحبة إخوته سنة ٥٦٤ هـ ولما زالت الدولة الفاطمية أقطعه قوص وأعمالها وسيره فى سنة ٥٦٩هـ إلى اليمن ففتحها وفي سنة ٥٧١هـ سيره إلى دمشق فناب بها لأخيه كما ناب أيضاً له ببعلبك وفى سنة ٥٧٤هـ دخل القاهرة وتوجه إلى الإسكندرية إلى حين وفاته سنة ٥٧٦هـ .

المقريزى الخطط ج٢ ص٣٧ .

(٢) المقريزى، السلوك، ج١، القسم الثانى، ص٧٦ - أحمد عبد الحميد خفاجى، المرجع السابق، ص٢٣ .

(٣) جمال الشيال، الاسكندرية طبوغرافية المدينة وتطورها من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، ص٢٤٢ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم (تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى) مؤسسة شباب الجامعة الاسكندريه، ١٩٨٢م، ص٢٤٩ .

٢ - مدرسة السديد :

أنشأها على بن محمد بن سليم بن القاضى السديد وقد وصل إلينا خبر تلك المدرسة من خلال ماأورده اليونينى عن أحمد بن على بن السديد، وذكر أنه قد درس بمدرسة أبيه التى أنشأها بزقاق القناديل بالقاهرة[١].

ولم يكن لدينا أية معلومات عن تلك المدرسة من حيث تاريخ إنشائها ولاالمذهب الذى خصصت من أجله، والذى جعلنا نميل إلى إثباتها بين مدارس مصر فى العصر الأيوبى ماأورده ابن الزيات عن أبى يعقوب يوسف الأصولى المالكى المتوفى سنة (٥٧٦هـ-١١٨٠م) والذى قال عنه "أنه كان مدرساً بالمدرسة التى بزقاق القناديل"[٢]، وماذكره المنذرى عن أبى الثناء حامد بن أحمد بن حامد بن غياث الأنصارى الأرتاحى المتوفى فى سنة (٦١١هـ-١٢١٤م) من "أنه تصدر للإقرار بمدرسة السديد الطيب المطلة على النيل مدة طويلة"[٣].

٣ - المدرسة الصيرمية:-

والمدرسة الصيرمية هى التى أنشأها الأمير جمال الدين شويخ بن صيرم أحد أمراء الدولة الكاملية والمتوفى سنة (٦٣٦هـ-١٢٣٨م) قال ابن عبد الظاهر أنها كانت فى الأصل سوقاً للرقيق[٤]، وحدد المقريزى موقعها بالقرب من رأس سويقة أمير الجيوش فيما بينها وبين الجامع الحاكمى[٥]. ولم يكن لدينا أية معلومات تعيننا على تحديد تاريخ إنشاء تلك المدرسة ولاعلى المذهب الذى خصصت من أجله ولاحتى عن الذين جلسوا للتدريس بهذه المدرسة، وقد قال عنها صاحب الخطط التوفيقية الجديدة أنها قد زالت بعد ذلك وبنى مكانها زاوية صغيرة تعرف بزاوية سوق الصينية أغلب أوقاتها معطلة[٦].

---

(١) اليونينى، ذيل مرآة الزمان، ج٣، ص٣٥ .
(٢) إبن الزيات، الكواكب السيارة، ص٢٥٨ .
(٣) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٢، ص٣٢١ .
(٤) ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص٨٦ .
(٥) المقريزى، الخطط، ج٢، ص٣٧٨ .
(٦) على مبارك، الخطط التوفيقية الجديده، ج٦، ص٢٢ .

٤ - المدرسة المسرورية:

حدد موقعها ابن عبد الظاهر عند بنائها بحارة الأمراء[١] وهى منسوبة إلى شمس الخواص مسرور أحد خدام القصر فى العصر الفاطمى وقد إمتد به العمر إلى أيام صلاح الدين الأيوبى فأختص بخدمته ومات فى أيام سلطنة الكامل على مصر، وقد تحولت داره بعد وفاته إلى هذه المدرسة بناءاً على وصية منه بذلك.[٢]

ولم يتضح لنا بعد ذلك نوع الدراسة ولاالمذهب التى وقفت عليه هذه المدرسة، والتى صارت بعد ذلك زاوية متخربه برأس حارة درب شمس الدولة بالسكة الجديدة. تجاه عطفة جامع الجوهرى[٣].

(١) ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص٩٠- القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣ ص٤٠٢ .

(٢) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٣٧٨ .

- أخطأ كروسويل فى تحديد إنشاء المدرسة المسرورية حيث ذكر أنها أنشأت فى عام (٦١٠هـ-١٢١٣م).

Creswell, K. A. C Op. Cit. P. 130 .

(٣) على مبارك (الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهره، ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة) ج٦، ص٣٧ .

الفصل الثالث

التنظيمات المالية والإدارية للمدارس فى مصر
فى العصر الأيوبى

الفصل الثالث

التنظيمات المالية والإدارية للمدارس فى مصر فى العصر الأيوبى

على الرغم من كثرة عدد المدارس فى العالم الإسلامى، إلا أننا لم نعثر فى المصادر أوالمراجع التاريخية مايفيد بأن الدولة كان لها سياسة معينة تسير وفقها هذه المدارس أو تلتزم بأحكامها، إلا أن حجج الوقف والحبوس التى حبست عليها كانت بمثابة الدستور الذى نظم الحياة بتلك المعاهد الدراسية، إذ لم يقتصر أثر الأوقاف على الموارد المالية فحسب بل شمل كذلك كافة الجوانب التعليمية والدينية والإدارية، ومن ثم فإنه يمكن القول بأن حجة الوقف كانت أشبه ما يكون باللائحة الأساسية للمدرسة التى تضم الأسس التربوية للتعليم موضحاً بها الشروط الواجب توافرها فى الدارس والمدارس على حد سواء، وما يتبع ذلك من النظم والقواعد الإدارية والمالية ولم يكن معنى ذلك أن العملية التعليمية فى المدارس الإسلامية قد تركت لأهواء مؤسسيها بل أن الأصل فى ذلك أنه مادامت أهواء هؤلاء تتفق والسياسة العامة التى تنتهجها دولهم فلا مانع فى ذلك والحق أن سياسات الدول فى ذلك الوقت كان لايحددها دستور أو قانون بأكثر ما كان يحددها الملوك والسلاطين، والذى يهمنا فى ذلك الموضوع ما كتب عن المدارس الإسلامية فى مصر فى العصر الأيوبى وكيف أن ملوك تلك الأسرة كانوا قد ساهموا فى إحياء حركة مدرسية كبيرة بمصر وبخاصة زمنى صلاح الدين والكامل، جاء ذلك تابعاً لما ورثه هؤلاء من السلاجقة والزنكيين وهو أن العلم أساس للحكم والسياسة(١)، ولذا فإننا

(1) Stanley Lane- Poole, Saladin and the Fall of The Kingdom of Jerusalem. Khayats, Beirut, 1964. p. 108.

سوف نلاحظ أن هؤلاء الملوك كانوا قد بدأوا سياستهم بالتركيز على المؤسسات العلمية وبخاصة المدارس فأنشأوا منها ما أشرنا إليه فى الفصل السابق فكان ذلك فى الوقت نفسه دعوة للوزراء والأمراء والعلماء والتجار وغير هؤلاء من القادرين للإكثار من إنشاء المدارس[١]، وليس ذلك فحسب بل أننا سوف نرى محاكاتهم الملوك فى أوقافهم على المدارس وما يتبع ذلك من تنظيمات مالية وإدارية.

أولا: تمويل البناء:-

ينبغى علينا فى ذلك الموضوع أن نميز بين نوعين من المدارس وهما المدارس الحكومية والمدارس الخاصة.

أ) المدارس الحكومية :-

وهى المدارس التى أنشأها سلاطين البيت الأيوبى وكان أول مايميزها عن غيرها هو أن أماكن إنشائها كان مختاراً بعناية[٢]، بحيث يضمن ذلك لها البقاء والاستمرار فإما أن تكون موضعاً بجوار جامع له من الشهرة والمكانة الواسعة كالمدرسة الناصرية الأولى والمدرسة القمحيه اللتان أنشأهما صلاح الدين بجوار الجامع العتيق أو بجوار أحد المشاهد العامة كالمشهد الحسينى ومشهد الإمام الشافعى وإما أن تكون جزءاً من جملة القصر الفاطمى وبالمواضع العامره كخط

---

(١) أحمد عبد الحميد خفاجى، المرجع السابق، ص ٢٥.

(٢) أحمد فؤاد سيد، نظم الحكم والإدارة فى العصر الأيوبى بمصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة عين شمس ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص٢٨١.

بين القصرين وبالأسواق الكبيرة[١]، ولكى نوضح أهمية تلك النقطة ينبغى علينا أن نشير إلى ما كتبه المقريزى عن الأسباب التى عجلت بخراب المدرسة العاشورية وفى ذلك يقول "وقد تلاشت هذه المدرسة وصارت طول الأيام مغلوقة لاتفتح إلا قليلاً فإنها فى زقاق لايسكنه إلا اليهود ومن يقرب منهم فى النسب"[٢].

ومن ناحية أخرى فقد تميزت المدارس السلطانية باتساع بناءها وعظم تأسيسها وعلى الرغم من أن النصوص التاريخية التى توافرت لنا قد أوضحت ذلك إلا أنها لم تعيننا فى الرد على تساؤل هام حول ما إذا كات تلك النفقات السلطانية من بيت مال المسلمين أم من أموالهم الخاصة، ومن تلك النصوص الهامة ما دونه ابن جبير من مشاهده فى السنة (٥٧٨هـ-١١٨٢م) فيما كان يجرى بجوار القبر الشافعى إذ يقول "وبإزائه -أى القبر الشافعى- مدرسه لم يعمر بهذه البلاد مثلها لا أوسع مساحة ولا أحفل بناء، يخيل لمن يتطوف عليها أنها بلد مستقل بذاته وبإيزائها الحمام إلى غير ذلك من مرافقها، والبناء فيها حتى السعة والنفقة عليها لاتحصى تولى ذلك بنفسه الشيخ الإمام الزاهد المعروف نجم الدين الخبوشانى وسلطان هذه الجهات صلاح الدين يسمح له بذلك كله ويقول زد احتفالا وتأنقاً وعلينا القيام بمؤنة ذلك كله فسبحان الذى جعله صلاح دينه كاسمه"[٣].

(١) إبن ظهيرة، الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا، كامل المهندس، مركز تحقيق التراث وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ١٩٠- أندريه ريمون، القاهرة، تاريخ حاضرة، ص٩٢.

(٢) المقريزى، الخطط، ج٢، ص ٣٦٨.

(٣) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٥٠.

- Creswell, K.A.C., Op.Cit, p. 4.

والذى يزيد الأمر غموضا حول تلك النقطة ما كتب عن صلاح الدين نفسه قبل زوال الدولة الفاطمية، وأثناء وزارته للعاضد أخر خلفائهم من بنائه لمدرستين أحدهما كانتا سجنا للمعونة وهى الناصرية الأولى وأما الأخرى فهى التى كانت دار الغزل فحولها صلاح الدين إلى المدرسة التى عرفت بعد ذلك بالمدرسة القمحية وبالطبع فإن هذين الموضوعين كانا من بين ممتلكات بيت المال، وكذلك الأموال التى أنفقت على بنائها كانت أيضا خاصة ببيت المال ولانستطيع قبول ذلك إلا على اعتبار أن صلاح الدين كان قد اطلقت يداه فى أموال الخلافه الفاطميه يتصرف فيها كيفهما شاء إلى الحد الذى ينفق منها على بناء مؤسستين كهاتين المدرستين لدراسة فقهى مالك والشافعى، ومن الطبيعى أن يستمر ذلك الحال فى زيادة بعد زوال الدولة الفاطمية، وانفراد صلاح الدين بالملك. وإن كان ذلك هو الحال فى دولة صلاح الدين فقد قنع خلفاؤه من بعده (ولده العزيز وأخوه العادل) بما أحدثه فى ذلك الجانب فكانت أول مدرسة حكومية تقابلنا بعد ذلك العصر المدرسة الكامليه، والتى حكى لنا إبن إياس عنها أن البناء فيها قد إستمر طوال سبع سنوات حتى تمت فى سنة (٦٣٠هـ-١٢٣٢م)، "قيل لما حفر أساس هذه المدرسة وجد فيه صنم كبير من الذهب فأمر الملك الكامل أن يسبك دنانيرا ويصرف على بناء هذه المدرسة"[١].

وكانت المدرسة الصالحية آخر المدارس السلطانية التى ينطبق عليها نفس الشيء فقد استمر البناء بها سنتين (٦٣٩هـ:٦٤١هـ-١٢٤١م:١٢٤٣م)[٢]. وقد

---

(١) إبرهيم بن وصيف، تاريخ أخبار الديار المصريه ومافى ذلك من جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور، ورقه ٦٩.

- إبن اياس، بدائع الزهور، ج١، القسم الأول، ص ٢٦٤- عباس حلمى إسماعيل، السياسه الداخلية بمصر بعد الملك العادل، ص ٥٩.

(2) Mahmud Ahmed, Guide des Principaux Monuments Arabes Du Caire, Impimeire Nationale, Bulak, Cairo 1939, p. 103.

ذكر لنا المقريزى أن الصالح أيوب كان قد استخدم أسرى الفرنج فى بناء المدرسة الصالحية[١] وعلى الرغم من قيام الصالح نجم الدين أيوب بعمله الضخم هذا والذى خلد إسمه على مر العصور التالية إلا أنه وعلى حد قول النويرى قد ندم على بناء تلك المدرسة بعد اتمامها وتمنى لو كان قد بنى جامعا[٢] ولانعلم عن الأسباب التى دعت الصالح للندم على بناء المدرسة أى شيء يذكر.

ب) المدارس الأهلية :-

جاءت هذه المدارس أقل من المدارس الحكومية من ناحية الاتساع حيث أن إمكانيات الأفراد أقل من إمكانيات الحكومة الأيوبية، وأول ما يمكن الإشارة إليه فى ذلك الصدد أن مدارس الوزراء والأمراء جاءت مشابهة إلى حد كبير لمدارس الملوك والسلاطين مثل المدرسة التقوية التى اشترى مؤسسها تقي الدين عمر موضعها من بيت المال كما أشرنا إلى ذلك فى الفصل السابق، والتى كانت فى موضع متميز وهو الأمر الذى سهل لها مهمة القيام بدورها المطلوب، وينطبق ذلك أيضا على المدرسة السيفية والتى كانت فى الأصل موضعاً يسكنه مؤسسها سيف الإسلام طغتكين، ونفس الشيء يقال على المدرسة الشريفية والمدرسة الفخرية، وكذلك المدرسة الفائزية والتى قال ابن العميد عن مؤسسها الأسعد شرف الدين بن هبه الله الفائزى "أنه كان له أموال كثيرة وعمر مدارساً ومساجدا وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة[٣].

---

(١) المقريزى، السلوك، ج١، القسم الأول، ص ٣٠٥.

(٢) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٩، ص ٢٨١.

(٣) إبن العميد (المكين جرجس بن العميد)، أخبار الأيوبيين، طبع المعهد الفرنسى، دمشق، ١٩٥٨م، ص ٤٤.

وأما بقية الطوائف فقد سارعوا إلى محاكاة ساداتهم فكانوا يبذلون كل ما هو غال ورخيص، فهذا شمس الخواص مسرور قد أوصى ببناء مدرسة من ثمن ضيعة له بالشام[١]، وكذلك كانت مدرسة ابن رشيق من جملة الأموال التى جمعت من التجار الوافدين من بلاد التكرور[٢] وقد ينطبق ذلك أيضا على مدرسة ابن صيرم التاجر العسقلانى ومدرسة الزكى التاجر وغيرهم ممن ساهموا فى إحياء تلك الحركة بمصر.

ثانياً: الأوقــــاف :-

لم يغفل بناة المدارس بمصر عن وقف الأوقاف عليها، حتى تؤدى رسالتها على خير وجه ولم يكن ذلك الاتجاه بغريب فى المدارس الأيوبية بمصر بل سبقهم إلى ذلك بناة المدارس فى العالم الإسلامى من قبلهم، وبالطبع فإن تلك الأوقاف والحبوس كانت تؤول إلى ديوان الأحباس الذى صار من بين مهامه الرئيسية الإشراف على أوقاف المدارس[٣]، والحق أن صلاح الدين كان أول من اهتم بتلك الخطوه فبمجرد أن تم بناء المدرسة الناصريه الأولى أوقف عليها الصاغة التى بجوارها وقرية بالفيوم[٤].

---

(١) المقريزى، الخطط، ج٢، ص ٣٧٨.

(٢) ابن دقماق، الإنتصار، ص ٩٦.

- بلاد التكرور: وهى بلاد تنسب إلى قبائل من السودان فى أقصى جنوب المغرب وأهلها أشبه الناس بالزنوج.
- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٢، ص ٣٨.

(٣) النابلسى(عثمان بن إبراهيم)، لمع القوانين المضية فى دواين الديار المصرية، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص٢٥، القلقشندى، صبح الأعشى، ج٥، ص ٣٢٧.

(٤) المقريزى، الخطط، ج٢، ص ٣٦٣.

ونفس الشيء فعله بالمدرسة القمحية (٥٦٦هـ-١١٧٠م)، والتى أوقف عليها قيسارية الوراقين، وضيعة بالفيوم تعرف بالخنبوشيه وقريه بها تعرف بالاعلام[١]، وكذلك أوقف صلاح الدين على المدرسة السيوفية اثنين وثلاثين حانوتاً بخط سويقة أمير الجيوش وباب الفتوح[٢] وحارة برجوان[٣]، وكذلك أوقف على المدرسة الناصرية الثانية حماماً بجوارها وفرناً تجاهها وحوانيتا بظاهرها والجزيرة التى يقال لها جزيرة الفيل ببحر النيل خارج القاهرة[٤].

ولم تقف نفقات صلاح الدين على المدارس عند ذلك الحد بل تعدتها إلى الإنفاق على المدارس التى أنشأت بمصر والشام على وجه العموم سواء كان هو واقفها أو غيره، وذلك من أموال بيت المال، وفى ذلك يقول ابن جبير "ومن العجب أن بالقرافة المذكورة مساجدا مبنية ومشاهدا مغمورة يأوى إليها الغرباء والعلماء والصلحاء والفقراء والاجراء على كل موضع منها متصل من قبل السلطان فى كل شهر، والمدارس التى بمصر والقاهره كذلك، وقد تحقق عندنا أن الإجراء على ذلك كله نيف على ألفى دينارا مصريه فى الشهر ويقول أيضاً "وما منها - أى مصر جامع من الجوامع ولا مسجد من المساجد ولا روضة من الروضات المبنيه على القبور ولا محرس من المحارس ولا مدرسة من المدارس إلا وفضل السلطان يعم جميع من

---

(١) المقريزى، الخطط، ج٢، ص ٣٦٤- ابن دقماق، الانتصار، ص٩٥- النابلسى، تاريخ الفيوم وبلاده، ص ٦٠.

(٢) هو أحد أبواب مدينة القاهرة المعزية وضعه أمير الجيوش وكان قبله يطلق ذلك الاسم على باب آخر كان قد وضعه جوهر الصقلى ثم أن أمير الجيوش غير موضعه وأطلق عليه نفس الاسم.
- المقريزى، الخطط، ج١، ص ٣٨١.

(٣) المقريزى، الخطط، ج٢، ص ٣٦٦.

(٤) المقريزى، الخطط، ج٢، ص٤٠٠.

يأوى إليها ويلزم السكنى فيها تهون عليه فى ذلك نفقات بيوت الأموال"[١] ويروي لنا المقريزى في نفس الإتجاه من أن "صلاح الدين لما دخل إلى دمشق فى السابع عشر من ذى القعدة سنة (٥٧١هـ - ١١٧٥م) وكان دخوله يوما مشهودا فأحسن إلى الناس وخلع على الأعيان وتصدق على أهل المدارس والربط وأرباب البيوت بأربعين ألف درهم وسار بعد خمسة عشر يوما إلى بعلبك فرتب أحوالها وأعطى لأهل المدارس والربط وأرباب البيوت عشرين ألف درهم وسار إلى بصرى[٢]، وقد تسلمها نواب السلطان من الأمير سيف الدين غازى[٣] نائب الملك الصالح إسماعيل فتصدق على مدارس بصرى، وربطها وأرباب البيوت بعشرين ألف درهم"[٤].

وهناك معلومات أخرى متفرقة فى المصادر التاريخية تشير إلى اهتمام صلاح الدين بأحوال العلماء والفقهاء من الناحية الإقتصادية وذلك لضمان استمرارهم فى

---

(١) ابن جبير، رحلة بن جبير، ص ٥١، ٥٣.

(٢) وهى بلده بالشام من اعمال دمشق وهى قصبة حوران وأما عن أول ذكر لها فى الإسلام فإن خالد بن الوليد لما سار لمدد أهل الشام قدم على المسلمين وهم نزول فى بصرى فضايقوا أهلها حتى صالحوهم على أن يؤدوا عن كل حالم دينار وجريب حنطه وفتح المسلمون صيغ أرض حوران وغلبوا عليها وقتئذ سنة ١٣هـ- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج١، ص٤٤١.

(٣) هو الملك غازى بن مودود بن زنكى بن آق سنقر التركى وابن أخى السلطان الملك العادل نور الدين محمود كان غازى من أحسن الناس صورة وكان وقورا عاقلا غيورا ما يدع خادما بالغا يدخل داره على حرمه وكان طاهر اللسان عفيفا عن أموال الناس، قليل السفك للدماء مع شح كان فيه (ت٥٧٧هـ -١١٨١م).

- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٨٨.

(٤) المقريزى، السلوك، ج١، القسم الأول، ص ٣٢٦.

العطاء فمن ذلك ماذكره ابن شداد بأنه - أى صلاح الدين- قد مر على صغير بين يدى أبيه وهو يقرأ القرآن فاستحسن قراءته فقربه وجعل له حظا من خاص طعامه ووقف عليه وعلى أبيه جزءا من مزرعة[١]، وماذكره المقريزى من أن "صلاح الدين كان قد أوقف صادر الفرنج (أى غنائم الحرب مع الفرنجة) علي الفقهاء بالإسكندرية"[٢].

وعلى الرغم من ذلك فقد اهتم مؤسسوا المدارس بمصر طوال العصر الأيوبى بأن يوقفوا عليها الأوقاف المناسبة لضمان بقائها وبالطبع فقد تأثرت تلك الأوقاف بأحوال مؤسسيها المالية، ولذا فقد وجدنا أولي الثروة والجاه قد جاءت أوقافهم على مدارسهم كبيرة كتقى الدين عمر الذى أوقف على مدرسه منازل العز الحمام المجاور لها وما حولها وعمر الإسطبل المجاور لها فندقا وأوقفه عليها ووقف عليها جزيرة الروضة[٣] وكذلك أوقف علي المدرسة التقويه الشافعية بمدينة الفيوم ضيعة تعرف بالروبيون[٤] وكذلك أوقف على مدرسته التى أوقفها بالفيوم على الفقهاء

---

(١) ابن شداد، سيرة صلاح الدين، ص٩.

(٢) المقريزى، السلوك، ج١، القسم الأول، ص٦٣.

(٣) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص٣٦٤ - ابن دقماق، الإنتصار، جـ٤، ص٩٣.
جزيرة الروضة وهى محلة من محال الخطاط وانما سميت جزيرة لأن النيل إذا فاض احاط بها الماء وحال بينها وبين عظم الفسطاط واستقلت بنفسها وبها أسواق وجامع ومنبر وهى من متنزهات مصر فيها بساتين، وللشعراء فى وصفها إشعار كثيرة.
- ياقوت الحموى، معجم البلدان، جـ٢، ص١٣٩.

(٤) النابلسى، تاريخ الفيوم، ص٦٠.

المالكية ضيعة أخرى بنفس المدينة تعرف بقشوش[١]، وكذلك أوقف ابن الأرسوفي على مدرسته التي أوقفها على الفقهاء الشافعية بمصر أوقافا كبيرة ذكرها لنا ابن دقماق وهي حوانيت داخل البزارين وداخل الزقاق المسلوك فيه على النخالين والقيسارية الكبرى ذات البابين المقابل بعض حوانيتها لبعض حوانيت شبل الدولة بجميع حوانيتها التي بباطنها وظاهرها وجميع القيسارية الصغرى الملاصقة لجدار هذه القيسارية القبلي المتوصل إليها من زقاق العاقد"[٢] ومن جهة أخرى قد جاءت أوقاف بعض المدارس ضعيفة كالمدرسة المسرورية التي اوقف عليها فندق صغير[٣]، وأما مدرسة ابن رشيق فما لها إعانة إلا من جهة قبائل التكرور في كل سنة وأوقافها ضعيفة[٤] وأما المدرسة القوصية فلم يكن لها وقف بالديار المصرية ويقال إن لها وقفاً بالشام[٥] ولم يكن ذلك الأمر غريبا فقد كان للمدرسة الفتحية بدمشق أوقاف بالديار المصرية سنة (٦٢٦هـ-١٢٢٩م) على حد قول النعيمي[٦]، ومن أصغر الأوقاف التي وقفت عليها لمدرسة بمصر في ذلك العصر وقف المدرسة الشافعية الحسامية بمدينة الفيوم ووقفها جزء من بستان صغير بمنية الأسقف بمدينة الفيوم ومجموع ما يتحصل منه سنويا ١٧٧ درهماً[٧].

ولقد لعبت تلك الأوقاف والإقطاعات دوراً هاماً في استمرار تلك المدارس في آداء مهمتها التعليمية خلال ذلك العصر، فالمقريزي يذكر لنا عبارات عند ذكره

---

(١) النابلسي ، تاريخ الفيوم، ص١٤٣.
(٢) ابن دقماق، الإنتصار، جـ٤، ص٩٨.
(٣) المقريزي - الخطط، ج٢، ص ٣٧٨.
(٤) ابن دقماق، الإنتصار، جـ٤، ص٩٦.
(٥) ابن عبد الظاهر، الروضه البهيه، ص٩٣.
(٦) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس،ج١، ص ٥٦٠.
(٧) النابلسي، تاريخ الفيوم، ص ١٧٧.

للمدارس فى مصر تدل دلالة واضحة على أهمية الأوقاف بالنسبة للمدارس لأنها تعمل على تثبيت أركانها وتكفل لها الاستقرار والاستمرار وتجنبها الاندثار والزوال، ومن هذه العبارات التى ذكرها المقريزى مثلا عند حديثه عن المدرسة الناصرية الأولى " أنه ولولا ما يتناوله الفقهاء من المعلوم بها لخربت فإن المزابل ملاصقة لها بعدما كان حولها أعمر موضع فى الدنيا[١]"، ويقول كذلك عن المدرسة القمحية "وقد أحاط بها الخراب ولولا مايتحصل منها للفقهاء فيها لدثرت"[٢].

والحق أن أوقاف المدارس فى مصر فى العصر الأيوبى قد ساهمت وبشكل ملحوظ فى استقرار أحوال المدرسين والمعيدين والطلبة فقد كانت رواتب هؤلاء عالية ولائقة بمنزلتهم ومكانتهم يقول المقريزى خلال حديثه عن المدرسة السيوفيه "أن صلاح الدين قرر فى تدريسها الشيخ مجد الدين محمد بن محمد الجبتى ورتب له فى كل شهر أحد عشر ديناراً وباقى ريع الوقف يصرفه على ما يراه لطلبة الحنفية المقررين عنده على قدر طبقاتهم وجعل النظر لمجد الدين الجبتى ومن بعده إلى من له النظر فى أمرور المسلمين"[٣]. ويقول أيضاً عند حديثه عن المدرسة الناصرية الثانية "من أن صلاح الدين رتب بها مدرساً[٤] يدرس الفقه الشافعى وجعل له فى كل شهر من المعلوم عن التدريس أربعين ديناراً وعن معلوم النظر فى أوقاف المدرسة عشـــرة

---

(١) المقريزى، الخطط، ج٢، ص ٣٦٤.

(٢) المقريزى، الخطط، ج٢، ص ٣٦٤.

(٣) المقريزى، الخطط، ج٢، ص ٣٦٥.

(٤) كشف لنا السيوطى عن شخصية هذا المدرس وقال أنه نجم الدين الخبوشانى وهذا يتفق مع ما سبق ذكره من أن الخبوشانى كان أول مدرس بالمدرسة الناصرية الثانية.

- السيوطى، حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٥٧- انظر الرسالة الفصل السابق.

دنانيـر ورتب له من الخبـــز فى كل يوم ستين رطلاً بالمصرى وراويتين من مـاء النيل[١]".

وهذان النصان وإن كانا قد ارتبطا بمدرسى المدارس السلطانية إلا إننا نستطيع أن نقف منهما على نتيجة مؤداها أن رواتب المدرسين وغيرهم من العاملين والقائمين بالمدارس الأيوبية بمصر قد اختلفت باختلاف ريع الوقف الموقوف على كل مدرسة وكذا مكانه كل مدرس أو معيد أو غيرهم من الهيئة التعليمية[٢].

التنظيمات الإدارية بالمدارس:-

كانت المدارس الإسلامية قبل العصر الأيوبى قد اكتملت من الناحية الإدارية، ولم يكن ما أحدثه الأيوبيون فى مصر فى تلك الناحية سوى النقل والتقليد وفيما يلى سوف نتعرض لأهم النصوص التاريخية التى أفادت الباحث . وذلك من خلال الحديث عن أهم الوظائف التعليمية والتنظيمات الإدارية داخل تلك المدارس.

أولاً: المدرسون :

والحق أننا لانملك نصاً صريحاً معاصراً لتلك الفترة قام بتعريف تلك الوظيفة، وليس لدينا سوى نصين متأخرين عن تلك الحقبة أحدهما للسبكى فى كتابه (معيد النعم ومبيد النقم) وأما الآخر فللقلقشندى في كتابه (صبح الأعشى)، وموجز ذلك أنه الشخص الذى أسند إليه مهمة تدريس الفقه أو الحديث أو التفسير فى احدى

(١) المقريزى، الخطط، ج٢، ص ٤٠٠.

(٢) محمد محمد أمين على، السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، ص ١٩٤- حسنين محمد ربيع، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٠، ص ٧٥ ومابعدها.

المدارس يكون ذلك مطابقا لشروط الواقف لايزيد ولاينقص[١] وبالعودة إلى ماكتب عن مدرسى تلك الفترة اتضح لنا مايلى :-

١- ان المدرسين كانوا هم الدافع الأول وراء إنشاء الأيوبيين للمدارس[٢]، وقد لاحظنا خلال الفصل السابق أن كثيرا منها قد أنشىء من أجل مدرس بعينه إلى الحد الذى كانت تعرف باسمه بأكثر ما كانت تعرف باسم واقفها كالمدرسة الهكارية، والمدرسة الغزنوية، ومدرسة إبن رشيق، وكذلك المدرسة الناصرية الأولى التى عرفت فى كثير من الأحيان بإبن زين التجار وأحيانا أخرى بالمدرسة الشريفية، نسبه إلى إثنين من أهم من قاموا بالتدريس بها[٣] ويدعونا ذلك إلى اعتبار أن المدرسين كانوا بمثابة النواة الحقيقية للمدارس ودعامة من الدعامات الرئيسية التى ساهمت فى انتشارها فى تلك الفترة بالذات إذ أن المدارس بمصر فى ذلك الوقت كانت بالأمر الجديد والتى لم تكن قد اكتملت صورتها فى عقول المصريين لذا فقد حرص مؤسسوا المدارس الأيوبية بمصر على استقطاب المشاهير من العلماء للتدريس بمدارسهم[٤].

---

(١) السبكى (تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب ت ٧٧١هـ-١٣٦٩م)، معيد النعم ومبيد النقم. تحقيق محمد على النجار، وأبو زيد شلبى ومحمد أبى العيون، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص ١٠٥- القلقشندى، صبح الأعشى، ج٥، ص ٤٣.

(2) Stanley Lane- Poole. Op. Cit. p. 108.

(٣) انظر الفصل السابق.

(٤) إيرا الابيدوسى، السياسه الدينية في عهد الأيوبيين وتطور المذاهب الش[illegible]ة فى القاهرة، ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م، ج١، ص ٢٥٤.

- Devonshire, Moslem Builders of Cairo, Schindler, Cairo 1943, p. 43.

٢- كانت تولية المدرسين فى أول أمر أى مدرسة من المدارس بيد واقفها وأما بعد ذلك فإنها تصبح من مهام ناظر الأوقاف بالديار المصريه يولى بها من يراه صالحاً لتلك المهمة، ولذلك فقد ذكر لنا النابلسى عن ناظر الأوقاف "أنه ينبغى أن يكون عالماً متفنناً مفتيا فى أنواع من العلوم مشاركا فى الفضائل والأدب شريف الهمة عظيم المقدار فى نفسه فإنه يحكم على العلماء والفقهاء والقراء والمحدثين والفضلاء والخطباء والمتصدرين والمدرسين وأئمة المساجد ينفرد بالإطلاق لمن يختار ما يختار ينفذ توقيعه من غير إذن السلطان وبغير إحاطة علمه فإن العادة أن يستقل بالإطلاق ما شاء لمن شاء ويبقى ما يطلقه مؤيداً لمن أطلق له ولورثته من بعده فيحتاج من يكون له هذه المنزلة ويوثق به هذه الثقة ويلى على هذه الطائفة أن يكون من المشهورين بالدين والعلم الكبير والنزاهة والعفاف وحسن السمعة وأن يكون أهلاً بما فيه من العلم لأن يعرف من يصلح للتدريس والتصدر والخطابة والإمامة وشروط ذلك بعيداً عن الهوى، وقبول رشوة يفضح بها نفسه عند هذه الطائفة فليكن أهلاً لتردد العلماء والقراء والفضلاء إليه[١]".

وعلى الرغم من ذلك فقد وجدنا تدخل الملوك الأيوبيين فى تولية وعزل المدرسين، ولعل أكبر شاهد على تلك الحقيقة ما حدث بالمدرسة الكاملية من تدخل الملك الكامل فى تولية إبن دحية[٢] مدرسا بها ثم عزله بعد ذلك

---

(١) النابلسى، لمع القوانين المضيه فى دواوين الديار المصرية، ص٢٦.

(٢) هو أبو الخطاب عمر بن الحسن بن على بن محمد بن فرج بن خلف بن خليفه الكلبى الحافظ، مولده بالمغرب سنة ٥٤٦هـ-١١٥١م طاف البلاد ودخل مصر وحكاياته مع الملك الكامل مشهورة ومعروفة توفى بمصر سنة ٦٣٣هـ-١٢٣٥م.

- ابن كثير، البدايه، النهاية، ج١٣، ص ١٤٤ ومابعدها.

وتولية أخيه بدلا منه[١]، وذلك على الرغم من حماس الكامل الشديد لابن دحيه وهو الأمر الذى يفهم من خلال ما كتبه السلامى رواية عن أبى اسحق إبراهيم بن خلف منصور الغسانى من أنه "لما دخل مصر تكلم فى أبى الخطاب بن دحية فشكاه ابن دحية إلى الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب فأمر الكامل بضربه بالسياط، وطيف به على جمل مبالغة فى اهانته وأخرج من ديار مصر[٢]".

ويروى لنا المؤرخون عن الأسباب التى جعلت الكامل يتغير على ابن دحية وتفصيل ذلك أن الناس كانوا قد تكلموا فى أبى الخطاب ونسبوه إلى التزيد فى كلامه مع ما كان يعانيه من الوقوع فى بعض العلماء، فمن ذلك ادعاءه بنفسه بذى النسبين (دحية- الحسين) ودحية باجماع المحدثين لم يعقب كما حكى أبو الخطاب أنه كان يدعى أن له بالمغرب أموالاً عظيمة وأملاكاً كثيرة وغير ذلك من عظم القدر والجاه والمال، وذكر ذلك للملك الكامل فتعجب من ذلك وذكر أنهم قوم فقراء لا يؤبه لهم فى تلك البلاد وليس لهم بها ذكر[٣]، وكما حكى عن أبى الخطاب من أنه مع فرط معرفته وحفظه كان مهتماً بالمجازفة فى النقل فبلغ ذلك الملك الكامل فأمره أن يعلق شيئاً على كتاب الشهاب فعلق كتاباً فيه على أسانيده وأراه الكامل. فقال له الكامل بعد أيام ضاع منى الكتاب فعلق لى مثله ففعل فكان متنافيا للأول، فعلم السلطان صحة ماقيل غنه وعزله من المدرسة الكاملية وولى مكانه أخاه الإمام أبو عمرو اللغوى[٤].

---

(١) انظر الفصل السابق.

(٢) السلامى- تاريخ علماء بغداد، ص ٩.

(٣) اليونينى- ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص ٤٢٧.

(٤) الذهبى تذكرة الحفاظ، ج٤، ص ١٤٢١، ١٤٢٢، اليونينى، ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص ٤٢٢.

٣- إن وظيفة التدريس لم تكن من الوظائف المستقله فى مصر فى العصر الأيوبى إذ تروى لنا المصادر التاريخية عن بعض المدرسين الذين جمعوا بين وظيفة التدريس فى إحدى المدارس الأيوبية بمصر، وبين وظائف أخرى كالخطابة، والإفتاء، والقضاء فى الوقت نفسه فمن ذلك ما كتبه الإدفوى عن القاضي أبى الطاهر اسماعيل(١) من أنه كان حاكما بأسوان ومدرساً بمدرستها(٢) وكذلك ما حكى عن العز بن عبد السلام أنه كان يجمع بين يديه كل من القضاء والخطابه بجامع مصر والتدريس بالمدرسة الصالحية(٣)، وكذلك يفهم من كلام ابن حجر العسقلانى عن القاضى عماد الدين ابن السكرى(٤)" أنه كان يجمع بين وظيفتى القضاء والتدريس فى أكثر من مدرسة والخطابة بالجامع الحاكمى إذ ذكر أن عماد الدين لماهم على عدم العوده بعد العزل عن القضاء عزل من تدريس المدرسة الصلاحية المجاورة لضريح الشافعى، وتدريس المشهد الحسينى، وخطابة الجامع الحاكمى، وتدريس المدرسة المعروفة بمنازل العز(٥)".

---

(١) هو أبو الطاهر اسماعيل بن محمد بن حسان الأسوانى الأنصارى الشافعى المتوفى سنة ٥٩٩هـ-١٢٠٢م.
راجعه فى الفصل السابق، ص

(٢) انظر الفصل السابق.

(٣) الداردونى، طبقات المفسرين، ج١، ص ٣١٨.

(٤) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد العلى بن على المصرى عماد الدين بن السكرى الشافعى مولده بمصر سنة ٥٣٣هـ-١١٣٨م تفقه على الشهاب الطوسى بمدرسة منازل العز التى درس فيها بعد ذلك وكانت وفاته بمصر سنة ٦٢٤هـ-١٢٢٧م ودفن بها.
- النويرى- نهاية الأرب، ج٢٩، ص ١٤٢.

(٥) إبن حجر العسقلانى، رفع الأثر، ج١، القسم الأول، ص ٣٤١.

٤- وكما لاحظنا أيضا فى بعض المدارس أن عائلات بعينها قد تولت مهمة التدريس بها بمعنى أن الإبن كان يلي أبيه فى مهمة الجلوس لتلك المهمه كعماد الدين بن السكرى وأولاده الذين تولوا مهمة التدريس بالمدرسة التقوية واحداً تلو الأخر، ونفس الشىء بالمدرسة الناصرية الأولى إذا تولاها صدر الدين بن حموية[١] وأولاده من بعده وقد وجدنا تلك الظاهرة بالمدرسة السيوفية ومدارس أخرى[٢]، والظاهر أن تلك العادة قد بلغت حد العرف الواجب اتباعه على أولى النظر فى تلك الأمور، ويتضح ذلك من خلال ما ساقه إلينا المؤرخون عن خبر مؤداه أن الملك الظاهر بيبرس لما أحس بدنو أجل الشيخ عز الدين بن عبد السلام مدرس الصالحية سعى إليه وسأله عن من يوصى من أولاده ليكون خلفا له فى التدريس بالمدرسة المذكورة فاستعفى من ذلك بسبب أنه لا يرى فيهم أحداً مناسبا لذلك[٣]، وأوصى بها إلى القاضى تاج الدين بن بنت الأعز[٤] من بعده[٥].

٥- وقد بلغت وظيفة المدرس بمصر فى العصر الأيوبى إلى حد كبير من الاحترام والتوقير لدرجة أنه إن عين مدرس فى إحدى المدارس وتغيب لسبب من

---

(١) انظر الفصل السابق.

(٢) انظر الفصل السابق.

(٣) الإسنوى، طبقات الشافعية، ج٢، ص ٨٥.

(٤) هو قاضى القضاه تاج الدين عبد الوهاب بن خلف المصرى الشافعى، صدر الديار المصريه ورئيسها كان ذا ذهن ثاقب وحدس صائب ونزاهة فتثبت فى الأحكام توفى بمصر سنة (٦٦٥هـ-١٢٦٦م).

- ابن اسعد اليافعى- مرآة الجنان، ج٤، ص ١٩٤.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٢٣٥-٢٣٦- العينى، عقد الجمان، ص ٣٣٩.

الأسباب عين له نائب عوض عنه إلى حين عودته، ويعد ذلك تقليداً جديداً[١] القصد منه إطفاء الهيبة على تلك الوظيفة والذى يراجع الفصل السابق يقف على بعض من تولوا تلك المهمة[٢].

ثانياً: المعيدون :-

ارتبطت تلك الوظيفة أيضا بنشأة المدارس فقد روعى تفاوت مستويات الطلبة فى الفهم والاستيعاب، لذا فقد حرص مؤسسوا تلك المدارس على أن يولوا بها معيدين يكون مهمتهم الرئيسية إعادة الدرس الذى ألقاه المدرس على الطلبة[٣]، وعلى ذلك فالمعيد على حد قول السبكى عليه قدر زائد على سماع المدرس من تفهيم بعض الطلبة ونفعهم وعمل ما يقتضيه لفظ الإعاد"[٤] وبالطبع فإن وظيفة المعيد قد عرفت بمصر قبل العصر الأيوبى والذى يراجع ما كتبه السلفى فى معجم السفر يجد بعض من الذين تولوا تلك الوظيفة بالمدرسة السلفية وذلك قبل قيام الدولة الأيوبية[٥]، وأما بعد ذلك فقد وقفنا على كثير من النصوص والتراجم لبعض من هم تولوا تلك الوظيفة فى مدارس مصر فى العصر الأيوبى[٦]، والظاهر أن تلك الوظيفة كانت أحياناً تساهم فى سد العجز الذى كانت تواجهه

---

(١) ماجده محمد حسن، الثقافة والتربية في مصر على عهد بنى أيوب، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة المنيا، ١٩٨٣م، ص ١٢٣.

(٢) انظر الرسالة، الفصل السابق.

(٣) ماجده محمد حسن، الثقافة والتربية فى مصر على عهد بنى أيوب، ص ١٢٣.

(٤) السبكى، معيد النعم، ص ١٠٨.

(٥) جمال الدين الشيال، أعلام الإسكندرية، ص ١٤١.

(٦) راجع ما كتب عن هؤلاء في كل مدرسة من المدارس التى سبق الإشارة إليها فى الفصل السابق.

بعض المدارس من جراء نقص المدرسين فقد حكى المقريزى رواية عن المدرسة الناصرية الثانية من أنها بقيت ثلاثين عاماً (٦٤٨هـ-١٢٤٨م-٦٧٨هـ-١٢٧٩م) خالية من المدرسين واكتفى فيها بالمعيدين وكانوا عشرة أنفس[١] وليس معنى ذلك أن المعيد كان يبقى فى تلك الوظيفة طوال حياته بل أننا لاحظنا كثير من المدرسين بدأوا أول ما بدأوا بالإعادة لأحد المدرسين ثم استقلوا بعد ذلك بالتدريس[٢]، ومعنى ذلك أن الاعادة بالمدارس كانت وظيفة محددة من ناحية العدد في أى مدرسة من المدارس بحسب ما تقضى بذلك شروط وقفها وكذلك أيضاً كان التدريس فلايصح أن يرقى معيداً مهما طالت مدة اقامته بالمدرسة إلى درجة مدرس بها أو بغيرها من المدارس إلا فى حالة خلو ذلك المنصب ممن يشغله مع مراعاة أن يكون موافقاً لبقية شروط الواقف[٣].

ويبدوا أن وظيفة المعيد بالمدارس الأيوبية بمصر كانت وظيفة محترمة ولها أهميتها داخل المدرسة فهذا أبو الطاهر المحلى لما قدم إلى مصر وأراد أن يلتحق بالمدرسة الناصرية الأولى كواحد من طلابها ولم يجد أبو الطاهر هذا بالمدرسة مسكنا له فأخذ يتودد ويتقرب لمعيد المدرسة عسى أن ينفعه فى ذلك ويفهم ذلك من خلال ما كتبه السبكى عن أبى الطاهر إذ يقول "إن الفقيه أبا الطاهر قصد مصر للاشتغال وكان على حالة من القلة ونزل المدرسة الصلاحية، المجاورة للجامع العتيق أى الناصرية الأولى. ولم يحصل فيها على بيت بل خزانة يضع فيها كتابه وثوبه وكوزا وابريقا وكان معه شيء من العنبر فكان يبخر ذلك الكوز، وإذا جاء المعيد

(١) المقريزى، الخطط، ج٢، ص ٤٠٠.

(٢) انظر الرسالة، الفصل السابق.

(٣) المنذرى، التكمله لوفيات النقلة، ج٣، ص ٤٧٩.

والتمس ماء أتاه بذلك الكوز تقربا إليه وخدمة له ثم حكى له بعد ذلك الكثير من قلة ذات يده"(١).

ثالثاً: الإمام:-

وهى من الوظائف التى وجدنا لها مثالاً فى مدارس مصر فى العصر الأيوبى إذ يذكر لنا المنذرى عن أحد معاصريه، وهو أبو إسحاق إبراهيم المازنى(٢) المقرئ الشافعى الضرير المتوفى سنة ٦٣٩هـ ١٢٤١م من "أنه أم بالمدرسة الفاضلية إلى حين وفاته قال المنذرى "أبو اسحاق المازنى قرأ القرآن الكريم بالقراءات على شيخنا أبى الجود غياث بن فارس وسمع من غير واحد وتصدر بالجامع العتيق وأم بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة إلى حين وفاته"(٣)، وكذلك ما ذكره المنذرى أيضا عن إمام آخر بنفس المدرسة وهو أبو المهند حسام ابن مرهف ابن اسماعيل الفزارى الشافعى المتوفى سنة (٦١٣هـ-١٢١٥م)، وقال المنذرى "أبو المهند الفزارى قرأ القرآن الكريم بالقراءات وسمع معه- أى المنذرى- على غير واحد من متأخرى شيوخ تلك الفترة وتفقه على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه على غير واحد واشتغل بالجامع الظافرى مدة وتصدر أيضا فى الجامع المذكور وأم بالمسجد الذى بين القصرين

---

(١) السبكى، طبقات الشافعية الكبري، ج٨، ص ٤٨.

(٢) هو الشيخ الأجل أبو اسحاق إبراهيم ابن ترجم ابن حازم المازنى المقرئ الشافعى الضرير. قرأ القرآن الكريم بالقراءات على غياث بن فارس وسمع من غير واحد وتفقه على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه بمصر وأم بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة إلى حين وفاته سنة ٦٣٩هـ.

- المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص ٤٧٩.

(٣) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص ٤٧٩.

مدة وأم أيضا بالمدرةه الفاضلية بالقاهرة المحروسه مده[١]" وبالطبع فإن صاحب تلك الوظيفة كانت مهمته قاصرة على إمامة المقيمين بالمدرسة فى الصلاة.

رابعاً: القــارئ :-

وهو من موظفى المدارس الأيوبية بمصر، ولقد استدللنا على وجوده من خلال ما كتبه المنذرى عن الصالح أبى الربيع سليمان أبى عبد الله بن يوسف الهوارى من "أنه اقرأ وأم بالناس بالمدرسة الصاحبية المتوفى سنة (٦١٢هـ-١٢١٦م)[٢] ولقد أورد لنا السبكى ثلاثة من الوظائف التى تتعلق بقرأة القرآن داخل المدرسة[٣] فلا ندري أكان قارءا للعشر وهو الذى ينبغى عليه أن يقدم قراءة العشر وذلك قبل الدرس[٤] أم أنه كان من القراء الذين كانوا يقرأون القرآن بالالحان وهم الذين عليهم إعمال جهدهم فى تأدية كلام الله تعالى كما أنزل بلفظ بين أم أن الصالح أبا الربيع كان قارئا للكرسى وهو من يجلس على كرسى يقرأ على العامه شيئا من الحديث والتفسير[٥].

خامساً: المؤذن :-

قد عثرنا أيضا على بعض النصوص التى تشير إلى وجود وظيفة أخرى قد عرفت بمدارس مصر فى العصرين الفاطمى والأيوبى معاً، وهى وظيفة المؤذن فكانت

---

(١) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٢، ص ٣٦١.

(٢) انظر الفصل السابق، المدرسة الصاحبية.

(٣) السبكى، معيد النعم ومبيد النقم، ص ١٠٩.

(٤) السبكى، المصدر نفسه، ص ١١٠.

(٥) السبكى، المصدر نفسه ، ص ١١٣.

هيئة المدرسة السلفية تضم غير الأستاذ، وهو الحافظ السلفى وغير المعيدين مؤذناً يؤذن للناس فى أوقات الصلاة، وقد توالى على تلك المدرسة عدد من المؤذنين أشار السلفى إلى واحد منهم، ومن الغريب إنه يذكر أن هذا المؤذن كان شديد الصمم وقد بدأ حياته مؤذناً فى مدرسة السلفى قال فى معجم السفر "أبو القاسم نجا بن على بن الحسن الرملى المؤذن بالأسكندرية شيخ صالح كبير السن شديد الصمم كان يؤذن فى دار الفقيه الطرطوشى ثم كان يؤذن عندى وكان جهورى الصوت[١]" وفى العصر الأيوبى كتب لنا المنذرى عن أبى الحسن على اللخمى، "ومن أنه سمع بدمشق وبمصر من غير واحد وحدث وولى التأذين بالمدرسة الصاحبية بالقاهرة المحروسة إلى حين وفاته سنة (٦٣٩هـ-١٢٤١م)"[٢].

سادساً: الناظر :-

والظاهر أنه كان يعين بالمدرسة رجلاً كانت مهمته الرئيسية الإشراف على مصالح الوقف بها ومايحتويه، إلا أننا لم نعثر فى مدارس مصر فى العصر الأيوبى على مثال واحد لهذا الناظر عدا ما ذكرناه عن مدرسى المدرسة الناصرية الثانية والمدرسية السيوفية من انهما كانا يتقاضيا بجوار راتبيهما عن التدريس راتبا أخر عن النظر فى أوقاف المدرسة[٣]، ومعنى ذلك أن تلك الوظيفة جاءت فى هاتين الحالتين غير مستقلة بذاتها ومن الجائز أن يكون صاحبها مدرساً أو غير ذلك.

---

(١) السلفى، معجم السفر، ورقة رقم ٧٨- جمال الدين الشيال، اعلام الإسكندرية فى العصر الإسلام، ص ١٤١، ١٤٢.

(٢) المنذرى، التكمله لوفيات النقله، ج٣، ص ٥٧٢.

(٣) انظر الرسالة، الفصل نفسه، ص .

سابعاً: الخدم :-

وبالطبع فإن مؤسسى تلك المدارس قد اهتموا بتوفير الخدم بمدارسهم، وذلك للنظر فى مصالح المدرسين والطلبة وغيرهم من أهل المدارس وقد أشار لنا إبن جبير عن هؤلاء الخدم فى أثناء مقامه بالإسكندرية إشاره سريعة فى النص الذى سنذكره فيما يلى[١]، وبالطبع فأننا لم نعثر على تراجم لبعض هؤلاء نظراً لأن أوضاعهم كانت لاتسمح بأن يكون منهم ذا ذكر.

ثامناً: موظفوا المكتبة :-

ولاشك أن مكتبات المدارس كان يلحق بها موظفون مهمتهم الرئيسية المحافظة على الكتب والإشراف على اعادتها، وقد ذكر لنا السبكى بعضاً من هؤلاء[٢] إلا أننا لم نجد من أفصح لنا عن واحد من هؤلاء فى إحدى المدارس الأيوبية بمصر لاتلميحا ولاتصريحا، وهو نفس ما حدث فى بقية الوظائف الأخرى التى لم نذكرها والتى ذكرها السبكى باعتبارها الهيئة التعليمية والإدارية التى ينبغى أن تكون بأى مدرسة، لذا فإننا لانستطيع أن نسلم بوجود كل هذه الوظائف مجتمعة فى مدارس مصر فى العصر الأيوبى خاصة أن السبكى كان متأخراً عن تلك الفترة.

تاسعاً: طلاب المدارس :-

يعتبر طلاب المدارس هم الأساس الذى كانت تبنى عليه العملية التعليمية بتلك المدارس، لذا فقد حرص مؤسسوها على توفير الرعاية لهؤلاء فى مدارسهم، وقد أمدتنا المصادر التاريخية بمعلومات قيمة تعيننا على إيضاح ذلك إلا أنها فـــى

---

(١) انظر الرسالة، الفصل نفسه، ص .

(٢) السبكى، معيد النعم، ص١١.

الوقت نفسه لم تعيننا فى الرد على كثير من التساؤلات المتعلقه بذلك الموضوع كعمر الملتحق بالمدرسة هل كان محدداً فى حجه واقفها وان كنا لا نعتقد بذلك ولانميل إلا بأكتفائهم بأن يكون المتقدم عاقلا راشدا ،، وان كنا نحتاج إلى دليل ونفس الشيء يمكن أن نقوله عن سنوات الدراسة التى لم تبدوا لنا واضحة فى المصادر وقبل أن نتناول ذلك الموضوع للدراسة ينبغى علينا أولا أن نفرق بين طلاب المدرسة الأساسيين أو فقهاءها على حد قول السبكى وهم أحد العناصر الرئيسية بالمدرسة[١] والطلاب غير المنتظمين :-

أ) الطلاب المنتظمون :-

وهم الطلبه النظاميون الذين رتبوا على حسب ما تقتضيه حجة وقف كل المدرسة على حدة ويحتمل أن عددهم كان معروفاً ثابتاً بشرط الواقف، وإن كنا لم نعثر فى المصادر على من وضع لنا تحديداً لأعداد هؤلاء فى أى مدرسة قال المقريزى عند الحديث عن المدرسة القمحية "ورتب فيها أربعة من المدرسين عند كل مدرس عده من الطلبة"[٢] والذى يزيد الأمر وضوحاً ما كتبه المقريزى نفسه عن المدرسة السيوفية ومدرسها مجد الدين الجبتى الذى جعل له النظر فى أوقاف المدرسه، فقد سمح له بحريه التصرف بعد راتبه فى باقى ريع الوقف حيث قال "وباقى ريع الوقف يصرفه على ما يراه لطلبة الحنفية المقررين عنده على قدر طبقاتهم"[٣] والذى يدقق النظر فى ذلك النص يكتشف أن طلبة الحنفية بالمدرسة السيوفية كانوا

(١) السبكى، معيد النعم، ص ١٠٩.

(٢) المقريزى، الخطط، ج٢، ص ٣٦٤.

(٣) المقريزى، المصدر السابق، ج٢ ص ٣٦٤.

السعى بنفسه وراء كل ما يتعلق بالعلم الذى يدرس من الكتب والعلماء سواء كان ذلك داخل المدرسة أوخارجها[١].

ويلحق بهذه الطوائف طائفة اخرى من الطلاب الغرباء الذين حلت بهم الرحلة بديار مصر لأسباب منها وقوع مصر على طريق الحج والتجارة وهو الأمر الذى كان يؤدى ببعض من الحجاج والتجار وبخاصة المغاربة والأندلسيين الإقامة بمصر بعض الوقت قبل استكمال الرحلة من وإلى بلادهم وقد كان أكثر هؤلاء يفضلون الإقامة بالمدارس الايوبية بمصر للاستفادة من الخدمات التي كانت تقدمها تلك المدارس لهؤلاء ومن أولها الاستماع لدروس الفقه على يد متخصصين ولقد مر بنا مثال شاهد على بلوغ أفضلية نزول هؤلاء بالمدارس إلى حد بناء تجار البهار من قبائل التكرور لمدرسة ابن رشيق لذلك الغرض[٢]، ولعل ما شاهده ابن جبير بالإسكندرية ودونه فى رحلته يتفق مع ذلك الاتجاه إذ يقول "ومن مناقب هذا البلد. ومفاخره العائدة فى الحقيقة إلى سلطانه. المدارس والمحارس الموضوعة فيه لأهل الطلب والتعبد. يفدون من الأقطار النائية فيلقى كل واحد منهم مسكنا يأوي إليه ومدرساً يعلمه الفن الذى يريد تعليمه وإجراء يقوم به فى جميع احواله واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الطارئين حتى أمر بتعين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك ونصب لهم مارستانا لعلاج من مرض منهم ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم وتحت أيديهم خدام يأمرونهم بالنظر فى مصالحهم التى يشيرون بها من علاج وغذاء، وقد رتب أيضا فيه أقوام برسم الزيارة للمرضى الذين

(١) السبكى، معيد النعم، ص ١٠٨، ١١١.

(٢) انظر الرسالة، الفصل السابق.

لايستطيعون الوصول للمارستان المذكور من الغرباء خاصة، وينهون إلى الأطباء أحوالهم ليتكفلوا بمعالجتهم"(١)، ومعنى ذلك أن هذه الطائفة من الغرباء قد اتفقت مع طلاب المدرسة المنتظمين فى كافة الحقوق التى كانت توفرها لهم المدارس.

ب) طلاب غير منتظمين :-

وهم من الذين كانوا يحضرون مجالس العلماء بالمدارس بصفة غير منتظمة على حسب ما تقتضيه فى ذلك ظروفهم، ولذا فإنه لم يكن بالضرورة أن يشملهم شرط الواقف من حقوق أو واجبات وقد مر بنا مثال لهؤلاء بالمدرسة السلفية، حيث ذكرت لنا المصادر التاريخية أن صلاح الدين وولديه لما كانوا بالإسكندرية قصدوا تلك المدرسة للاستماع إلى دروس الشيخ السلفى(٢).

المنشآت الرئيسية بالمدرسة :-

أولاً: قاعات الدرس :-

كما تميزت المدارس بقاعات إلقاء الدرس فيها وقد حرص مؤسسوها على أن تكون مناسبة لعدد الطلبة المقررين بأى مدرسة، ولعل أكبر دليل على ذلك ما أشرنا إليه عند الحديث عن المدرسة القمحية من أن صلاح الدين قد جعل بها أربعة قاعات للدرس بحيث أن يكون لكل قاعة منها مدرس وذلك على الرغم من أن المدرسة القمحيه بقاعاتها الاربعة قد اوقفت على مذهب واحد وهو المذهب المالكى ومعنى

---

(١) ابن جبير، رحله بن جبير، ص ٤٦، أحمد عبد الحميد خفاجى، المرجع السابق، ص ٣.

(٢) أحمد عبد الحميد خفاجى، المرجع السابق، ص ٢٣، راجع الرسالة الفصل الأول.

ذلك إنه قد روعى عند تأسيسها ملائمة أعداد القاعات مع الغرض الذى أنشأت من أجله تلك المدرسة.

ثانياً: مساكن المدرسة :

سبق لنا أن أشرنا إلى أن المدارس قد اهتم مؤسسوها بجعلها مشتملة على أهم ما ميز المؤسسات التعليمية الأخرى كالخوانق والخانات، والتى كان أهم ما يميزها هو اشتمالها على مساكن ودور للطلبة والمدرسين وفى مصر حرص مؤسسوا تلك المدارس منذ نشأتها بأن يلحقوا بها دوراً ومساكن للطلبة والمدرسين، وقد سبق لنا الإشارة إلى دار الطرطوشى التى كانت بحق جزءاً لايتجزء من مدرسته[١]، وفى العصر الأيوبى نجد إشارات متفرقة عن تلك الدور كالدار التى خصصت للعز بن عبد السلام بالمدرسة الصالحية[٢]، وكذلك الدار التى خصصت لأبى عبد الله محمد بن عبد الوهاب بالمدرسة السيوفية يفهم ذلك من كلام المنذرى إذ يقول عنه- أى أبى عبد الله- "وكانت وفاته بمنزله الذى بالمدرسة السيوفية التى بالقاهرة"[٣].

ومن الملاحظ أن تلك الدور كان لها دور كبير فى استقرار أحوال المدرسين إلى الحد الذى أصبح وجودها من أهم الأسباب والدوافع وراء حرص هؤلاء المدرسين على البقاء بوظائفهم داخل تلك المدارس وفى ذلك يذكر لنا ابن حجر العسقلانى فى رواية عن عماد الدين بن السكرى من أنه لما عزل من تدريس مدرسة منازل العز كان أول ما اشتكى به من ذلك العزل هو فقده لداره بالمدرسة التى هى سكنه وسكن عائلته يقول إبن حجر، "فاجتمع عماد الدين بن السكرى بالشيخ أبى العباس، وتشكى

(١) انظر الرسالة، الفصل الأول.

(٢) الداروتى، طبقات المفسرين، ج١، ص ٣١٨.

(٣) المنذرى، التكمله لوفيات النقله، ج٣، ص ٦٤٢.

إليه أنه شق عليه عزله من المدرسة المذكورة- أى منازل العز- لكونها سكن عائلته وهم كثير"(١).

وجدير بالذكر أن تلك الدور والمساكن قد لعبت دوراً هاماً فى تحسين العلاقات بين المدرسين والطلبة فها هو العالم نجم الدين الخبوشانى الذى عينه صلاح الدين على المدرسة الصلاحية كان يعامل الطلبة معاملة الأب لأبنائه ويحاول تقصى أخبارهم والسؤال عن مشاكلهم، ومحاولة حلها حتى يتفرغوا لطلب العلم وقد خرج فى بعض الليالى يطوف على بيوت الطلبة بالمدرسة فسمعهم يقرأون القرآن حتى أتى على خلوة فنظر من خلال الباب فرأى صاحب الخلوة وقد وضع الكتاب من يده وأنشد يقول:-

تطاول هذا الليل والعين تدمع	وأورثنى حزنا بقلبى يوجع
فبث أقاسى الليل أرعى نجومه	وباب فؤادى خائفا يتفزع
إذا غاب عنى كوكب فى مغيبه	تغيب عقلى أخر حين يطلع
إذا ما تذكرت الذي كان بيننا	وجدت فؤادى بالهوى يتقطع
وكل محب ذاكر لحبيبه	يرى لقاه كل يوم ويطمع
فذا العرش فرج ما ترى فى صبابتى	فأنت الذى ترعى أمورى وتسمع

فلما أصبح الخبوشانى قال للفقيه ما الذى كنت تقول الليلة فقال كنت أقرأ العلم فقال حدثنى حديثك فقد سمعت إنشادك فقال ياسيدى كانت لى إبنة عم بانت عنى بالطلاق فوجدت عليها وجداً عظيما وسألت أباها أن يردها لى فأبى وحلف أن

(١) ابن حجر العسقلانى رفع الأثر عن قضاه مصر،ج١، القسم الأول ص ٣٤١.

لايردها لى حتى يأتيه الخبوشانى ماشياً وأنا أستحى أن أذكر ذلك لك ياسيدى فضحك الخبوشانى فبينما هما كذلك فإذا بصلاح الدين قد أقبل ودخل على الشيخ فرآه ضاحكا فسأله فأخبره بقضية الرجل فأمر له بثلثمائة دينار ثم ذهب الشيخ معه ماشيا إلى منزل أبيها فخرج وقبل يده وقال له ياسيدى أنه فقير فأخرج له المال فقال له ردها له فردها له(١).

ثالثاً: مكتبات المدارس :

كما اقتبست المدارس من دور العلم فكرة الحاق مكتبات بها لتسهل على الدارسين البحث والدرس ولدينا مثال واضح لمكتبات المدارس فى مصر فى العصر الأيوبى وهى المكتبة التى الحقها القاضى الفاضل بمدرسته(٢)، قال المقريزى رواية عن الفاضل "ووقف بهذه المدرسه جملة عظيمة من الكتب فى سائر العلوم يقال أنها كانت مائة ألف مجلد"(٣) وقد أوردت لنا المصادر التاريخية معلومات تفيد بأن القاضى الفاضل قد جمع معظم تلك الكتب من خلال ما بيع من الكتب التى

---

(١) ابن الزيات، الكواكب السياره، ص ٢١٤، ٢١٥،- عفاف صبره المدارس فى العصر الأيوبى، ندوة المدارس الإسلامية، ص ١٨٨.

(2) Fahmy, A.H. The Educational Ideas of The Muslims In the Middle Ages, (Thesis for the M.A.) in Education, The University of Bermingham, 1937. p. 36.

- السيد السيد النشار، تاريخ المكتبات فى مصر فى العصر المملوكى، تقديم د/ محمد فتحى عبد الهادى وآخرون ، الدار المصريه اللبنانية، القاهره، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ص ٦٩.

(٣) المقريزى، الخطط، ج٢، ص ٣٦٦، محمد زغلول سلام، الأدب فى عصر صلاح الدين الايوبي، ط١، القاهره، ١٩٥٩م، ص٨٩.

أحتوتها مكتبة القصر الفاطمى وقد اشترى القاضى الفاضل ذلك من ماله الخاص وهذه الكتب قد ذهبت كلها "وكان أصل ذهابها أن الطلبة التى كانت بها لما وقع الغلاء بمصر فى سنة (٦٩٤هـ- ١٢٩٤م) والسلطان يومئذ الملك العادل كتبغا المنصورى مسهم الضر فصاروا يبيعون كل مجلد برغيف خبز حتى ذهب معظم ما كان فيها من الكتب ثم تداولت ايدى الفقهاء عليها بالعارية فتفرقت وبقى بها إلى زمان المقريزى مصحف قرآن كبير القدر جداً مكتوب بالخط الأول الذى يعرف بالكوفى تسميه الناس مصحف عثمان بن عفان، ويقال أن القاضى اشتراه بنيف وثلاثين ألف دينار على أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وكان فى خزانه مفردة له بجانب المحراب من غربيه وعليه مهابة وجلاله"[١].

رابعاً: بيت الصلاة :-

كما اهتم مؤسسوا تلك المدارس بإجاد بيت صلاة بالمدرسة لكى لايحتاج الدارسون بها الخروج خارجها فى أوقات الصلاة، وقد لاحظنا ذلك من خلال الوظائف الإدارية التى فيها إشارة لذلك كالمؤذن والإمام ومن خلال ما كتبه المقريزى فى النص الذى اشرنا عن مكتبة المدرسة الفاضلية الذى فيه إشارة إلى محراب الصلاة بتلك المدرسة.

خامساً: الحمامات :-

كما لاحظنا من خلال النصوص السابقة حرص مؤسسى المدارس على الحاق حمامات بمدارسهم من أجل أن يستحم بها المقيمون فى المدرسة كمدرسة منازل العز والمدرسة الناصريه الثانية والمدارس التى شهدها ابن جبير بالإسكندرية[٢].

---

(١) المقريزى، الخطط، ج٢، ص ٣٦٦.

(٢) أحمد عبد الحميد خفاجى، المرجع السابق، ص ١٨.

سادساً: المارستان :-

كما اهتم مؤسسوا المدارس الأيوبية بالطلبة والمدرسين من الناحية الصحية فأنشأوا المارستانات والحقوها بالمدارس(١) ويعد ما ذكره ابن جبير عن المارستانات التى الحقت بمدارس الإسكندرية فى النص الذى أشرنا إليه آنفا لأوضح دليل على ذلك.

ومما يدعونا للأسف بعد ذلك هو إننا لم نهتدى فى المصادر التاريخية لتلك الفترة عن أية معلومات عن التنظيمات الداخلية بالمدارس الأيوبية بمصر من ناحية طريقة التدريس المتبعة ومواعيد الدراسة والعطلات ومايتعلق بذلك من طريقة منح الإجازات العلمية والضوابط المنظمة لعلاقه الاستاذ بالطالب فلا نملك فى تلك الناحية سوى بعض الكتب العامه والتى لم تشر إلى عصر بعينه أو مدرسة بذاتها ككتاب "تذكرة السامع والمتكلم فى آداب العالم والمتعلم" لمؤلفه بدر الدين بن جماعه(٢)، وقد حاول كثير من الباحثين الاستفاده من ذلك الكتاب وغيره من الكتب التى ألفت فى ذلك الشأن فى كتاباتهم عن الأنظمة التعليمية فى مدارس مصر فى العصر الايوبى(٣)، ولكن ذلك كله جاء من وجهة نظر الباحث دون جدوى حيث انهم لم يأتوا فى دراساتهم بأى استدلال عن ذلك العصر وسوف نحاول فى الفصل التالى عرض ما إستطعنا جمعه من شتات الكتب فى ذلك الموضوع.

---

(١) أحمد عبد الحميد خفاجي، المرجع السابق، ص ٢٣.

(٢) إبن جماعة (بدر الدين إبراهيم سعد الله ت ٧٣٣هـ-١٣٣٢م)، تذكرة السامع والمتكلم فى آداب العالم والمتعلم، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، بيروت، ١٩٦٧م.

(٣) أحمد عزت عثمان، التربية والمجتمع المصري فى العصر الايوبى، ص٤١٧ ومابعدها- ماجدة محمد حسن، الثقافةو التربية فى مصر على عهد بنى ايوب، ص ١١١ ومابعدها- ناظم رشيد، التعليم فى ظل الدولتين الزنكية والايوبية، مجلة آداب الرافدين، سنة ١٩٧٩م، العدد العاشر، ص ٢٧٨، ومابعدها- اميل فهمى، التعليم فى مصر، مكتبة الانجلو المصريه، القاهره، سنة ١٩٧٥م، ص ٢١٤.

الفصل الرابع

الآثار العلميه والثقافية لمدارس مصر في العصر الايوبى

الفصل الرابع

الآثار العلمية والثقافية لمدارس مصر في العصر الأيوبى

لم يكن قدوم الأيوبيين إلى مصر وإحلالهم في الحكم بدلاً من الفاطميين بالشكل الذى اعتدنا عليه في التاريخ الإسلامي من سقوط دول، وقيام أخرى بدلاً منها فلم تكن الدولة الفاطمية مجرد أسرة من الأسر الحاكمة التى توالت على مصر بل أنها كانت الممثل الأول للفكر الشيعي في العالم الإسلامي، ومعنى ذلك أن بقائها بمصر طوال قرنين كان ولابد أن يؤثر في كافة المعتقدات الفكرية لدى المصريين لذا فإنه قد تحتم على الذين تولوا حكم البلاد من بعدهم لاسيما إذا كانوا مخالفين لهم في المذهب أن تكون قاعدة حكمهم للبلاد ترتكز على أصل واحد وهو التركيز على صياغة البناء الفكرى للمجتمع المصرى صياغة جديدة تتفق مع كافة التغيرات السياسية والحضارية التى سوف يحدثها الأيوبيون ولم يكن أمامهم سوى علوم أهل السنة وعلمائها لتحقيق ذلك الغرض[١]، وقد وجد الأيوبيون في المؤسسات التعليمية الجديدة وهى المدارس معيناً رئيسياً على تحقيق أهدافهم التى لم تتوقف عند حد القضاء على المذهب الشيعي وإحياء المذهب السنى بل تعدتها إلى اعتبار أن تلك الخطوة بمثابة مرحلة أولى في إعداد المجتمع المصرى لمواجهة الخطر

---

(١) أحمد النجار (الانتاج الأدبى في العصرين الفاطمى والايوبى في مدينه الإسكندرية)، المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهره، ١٩٦٤م، ص ٦٥. محمود مصطفى، الأدب العربى في مصر، ص ٣١٥- ستانلى لينبول، سيرة القاهرة، ص ١٦١.

الصليبى[١]، وذلك عن طريق تحويل انتماءاتها الدينية والثقافية إلى مركز الخلافة العباسية ببغداد وقد حاولت المصادر السنية أن تعطى صوره هادئة لرد فعل الشعب المصرى بإزاء هذا التغيير المذهبى للدولة فذكر البعض أن هذا الأمر لم ينكره أحد لأن معظم المصريين كانوا سنيين لذلك قبلوا هذا التصرف من صلاح الدين وخلفائه، وهكذا عرضت وجهه النظر الرسميه لمعظم مؤرخى السنة المصريين فى صورة المبتهجين والمنصاعين فى هدوء للتغيير الذى أحدثه صلاح الدين ولكن وقائع الأحداث لاتطابق هذه النظرة فقد حدثت محاولات كثيرة لإعادة الخلافة الفاطمية طوال العصر الايوبى[٢].

وتشير حركة إنشاء المدارس بمصر الايوبية إلى الدور الذى لعبته تلك المؤسسات فى مواجهة ذلك الخطر[٣] من خلال ما أوضحته لنا المصادر التاريخية عن الآثار العلمية لهذه المؤسسات، وذلك عن طريقين أحدهما وهو مساهمتها فى الاستفادة من العناصر السنية من المصريين الذين عاشوا فى العصر الفاطمى، وأما الثانى فهو مساهمتها فى فك العزلة الثقافية التى ضربها الفاطميون على المصريين فى عهدهم.

---

(١) أحمد النجار، الإنتاج الأدبى فى العصرين الفاطمى والأيوبى فى مدينة الإسكندرية، ص٥٧- أحمد عزت، التربية والمجتمع المصرى، ص ٤٠٨ - ماجدة محمد حسن، الثقافة والتربية فى مصر على عهد بني أيوب، ص ٤٢- سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج١، ص ١٢٤.

(٢) انظر سهام مصطفى أبو زيد، الدعوه الإسماعيلية ومدى نجاحها فى مصر الإسلامية، ص٢٨٢- محمد زغلول سلام، الأدب فى عصر صلاح الدين الايوبى، ص٩٦.

(٣) أندريه ريمون، القاهرة تاريخ حاضرة، ص ٩٨- محمد أمين، الأوقاف والحياة الإجتماعية فى مصر، ص ٦٥.

أولاً: الاستفادة من رجال الدولة الفاطمية السنيين :

ساهمت مدارس مصر فى العصر الأيوبى وبصورة ملحوظة فى إتاحة الفرصة أمام المصريين للوصول إلى درجات علمية محترمة وخصوصاً هؤلاء الذين عاشوا وتربوا فى كنف الدولة الفاطمية كنجم الدين محمد بن الموفق بن سعيد بن الحسن بن عبد الله الخبوشانى كان مولده بنيسابور فى رجب سنة (٥١٠هـ-١١١٦م) وتفقه بها وقدم مصر سنة (٥٦٥هـ-١١٦٩م) في خلافة العاضد فأقام بمسجده بالقاهرة مدة، ثم تحول إلى تربة الشافعى رضى الله عنه، وتبتل لعمارة التربة المذكورة والمدرسة ودرس بها مدة، قال عنه السبكى: كان إماماً جليلاً كبير المحل فى الورع قل أن ترى العيون مثله، زاهداً وعالماً، وآمراً بالمعروف[1] وكان السلطان صلاح الدين حسن العقيدة فى الشيخ الخبوشانى وكان الخبوشانى له حال غريبة ومحل مكين ومقام فى الدين، وكان يقول بملء فيه اصعد إلى مصر وازيل ملك بنى عبيد اليهودى، فصعدها وصرح بلعنهم، وحاروا فى أمره وأرسلوا إليه بمال عظيم، قيل: مبلغه أربعة آلاف دينار فلما وقع نظره على رسولهم نهض إليه بأشد الغضب، وقال: ويلك ما هذه البدعة؟ وكان الرجل قد زور فى نفسه كلاماً يلاطفه به، فأعجله عن ذلك فرمى بالدنانير على رأسه ويسب أهل القصر[2] ثم إن العاضد توفى وتهيب صلاح الدين خوفاً من الخطبة لبنى العباس حزراً من الشيعة فوقف الخبوشانى أمام

(١) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٦، ص ١٤- ابن أسعد اليافعى، مرآة الجنان، ج٣، ص ٤٣٣- سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج٢، ص ١٧٦.

(٢) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٦، ص ١٥- ابن أسعد اليافعى، مرآة الجنان، ج٣، ص ٤٣٣- سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج٢، س ١٧٧.

المنبر بعصاه، وأمر الخطيب أن يذكر بنى العباس ففعل، ولم يكن إلا الخير، ووصل إلى بغداد الخبر، فزينوها وأظهروا من الفرح فوق الوصف(١).

وأما القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى فقد دخل إلى مصر شاباً طموحاً فى وزارة ابن رزيك(٢)، وقد أخذه طموحه إلى صعود مستمر فى مناصب متتالية إلى أن دخل القصر الفاطمى، وتولى مهمة الإشراف على مراسلات الخليفة وساعده في ذلك موهبته الأدبية الفزة وقد سهل ذلك عليه مهمة الاتصال بنور الدين محمود ونوابه إلى مصر أسد الدين ومن بعده صلاح الدين(٣)، وقد لاحظنا أن حركة إنشاء المدارس بمصر فى العصر الأيوبى لإحياء المذهب السنى بها قد لقت هواً فى نفس القاضى الفاضل فابتنى المدرسة التى نسبها إليه فى سنة (٥٨٠هـ-١١٨٤م) ووفر لها كل ما يسمح بنجاحها فى أداء رسالتها.

ثانياً : فك العزلة الثقافية :-

ومن أكثر ما يمكن الإشارة إليه فى ذلك الموضوع أن المدارس الإسلامية بمصر فى ذلك العصر قد ساهمت وبصورة فعالة على فك العزلة الثقافية التى كان الفاطميون قد فرضوها على المصريين وإعادة فتح الباب أمامها للاتصال بالعالم السنى وذلك

(١) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٦، ص ١٥- ابن أسعد اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص ٤٣٣- سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج٢، ص ١٧٧.

(٢) وهو: الملك الصالح طلائع بن رزيك دخل القاهرة عند قتل الملك الظافر فتولى الوزارة في ايام الفائز واستمرت وزارته إلى أيام العاضد وكانت له رياسة وسلطة فى الدوله الفاطمية ولم يكن حظه احسن من غيره الذين سبقوه فى الوزارة فقد انتهى أمره بمقتله فى حدود السنة (٥٥٦هـ-١١٦١م).

- إبن اسعد اليافعى، مرآه الجنان، ج٣، ص ٣١٠.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٢٤- أحمد أحمد بدوى،، الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٣٥٧.

عن طريق استقطابها لكثير من علماء البلاد الإسلامية الأخرى يروى لنا السيوطى رواية عن العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبى يشير فيها إلى مكانة هؤلاء العلماء الوافدين إلى مصر، قال السيوطى أن الحسن بن أبى الحسين النعمانى الفارسى[1] لما دخل الشام وأقام بالقدس مدة، فاجتاز به العزيز بن صلاح الدين بن أيوب، فرآه عند الصخرة يدرس، فسأل عنه فعرف منزلته فى العلم فأحضره ورغبه فى المسير معه إلى مصر ليقمع به الشهاب الطوسى مدرس منازل العز فورد أبو الحسن معه إلى مصر وأجرى له العزيز كل شهر ستين ديناراً ومائة رطل خبز وخروفاً وشمعة كل يوم ومال إليه الناس وقرر العزيز المناظرة بينه وبين الطوسى وعزم الحسن على أن يسلك معه مسلكاً فى المغالطة لأن الطوسى كان قليل المحفوظ إلا أنه كان جريئاً مقداماً، فركب العزيز يوم العيد وركب معه الطوسى والحسن، فقال الحسن للعزيز فى أثناء الكلام: أنت يا مولاى من أهل الجنة، فوجد الطوسى السبيل إلى مقتله، فقال له : وما يدريك أنه من أهل الجنة، وكيف تزكى على الله ومن أخبرك بهذا ما أنت إلا كما زعموا أن فأرة وقعت فى دن خمر فشربت فسكرت فقالت : أين القطاط؟ فلاح لها هر فقالت : لا تؤاخذ السكارى بما يقولون وأنت شربت من خمر دن هذا الملك فسكرت، فصرت تقول خالياً: أين العلماء؟ فأبلس الحسن ولم يحر جواباً وانصرف وقد انكسرت حرمته عند العزيز وشاعت هذه الحكاية بين العوام

---

(١) وهو أحد شيوخ المذهب الحنفى فى زمانه أصله من العراق ثم انتقل إلى الشام فأشتغل بها مدة ثم انتقل إلى مصر فى خلافة العزيز عثمان ثم عاد إلى الشام مره أخرى فأقام بها بالمدرسه الأسدية يفتى ويدرس إلى أن مات سنة ٥٩٨هـ-١٢٠١م وكان أبو الحسن هذا مبرزاً فى النحو والعروض والقوافى والشعر والاخبار عالماً بتفسير القرآن والفقه والخلاف والكلام والحساب والمنطق والهيئة والطب.
الداودى، طبقات المفسرين، ج١، ص ١٣٥، ١٣٦.

وصارت تحكى فى الأسواق والمحافل[١] وللشهاب الطوسى هذا (٥٢١هـ:٥٩٦هـ-١١٢٧:١١٩٩م) مكانة عالية بين العلماء وأصلة من طوس[٢] قدم بغداد وعظم قدره بها ثم حج، وأتى مصر سنة ٥٧٩هـ-١١٨٤م ودرس بمنازل العز وتخرج به أئمة وكان جامعاً للفنون غير محتفل بأبناء الدنيا[٣] وكان طوالاً مهيباً مقداماً، ساد الجواب فى المحافل وكان يرتاعه كل أحد ويتضاءل له وكان يحنق بظرافة ويتيه على الملوك بلباقة ويخاطب الفقهاء بصرامة وجاء يوم عيد والسلطان بالميدان فأقبل الطوسى وبين يديه منادى ينادى هذا ملك العلماء وجرى له مع العادل ومع ابن شكر قضايا عجيبة لما تعرضوا لأوقاف المدارس فذب عن الناس، وثبت[٤].

وكان أمين الدين التبريزى مدرس الناصرية الأولى عراقى الأصل قدم إلى مصر واستوطنها دهراً يؤلف ويدرس، قال عنه السبكى: وكان أمين الدين التبريزى من أجل مشايخ العلم فى ديار مصر فقيهاً أصولياً عابداً زاهداً كثير العبادة، إماماً مناظراً مبرزاً[٥].

---

(١) الدارودنى، طبقات المفسرين، ج١، ص ١٣٦- السيوطى، بغية الوعاة، ج١، ص ٣٠٥.

(٢) طوس هى مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ تشتمل على بلدتين يقال لاحداهما الطابران وللأخرى نوقان ولهما أكثر من ألف قرية فتحت فى عهد عثمان بن عفان.

ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٤، ص ٤٩.

(٣) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ٣٨٧- إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٢٤- المقريزى، السلوك، ج١، ص ١٦١.

(٤) الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ٣٨٨، ٣٨٩- المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج١، ص ٣٦٥.

(٥) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص ٣٧٣- السيوطى، حسن المحاضرة، ج١، ص ٤١٠- المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٣، ص ١٣٤.

ومن العراق أيضاً جاء إلى مصر أولاد صدر الدين بن حموية وكانوا من بيت رياسة وعلم ولهم عند بنى أيوب حرمة وافرة وهم من أئمة المدرسين بالمدارس الأيوبية المختلفة(١) وصدر الدين هذا هو أبو الحسن بن عمر بن حموية الجوينى، شيخ الشيوخ هكذا يكتب بخطه اسمه ولايسمى نفسه(٢) وبعضهم يسميه محمداً(٣) وأما إبن العديم فقال إن إسمه الصحيح حسن بن عمر(٤) والذى يهمنا فى ذلك الموضوع ما اتفق عليه الجميع بأن مولده كان بجوين(٥) في سنة (٥٤٣هـ-١١٤٨م) ثم إنه تردد فى شبابه بين العراق والشام لطلب العلم من شيوخ تلك الديار وكان من بين هؤلاء أبوه الذى كان له مكانة مرموقة فى العلم بين أهل الشام واتفق أثناء ذلك أن توفى أبوه فى سنة (٥٧٧هـ-١١٨١م) وصدر الدين عنده(٦) فمنعه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب من العودة إلى العراق وولاه مكان والده(٧) وجعله شيخ الشيوخ بدمشق وزوجه الشيخ قطب الدين مسعود النيسابورى ابنه فأولدها إبنة شمس الدين الذى توفى صغيراً ثم تزوج ابنة ابن أبى عصرون وأولدها أولاده

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٩٣- المقريزى، المقفى الكبير، ج٦، ص٤٢٠.

(٢) ابن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد بن أبى جراده ت ٦٦٠هـ-١٢٦٢م) بغية الطلب فى تاريخ حلب، تحقيق سهيل ذكار، دمشق، ١٤٤٩هـ-١٩٨٩م، ج١٠، ص ٤٣٩٤.

(٣) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٩٦- ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٩٣- ابن أسعد اليافعى، مرآة الجنان، ج٤، ص ٣٩.

(٤) ابن العديم، بغية الطلب، ج١٠، ص ٤٣٩٤- أبو شامة، تراجم رجال القرنين، ص ١٢٥.

(٥) إسم كورة جليلة نزهة على طريق القوافل من بسطام إلى نيسابور، تسميها أهل خراسان كويان فعربت فقيل جوين. ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٢، ص ١٩٢.

(٦) أبو شامة، تراجم رجال القرنين، ص ١٢٥.

(٧) أبو شامة، تراجم رجال القرنين، ص ١٢٥- المقريزى، المقفى الكبير، ج٦، ص٤٢٠.

الأربعة المشهورين عماد الدين عمر(١) وكمال الدين أحمد(٢) ومعين الدين حسين(٣) وفخر الدين يوسف(٤) ثم قدم صدر الدين إلى القاهرة بأولاده وتولى فيها المناصب الكبار هو وأولاده من بعده وكانت وفاة صدر الدين هذا فى سنة (٦١٧هـ-١٢١٩م)(٥).

وعلى الجانب الآخر فقد لاحظنا أن من القادمين من كان ينهى حياته العلمية فى أحد المدارس المصرية، فهذا هو العز بن عبد السلام عندما مر بالكرك(٦)فتلقاه صاحبها وسأله الإقامة عنده فقال له: بلدك صغير على علمى ثم توجه إلى القاهرة فتلقاه سلطانها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل وكرمه وولاه التدريس

---

(١) ذكره أبو شامة فى وفيات سنة ٦٣٦هـ، قال (وفيها أي سنة ٦٣٦ قفز عليه ثلاثة نفر داخل قلعة دمشق فقتله أحدهم ودفن فى الغد بجبل قاسيون، حضرت الصلاة عليه بجامع دمشق وشيعته إلى مسرح سوق الخيل والغنم وكانت له جنازة حفلة وكان من بيت علم وتصوف وإمرة رحمة الله وكان من أعيان المتعصبين لمذهب الأشعرى وكان ومولده سنة ٥٨١هـ).

- أبو شامة، تراجم رجال القرنين، ص ١٦٨.

(٢) ذكره أبو شامة فى وفيات سنة ٦٤٠هـ وقال عنه (توفى بهذه السنة بغزة وكان يومئذ مقدم العساكر الصالحية).

- أبو شامة، تراجم رجال القرنين، ص١٧٢.

(٣) قال عنه أبو شامة فى وفيات سنة ٦٤٣هـ (وفيها توفى معين الدين ابن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حموية وكان نائب السلطنة بها وهو الذى فتحها الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل وأخذها من عمه اسماعيل ابن أبى بكر بن أيوب صاحب بعلبك وصلى عليه بجامع دمشق ومولده فى سنة ٥٨٨هـ).

- أبو شامة، تراجم رجال القرنين، ص ١٧٧.

(٤) ذكره أبو شامة فى وفيات سنة ٦٤٨هـ وقال عنه (قتل فى هذه السنة وهو آخر إخوته موتاً).

- أبو شامة، تراجم رجال القرنين، ص ١٨٤.

(٥) أبو شامة، تراجم رجال القرنين، ص ١٢٥- المقريزى، المقفى الكبير، ج٦، ص ٤٥.

(٦) وهى قريه كبيره قرب بعلبك كان بها قبر طويل يزعم أهل تلك النواحى أنه قبر نوح، عليه السلام.

- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٤، ص ٤٥٣.

فى المدرسة الصالحية وكثيراً من المناصب السياسية والعلمية الأخرى كخطابة جامع عمرو بن العاص بمصر والقضاء بها وبالوجه القبلي.

وكان خروج الشيخ عز الدين بن عبد السلام من دمشق بسبب غضبه غضبها عليه الصالح إسماعيل عندما أنكر عليه الشيخ استعانته بالفرنجة وإعطائهم مدينة صيدا وقلعة الشقيف[١] فترك الدعاء له في الخطبة وساعده فى ذلك الشيخ أبو عمرو بن الحاجب المالكى[٢] فغضب السلطان منهما فخرجا إلى الديار المصرية فى حدود السنة (٦٣٩هـ-١٢٤١م)[٣].

وفى مصر حدث للشيخ ابن عبد السلام كثيراً من العوارض التى دعت الصالح نجم الدين أيوب يحذره بعدما كان مقبلاً عليه إلى الحد الذى دعى الأخير لعزل الشيخ عن كافة مناصبه باستثناء وظيفته كمدرس بالمدرسة الصالحية التى وجدها كافية لكى يبقى بمصر إلى حين وفاته سنة (٦٦٠هـ-١٢٦١م)[٤].

والحق أن السياسة التى اتبعها الأيوبيون فى الإهتمام بحركة إنشاء المدارس قد تعدت نتائجها إلى أبعد من ذلك فقد ساهمت وبصورة ملحوظة فى إحياء علوم أهل السنة كما سيأتى فيما بعد.

---

(١) وهى قلعة حصينة جداً فى كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل.
- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٣، ص ٣٥٦.

(٢) وهو: عثمان بن عمرو الكردى الاسناوى الفقيه المالكى الاصولى النحوى صاحب التصانيف الجاده المشتملة على التحقيق والافادة ومولده بإسنا فى سنة ٥٩٠هـ-١٢٩١م ثم انتقل إلى دمشق ودرس بجامعها فى زاوية المالكية ثم عاد إلى القاهرة فى صحبة العز بن عبد السلام وذلك سنة ٦٣٨هـ وتولى بها مشيخة الإقتراء بالمدرسة الفاضليه ثم انتقل بعد ذلك إلى الاسكندرية ثم كانت وفاته بها سنة ٦٤٦هـ-١٢٥٨م.
- إبن أسعد اليافعى- مرآه الجنان، ج٤، ص ١١٤.

(٣) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص ٢١٠- السلامى، تاريخ علماء بغداد، ص ١٠٥- إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٢٣٦.

(٤) السيوطى، حسن المحاضرة، ج١، ص ٣١٤- إبن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٢٣٥- الداروِدنى، طبقات المفسرين، ج١، ص ٣٢٠.

إحياء علوم أهل السنة:-

كان لانتشار حركة إنشاء المدارس فى مصر فى العصر الأيوبى أثراً كبيراً فى إحياء علوم أهل السنة بها وينبغى علينا قبل الحديث عن تلك العلوم التنبيه على حقيقة هامة مؤداها أننا لم نهتدى إلى سياسة محددة ومنهجية واضحة قد اتبعتها تلك المدارس مجتمعة للوصول لذلك الغرض، فقد اقتصرت حجة وقف كل مدرسة على حدة، بالإشارة إلى المذهب الذى أنشئت من أجله دون الدخول فى أية تفاصيل ولم يكن أمامنا بعد ذلك سوى التسليم بحقيقة مؤداها- أن المناهج الدراسية فى تلك المدارس آنذاك كانت غير ثابتة فقد كان المدرس هو الذى يحدد المنهج الذى يتبعه فى إلقاء دروسه.

وأول ما يمكن الإشارة إليه فى ذلك الصدد أن الأوقاف التى كانت تحدد للطلبة بغرض الاستماع إلى الدرس قد جاءت على رغبة المدرس فمن ذلك ما ذكره المنذرى عن أبى المنصور ظافر بن الحسين الأزدى مدرس المدرسة القمحية من أنه كان يدرس فى أول النهار ثم يجئ بعد الظهر للمناظرة إلى العصر، ويأخذ درساً بعد العصر والمناظرة بعد المغرب[(١)]، وأما الشاطبى فقد حكى لنا ابن الجزرى عنه في طبقاته "انه كان يصلى الصبح بالفاضلية ثم يجلس للإقراء فكان الناس يتسابقون السرى اليه ليلا وكان إذا أقعد لايزيد على قوله من جاء أو لا فليقرأ ثم يأخذ على الاسبق فالاسبق فاتفق فى بعض الايام أن بعض اصحابه سبق أولا فلما استوى الشيخ قاعداً قال من جاء ثانيا فليقرأ فشرع الثانى فى القراءة وبقى الأول لايدرى حاله وأخذ يتفكر ماوقع منه بعد مفارقة الشيخ من ذنب أوجب حرمان الشيخ له ففطن

(١) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج١، ص ٣٨٨.

أنه أجنب تلك الليلة ولشدة حرصه على النوبة نسى ذلك فلما انتبه ذلك الرجل بادر إلى حمام بجوار المدرسة فاغتسل به، ثم رجع قبل فراغ الثانى والشيخ لايزال قاعداً على حاله فلما فرغ الثانى قال الشيخ من جاء أولا فليقرأ"(١).

وأما غير ذلك من الروايات فإنها لم تكن لتفيدنا عن ذلك الموضوع إلا بإشارات ضعيفة عن السمات العامة لحياة المدرسين داخل تلك المدارس كالعلاقة الطيبة التى كانت تربط بين أحد المدرسين وطلبته فى إحدى المدارس كأبى القاسم القضاعى مدرس الفاضلية الذى قال عنه المنذرى "انه كان محبا للطلبة ومتفقداً لاحوالهم ساعيا لهم فيما يعود بنفعهم"(٢)، وشرف الدين ابن السكرى مدرس منازل العز الذى قال عنه المقريزى "إنه كان على طريقة والده فى السكون والوقار والمعاملة الجميلة"(٣)، ومن ذلك ما ذكره المؤرخون عن المعاملة اللطيفة التى كان بين المدرسين وطلبتهم فى أثناء الدرس فقد حكى لنا السبكى عن محمد بن الحسين بن عبد الرحمن الانصارى مدرس المدرسة الناصرية الثانية "إن أحد طلبته نعس وهو يدرس فضرب الشيخ إحدى يديه على الأخرى فانتبه الشخص"(٤)، وحكى السبكى عنه أيضا "أنه كان مرة فى الدرس فى باب الهبة فانتهى إلى أنه يستحب لمن وهب لأولاده أن يسوى بينهم ثم أخذ يمثل بابنى السطحى وهما أخوان طالبان فى الدرس فقال كما لو وهب والد هذين لأحدهما دواة وترك الآخر فقال احدهما : والله

---

(١) إبن الجزرى، غاية النهاية فى طبقات القراء، ج٢، ص ٢١.

(٢) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٢، ص ٩٨- الذهبى، تاريخ الإسلام، الطبقة ٦٢، ص ١٣٣.

(٣) المقريزى، المقفى الكبير، ج٦، ص ٣٥.

(٤) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص ٥٤.

يا سيدنا هكذا اتفق[١] وأما عن طريق إلقاء هؤلاء المدرسين للدروس على طلبتهم فى مدارس تلك الفترة بمصر فإن المصادر التاريخية تكاد تخلو من أية إشارات تذكر عن ذلك الموضوع باستثناء ما كتبه المؤرخون عن العز بن عبد السلام مدرس المدرسة الصالحية من أنه "كان لطيفا ظريفا يستشهد بالاشعار فى محاضراته"[٢] وما دونه الذهبى فى سيره الشهاب الطوسى مدرس منازل العز من أنه "كان يلقى الدرس من كتاب"[٣].

والحق أن مدارس مصر فى العصر الايوبى كانت قد أسهمت وبشكل واضح وملموس فى إحياء علوم أهل السنة من خلال ما وفرته من تهيئة الجو المناسب للمدرسين والطلبة على حد سواء بقصد الوصول إلى ذلك الغرض، فقد حكى لنا السبكى عن عبد العظيم المنذرى مدرس المدرسة الكاملية خبرا مؤداه أن المنذرى "درس بالآخرة فى دار الحديث الكاملية وكان لايخرج منها إلا لصلاة الجمعة حتى إنه كان له ولد نجيب محدث فاضل توفاه الله تعالي فى حياته فصلى عليه الشيخ داخل المدرسة وشيعه إلى بابها ثم دمعت عيناه وقال أودعتك لله ياولدى ورفاقه[٤].

ومعنى ذلك أن المدارس الإسلامية بمصر فى ذلك العصر كادت أن تبلغ حد الخوانق من ناحية انعزال بعض المدرسين بها بقصد التدريس والتأليف والتصنيف. ومعنى ذلك أنها قد أصبحت المركز الأول للإشعاع الفكرى لأهل السنة، وخصوصاً ذلك النوع من العلوم الذى كان بحاجة إلى ذلك النوع من المؤسسات المتخصصة وفيما يلى عرض لأهم تلك العلوم :-

(١) السبكى، طبقات الشافعية الكبري، ج٨، ص ٥٤.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٢٣٥- الاسنوى، طبقات الشافعية،ج٢، ص٨٥.

(٣) الذهبى، سير اعلام النبلاء، ج٢١، ص ٣٨٨.

(٤) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص ٢٦٠.

أولاً: الفقه :

علم الفقه هو علم أحكام التكاليف الشرعية العملية كالعبادات والمعاملات والعادات وفائدته امتثال أوامر الله تعالى ومانهى عنه[١]، وقد تتبع الباحثون تاريخ الحركة الفقهية بمصر منذ نشأتها وإلى نهاية العصر المملوكى. وقد خلصوا إلى تقسيمها إلى ثلاثة مراحل وهى :

المرحلة الأولى:-

وهى المرحلة التى اقترنت بظهور الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المعروفة. وهم مالك، وأبو حنيفة النعمان، والشافعى وابن حنبل- ومع هؤلاء الأئمة المعروفين - ظهر أئمة آخرون- لم تحفظ مذاهبهم كالليث بن سعد الذى ظهر بالديار المصرية[٢] وفى هذه المرحلة كان الفقه قائماً على (الإجتهاد المطلق) نهض به علماء المسلمين بالأمصار ومن تتبع الحركة الفقهية فى مصر علم أن المذاهب الأربعة ظهرت بها على النحو الآتى :-

فقد عرفت مصر مذهب مالك أولا حتى جاءها الشافعى وذلك حوالى عام (١٩٩هـ-٨١٤م) ونشر بها مذهبه، ثم جاءت الدولة الإخشيدية فمالت إلى مذهب أبى حنيفة وكانت تبغض المذهب الشافعى وكان النزاع مستمرا بين هذه المذاهب الثلاثة بمصر وبخاصة بين أصحاب مالك والشافعى وأما مذهب الإمام أحمد بن حنبل فلم يظهر بمصر إلا فى القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى ومابعدها لأن الإمام أحمد رضى الله عنه كان فى القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى ولـــم

---

(١) البيضاوى (ناصر الدين أبى سعيد عبد الله بن عمر، ت ٦٨٥هـ-١٢٨٦م)، تعريفات العلوم وموضوعاتهـــا- ميكروفيلم رقم ٤ معارف عامة معهد المخطوطات العربية، ورقة رقم (٢).

(٢) المقريزى، الخطط، ج٢، ص ٣٣١، ومابعدها.

يبرز مذهبه خارج العراق إلا فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى، وفى هذا القرن ملك العبيديون مصر وافنوا من كان بها من اتباع المذاهب الثلاثة قتلا ونفياً وتشريداً وأقاموا مذهب الرفض والشيعة وبقوا بها إلى أواخر القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى فتراجعت إليها الأئمة من سائر المذاهب(١).

المرحلة الثانية :-

وهى التى خضعت فيها مصر لحكم الفاطميين (٣٥٨هـ: ٥٦٧هـ-٩٦٩م:١١٧٢م) الذين حاولوا محو آثار المذهب السنى وفرض مذهبهم الإمامى الذى لم يكن مختلفا عن المذهب السنى إلا فى بعض الجانب التى تتعلق بالسياسة إلا أنهم قد فتحوا باب الاجتهاد على مصرعيه فالعقل عندهم هو أساس الفتوى وإن عارضه فى ذلك النقل ومعنى ذلك أن فقه الامامية قد حرر العقلية المصرية فى الوقت الذى قيدت فيه العقلية الإسلامية خارج مصر نفسها بقيود المذاهب الفقهية الأربعة(٢)، وبعد أن كنا نظفر فى القرنين الثانى والثالث الهجريين الثامن والتاسع الميلاديين بمثل مالك، وابى حنيفة، والشافعى يفتى كل منهم برأيه ويبيح لنفسه حرية واسعة فى إبداء هذا الرأى أصبحنا فى القرنين الثالث والرابع الهجريين التاسع والعاشر الميلاديين أمام فقهاء يفيدون أنفسهم برأى مالك، والشافعى أو غيرهما وهؤلاء حسبهم أن يبحثوا فى مسائل الفقه داخل حدود معينة، هى حدود المذهب الذى اختاروه لأنفسهم وبعد هؤلاء جاءت طبقة ثالثة فى القرنين الخامس والسادس الهجريين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين من طبقات الفقهاء وهؤلاء يكتفون

(١) المقريزى، الخطط، ج٢، ص ٣٣٣ ومابعدها.

(٢) المقريزى، الخطط، ج٢، ص ٣٣٥.

فى العادة بأن ينقلوا كل ما استنبطه الذين سبقوهم في المذهب ويرجحوا ما اختاروه من الخلاف بالحجج التى يصلون اليها(١).

المرحلة الثالثة :-

وهى التى تلت حكم الفاطميين على مصر إذ جاء الايوبيون اليها وأكثر همهم في ذلك إحياء المذهب السنى من جديد والحق أن فقهاء مصر صاروا يومئذ مجتهدى مذهب بمعنى أنه لم يظهر فيهم صاحب مذهب جديد مخالف للمذاهب الاربعة المعروفة بحيث إذا عرضت لأحدهم حكاية لم يعرفوا فيها للأئمة نصا، اجتهدوا على مذهبهم، ونسخوا على منوالهم، وقلبوا أقوالهم ووقفوا عند هذا الحد ومع هذا و ذاك فمن الإنصاف لفقهاء العصر الايوبى بمصر أن يقال أنهم كانوا ينطلقون إلى نوع من الاستقلال فى الفقه أولى به أن يسمى (سعة في التصرف)(٢) .

وحقيقة الأمر أن المذاهب الفقهية الأربعة المعروفة لم تكن فقط لتمثل أربعة آراء شخصية لأصحابها بأكثر ما كانت تعبيراً عن أربعة تيارات فكرية قد تناول كل واحد منها الشريعة من أحد وجوهها معتمدين فى ذلك كلهم على الأصلين الأساسيين وهما القرآن والسنة بحيث إننا إذا إنتقلنا من رأى فى أحد المذاهب،

---

(١) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٣، ص ٢٠٣. ومابعدها- السيوطى، حسن المحاضرة، ج١، ص ٢٥٤ ومابعدها.

(٢) راجع ما كتب مؤلفوا الطبقات عن فقهاء مصر فى ذلك العصر فمن هؤلاء السبكى فى كتابه طبقات الشافعية الكبرى فى الجزئين السادس والسابع وكذلك السيوطى فى الجزء الأول من كتاب حسن المحاضرة وابن فرحون فى الديباج المذهب وابن أبى الوفاء القرشى فى الجواهر المضية.

وجدنا أنفسنا أمام مذهب آخر من المذاهب الثلاثة المتبقية ومعنى ذلك أن تلك المذاهب لم تكن لتقيد العقلية الإسلامية كما ذكر أحد الباحثين[١]، بل أنها لها قواعدها في التفكير والقياس ولعل أكثر ما يؤيدنا فى ذلك الموضوع أن صلاح الدين رغم كونه شافعياً إلا أنه قد أمر ببناء المدارس التى خصصت لدراسة فقه مالك وأبى حنيفة وتبعه فى ذلك أمراء دولته كما سبق أن قدمنا[٢]، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد بل إننا قد وجدنا القاضي الفاضل الشافعى المذهب قد خصص مدرسته التى أنشأها فى حدود السنة (٥٨٠هـ-١١٨٤م) لدراسة فقهى مالك والشافعى معاً فى درس واحد وشرط أن يكون المدرس بها ملماً بالفقهين[٣] معاً ويعطينا ذلك فكره عن مدى الحرية التى تمتعت بها العقلية الإسلامية بمصر فى ذلك العصر وعلى الرغم من أننا قد وجدنا نفوراً من الجانب الايوبى من الفقه الحنبلى، وهو الوجه الرابع من وجوه التشريع الإسلامى الأمر الذى كان يشير هؤلاء الحنابله ضد غيرهم من أصحاب المذاهب الفقهيه الأخرى[٤] إلا أننا قد وجدناهم- أى الايوبيين-

---

(١) أحمد عزت، التربية والمجتمع المصرى، ص ٤٢٧ ومابعدها.

(٢) انظر الرسالة، الفصل الثانى.

(٣) انظر الرسالة، الفصل الثانى.

(٤) حكى المؤرخون فى ذلك اخباراً منها على سبيل المثال ما كان من أمر الخبوشانى لما قصد قبر إبن الكيزانى بجوار تربة الشافعى ونبشة وقال لايرقد صديق وزنديق فى مكان واحد وكذلك ما حكى عن الشهاب الطوسى لما سأله الحنابله بمصر عن دم الحلاج فأستعظم ذلك وقال: المتهم يحتاج إلي تزكيه واظهر مقاله الاشعرى، فثارت الحنابلة، وبالمدرسة الكاملية فى السنة ٦٣٩هـ دارت مناقشات حول دم الحلاج تجعلنا نستنتج مدى المعاناه التى قابلت الحنابله بمصر فى العصر الايوبى إلى نهايته.

السبكى، طبقات الشافعيه الكبرى، ج٦، ص ١٤- الذهبى، سير اعلام النبلاء، ج٢١، ص ٣٨٣- السلامى، تاريخ علماء بغداد، ص ١٠.

"قدم مصر مع شيخنا الحافظ أبى الحسن المقدسى واقام معه بالمدرسة الصاحبية بالقاهرة مدة وسمع معنا عليه"(١) كما قال إبن أبى الوفاء القرشى رواية عن المنذرى من "أنه قد أستمع لدروس الفقه الحنفى على يد عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز اللخمى مدرس المدرسه العاشورية"(٢) .

وإذا كان العصر الايوبى قد سمح فيه للعقلية الإسلامية بكل هذه الحرية إلا إنه قد قيدها فى جانب واحد من جوانب الفكر الإنسانى وهى المتعلقة بالفلسفة(٣) ولعل أكبر شاهد على تلك الحقيقة فيما كتبه المؤرخون عن السيف الأمدى الذى كان فى مبتدأ أمره حنبلياً ثم انتقل وصار فقيها شافعيا واشتغل بالأصول وصنف فى أصول الفقه وأصول الدين والمعقولات عده مصنفات وأقام بمصر مدة وتحامل عليه الفقهاء الفضلاء وعملوا محضراً ونسبوه فيه إلي انحلال العقيدة ومذهب الفلاسفة وحملوا المحضرإلى بعض الفقهاء الفضلاء ليكتب خطه حسبما وضعوا خطوطهم به فكتب.

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه   فالقوم اعداء له وخصوم

ولما جرى ذلك استنزل الأمدى المذكور وسار إلى حماه واقام فيها مده ثم عاد إلى دمشق حتى توفى بها(٤).

ثانياً : الحديث :-

وعلم الحديث هو المكمل للشريعة الإسلامية ويشمل على مانقل عن النبى (صلى الله عليه وسلم) قولا وفعلا أو تقريرا أو صفه ويجب معرفة الناسخ من

---

(١) المنذرى، التكمله لوفيات النقله، ج٣، ص ٣٦٧.

(٢) أبن أبى الوفاء القرشى، الجواهر المضيه، ج٢، ص ٣٦٥.

(٣) أحمد فكرى، أبحاث الندوة الدولية، ج١، ص ١٦٣.

(٤) ابو الفداء، تاريخ ابو الفداء، ج٣، ص ١٦٣.

المنسوخ ومعرفة أنواع الرواية وأحكامها وشروط الرواة والتأكيد من براءتهم من الجرح والغفله[١] .

ولايخفى على الباحثين أن الحديث كان مرتبطاً أشد الارتباط بالعلوم العربية الأخرى كالتفسير، والفقه، والنحو واللغة، والقراءات. ومع ذلك فقد كان هناك علماء اختصوا بعلم الحديث وقضوا على دراسته جزءاً كبيراً من حياتهم حتى أوشك علم الحديث عندهم أن يستقل بنفسه إستقلالاً ظاهراً عن الفقه وغيره من العلوم الأخرى[٢] .

وقد حظيت مصر منذ الفتح الإسلامى بجماعة من الذين اهتموا بنقل الحديث الشريف وتنقيحه والتصنيف فيه ولم يكن مجىء الفاطميين إلى مصر عائقا أمام المحدثين فى إلقاء دروسهم فى ذلك العلم ولعلى أبرز ما يمكن الاشارة إليه من هؤلاء الحافظ السلفى المتوفى سنة (٥٧٦هـ-١١٨٠م) وفى العصر الأيوبى إزداد الإهتمام بدراسات الحديث النبوى إلى الحد الذى وجدنا فيه ولأول مره مؤسسة قد استقلت بدراسة ذلك العلم وهى المدرسة الكاملية التى أتاحت الفرصة كاملة أمام المتخصصين فى ذلك العلم لازدهار دراساتهم وقد قدمت لنا تلك المدرسة فى ذلك العصر ابرز وأهم محدثا فى وقته وهو الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله بن سلامه المنذرى الشافعى المصرى (٥٨١هـ: ٦٥٦هـ-١١٨٥م: ١٢٥٨م) وأصله من الشام ولكنه ولد بمصر قال العينى "وإليه الوفادة والرحلة من سنين متطاولة. وسمع الكثير، ورحل، وطلب، وصنف ، وخرج، واختصر، صحيح مسلم، وسنن أبى داود"[٣]، وفى تذكرة الحفاظ للذهبى إن المنذرى "كان شيخاً عديم النظير فى علم الحديث على اختلاف فنونه عالماً بصحيحه وسقيمه

---

(١) ابو يحيى (زكريا الانصارى : ت ٩٢٦هـ-١٥١٨م) اللؤلؤ النظيم فى روم التعلم والتعليم- القاهرة، ١٣١٩هـ- ص ٨.

(٢) القلقشندى، صبح الأعشى، ج٥، ص ٤٦٤.

(٣) العينى، عقد الجمان، ص ١٨٨، ١٨٩- اليونينى، ذيل مرآة الزمان، ج١، ص ٢٤٨.

ومعلوله وطرقه متبحراً فى معرفة أحكامه ومعانيه ومشكله قيماً بمعرفة غريبه وإعرابه"[١] قال السيوطى "ألف الترغيب والترهيب وشرح التنبيه وغير ذلك"[٢] وقال السبكى أن شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام كان يسمع الحديث قليلاً بدمشق فلما دخل القاهرة بطل ذلك وصار يحضر مجلس الشيخ زكى الدين ويسمع عليه فى جملة من يسمع له[٣]، وفى ذلك إشارة واضحة لمكانته المرموقة بين المحدثين فى عصره.

علم القراءات:-

وهو علم يبحث فى صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة، وهو يعتمد على العلوم العربية التى تعين على تحصيل هذه الملكة، وفائدة ذلك صون كلام الله تعالى من التغيير والتحريف. وقد يبحث أيضاً فى الاختلافات غير المتواترة مما وصل إلى حد الشهرة[٤] .

وقد بلغ علم القراءات بمصر حد الذروة مع إنتشار حركة إنشاء المدارس الأيوبية، التى وجدنا فى بعض مدارسها دروساً مستقلة فى ذلك العلم حكى المنذرى عن أبى الثناء حامد بن مفرج بن غياث الانصارى الأرتاحى الأصل المصرى المولد والدار المقرىء بمصر من أنه قرأ القرآن الكريم بالقراءات على الشيخ أبى الجود غياث بن فارس المقرئ وعلي الشريف الخطيب أبى الفتوح ناصر بن الحسن الزيدى، ومات قبل أن يكمل عليه القراءات وسمع بمكة شرفها الله تعالى من الحافظ أبــــى

---

(١) الذهبى، تذكرة الحفاظ، ج٤، ص ١٤٣٧.

(٢) السيوطى، حسن المحاضرة، ج١، ص ٣٥٥.

(٣) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص ٢٥٩.

(٤) البيضاوى، المصدر السابق، ورقة رقم (٩٦.

محمد المبارك بن الحسين البغدادى المعروف بابـن الطباخ وتصدر للإقراء بالجامع العتيق بمصر، وبمدرسة السديد الطبيب المطلة على النيل المبارك مدة طويلة. وأم بالمسجد المعروف به بكوم الجارح إلى حين وفاته فى سنة (٦١١هـ-١٢١٤م)، وكانت ولادته فى عشر شوال سنة (٥٣٣هـ-١١٣٨م)[١].

وفى المدرسة التى بمنية بنى الخصيب خصص درس بها لإقراء القرآن، وهو مايفهم من كلام المنذرى عن أبى الجود غياث بن فارس إذ يذكر أنه- أى أبا الجود- قد تصدر لإقراء القرآن الكريم بمدرسة منية بنى خصيب[٢] .

وتعتبر المدرسة الفاضلية أهم المدارس الأيوبية فى ذلك الشأن فقد كون مدرسوا علم القراءات بها تياراً فكرياً كبيراً اجتذب كثير من الذين اهتموا بذلك العلم من داخل مصر وخارجها، وفيما يلى عرض لأهم هؤلاء الذين تولوا تلك المهمة :-

ا) أبو القاسم الشاطبى :-

وهو القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعينى الشاطبى الأندلسى ولد سنة (٥٣٨هـ-١١٤٣م) بشاطبة[٣] من بلاد الأندلس وقرأ القرآن بها علي أبى عبد الله بن أبى العاصى النفرى[٤] ورحل إلى بلنسية[٥] بالقرب من بلده فعرض بها التيسير لأبى عمرو الدانى من حفظه والقراءات على ابن هزيل وسمع منه ومن أبى عبد اللـه

---

(١) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٢، ص ٣٢١.

(٢) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٢، ص ١٦٢.

(٣) وهى مدينة فى شرقى الاندلس وشرقى قرطبه، وهى مدينة كبيرة قديمة قد خرج منها خلق من الفضلاء.

- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٣، ص ٣٠٩.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ١٠- الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ٢٦٢- السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٦، ص ٢٧١.

(٥) وهى: مدينة مشهورة بالأندلس متصله بحوزة كورة تدمير وهى شرقى تدمير وشرقى قرطبة

- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج١، ص ٤٩٠.

محمد ابن حميد أخذ عنه كتاب سيبويه والكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وغيرها وعن أبى الحسن بن النعمة صاحب كتاب رى الظمآن فى تفسير القرآن وعن أبى القاسم حبيش صاحب عبد الحق بن عطيه صاحب التفسير ورواه عنه[١]، ثم أنه بعد ذلك قرر الانتقال إلى مصر وكان سبب انتقاله إليها من بلاده أنه أريد أن يلى خطابة بلده فامتنع من ذلك لأجل مبالغة الخطباء على المنابر فى وصف الملوك فاحتج بأنه قد وجب عليه الحج، وأنه عازم عليه فتركها ولم يرجع إليها تورعاً مما كان يلزمون به الخطباء من ذكرهم على المنابر بأوصاف لم يرها سائغة شرعاً[٢]، ولما بلغت الرحلة بالشاطبى إلى الإسكندرية فى حدود السنة (٥٧٢هـ-١١٧١م) سمع من أبى طاهر السلفى[٣]، ولما دخل مصر أكرمه القاضى الفاضل وعرف مقداره وأنزله بمدرسته الفاضلية وجعله شيخها وعظمه تعظيماً كثيراً وجلس للإقراء فقصده الخلائق من الأقطار ثم أنه لم فتح الملك الناصر صلاح الدين يوسف بيت المقدس توجه فزاره سنة (٥٨٩هـ-١١٩٣م) ثم رجع فأقام بالمدرسة الفاضلية يقرأ حتى توفى سنة ٠ (٥٩هـ-١١٩٤م). قال عنه ابن الجزرى فى طبقاته "كان الشاطبى إماماً كبيراً أعجوبة فى الذكاء كثير الفنون آية من آيات الله تعالى غاية في القراءات حافظاً للحديث بصيراً بالعربية إماماً رأساً فى الأدب مع الزهد والولاية والعبادة والإنقطاع[٤]" وقال عنه ابن فرحون "كان الشاطبى عالماً بكتاب الله تعالى قراءةً وتفسيراً وبحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مبرزاً فيه وكان إذا قرأ عليه

(١) ابن الجزرى، غاية النهاية، ج٢، ص ٢٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ١٠- أبو شامة، تراجم رجال القرنيين، ص ٧.

(٣) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٦، ص ٢٧١- الذهبى، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ٢٦٢.

(٤) إبن الجزرى، غاية النهاية فى طبقات القراء، ج٢، ص ٢١.

صحيح البخارى ومسلم والموطأ يصحح النسخ من حفظه ويملى النكت على المواضع المحتاج إليها وكان أوحد أهل زمانه فى علم النحو واللغة عارفاً بعلم الرؤيا حسن المقاصد مخلصاً فيما يقول ويفعل"(١) وبالمدرسة الفاضلية بمصر ألف الشاطبى قصيدته الموسومة بالشاطبية وذكر أنه ابتدأ أولها بالأندلس إلى قوله (جعلت أبا جاد) ثم أكملها بالقاهرة(٢). قال ابن الجزرى ومن وقف على قصيدتيه علم مقدار ما آتاه الله فى ذلك خصوصاً اللامية التى عجز البلغاء من بعده عن معارضتها فإنه لايعرف مقدارها إلا من نظم على منوالها أو قابل ما لا أعلمه لكتاب غيره فى هذا الفن بل أكاد أن أقول ولا فى غير هذا الفن فإننى لا أحسب أن بلداً من بلاد الإسلام يخلو منه بل لا أظن أن بيت طالب علم يخلو من نسخة به، ولقد تنافس الناس فيها ورغبوا من اقتناء النسخ الصحاح بها إلى غاية حتى أنه كانت عندى نسخة باللامية والرائية مجلدة فأعطيت بوزنها فضة فلم أقبل، ولقد بالغ الناس فى التغالى فيها وأخذ أقوالها مسلمة واعتبار ألفاظها منطوقاً ومفهوماً حتى خرجوا بذلك عن حد أن تكون لغير معصوم وتجاوز البعض الحد فزعم أن مافيها هو القراءات السبع وأن ما عدا ذلك شاذ لاتجوز القراءة به(٣).

٣) أبو الجود غياث بن فارس:-

وهو غياث بن فارس بن مكى بن عبد الله المنذرى اللخمى المقرىء النحوى العروض الضرير ولد سنة (٥١٨هـ-١١٢٤م) انتهت إليه مشيخة الإقراء بالديار المصرية وتصدر للإقراء من شبيبته، تصدر للإقراء بالمدرسة الفاضلية

(١) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص ٢١٧.
(٢) ابن الجزرى، غاية النهاية فى طبقات القراء، ج٢، ص ٢١.
(٣) ابن الجزرى، غاية النهاية فى طبقات القراء، ج٢، ص ٢٢.

بعد الشاطبى حتى توفى في تاسع رمضان سنة (٦٠٥هـ-١٢٠٨م)[١] قال المنذرى "وإقراء الناس مدة طويلة ورحل إليه للقراءة عليه وانتفع به خلق كثير من أهل البلد والقادمين عليها، وأكثر المتصدرين للإقراء بمصر أصحابه وأصحاب أصحابه"[٢] كابن عمران بن زيادة المقرىء الضرير المالكى الذى تولي مشيخه الإقراء بالمدرسة الفاضلية إلى حين وفاته سنة (٦٢٩هـ-١٢٣١م) قال عنه المنذرى "كان فاضلاً وإنتفع به جماعة"[٣]، ومنهم أيضاً على بن عبد الصمد (٥٥٧هـ:٦٣٣هـ-١١٦٢م:١٢٣٥م)[٤] ومنهم أيضاً عثمان بن عمر بن أبى بكر بن يونس أبو عمرو بن الحاجب الكردى الأصل الدونى الأسنائى المولد المالكى الأصولى النحوى المقرىء (٥٧١هـ:٦٤٦هـ-١١٧٥م:١٢٤٨م)[٥].

٣) القرطبى (٥٥٨هـ:٦٣١هـ-١١٦٣م:١٢٣٣م)

وهو محمد بن عمر بن يوسف أبو عبد الله القرطبى الأنصارى المالكى، نشأ بفاس من بلاد المغرب ثم انتقل إلى مصر فسمع بها الشاطبى ولزمه مدة وأخذ عنه القراءات قال ابن الجزرى "ولم يسمع أحد من الشاطبى الرائية كاملة فيما نعلم سواه

---

(١) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٢، ص ١٦٢- ابن الجزرى، غاية النهاية، ج٢، ص ٤- الذهبى، تاريخ الإسلام، الطبقة ٦٢، ص ١٨٢-١٨٤.

(٢) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، ج٢، ص ١٦٢.

(٣) المنذرى، التكمله لوفيات النقله، ج٣، ص ٣١٥- السيوطى، حسن المحاضرة، ج١، ص ٤٩٩.

(٤) السيوطى، حسن المحاضرة، ج١، ص ٢٨١.

(٥) ابن الجزرى، غاية النهاية، ج١، ص ٥٠٩.

وله فيها أبيات انفرد بروايتها عنه من ذلك بيتان أحدهما فى البقرة والأخرى فى الرعد"[١] وقال السيوطى "كان القرطبى إماماً زاهداً مجوداً للقراءات عارفاً بوجوهها بصيراً بمذهب مالك حاذقاً بفنون العربية وله يد طولى في التفسير"[٢].

النحو:-

كان ميراث النحو فى مصر ميراثاً ضخماً إذ كان يتألف من نحو الكوفة والبصرة وبنحو هاتين المدينتين تأثرت مصر تأثراً عظيماً في أول أمرها ثم استقلت بشخصيتها النحوية بعد ذلك[٣]، وقد لعب جامعى عمرو وابن طولون دوراً كبيراً فى تنظيم حركة علمية لدراسة النحو، وقد ظل ذلك الحال إلى أيام الأيوبيين التى لم تغفل مدارسهم بها عن تخصيص دروس بها لذلك العلم ولا أدل على ذلك من المدرسة الصاحبية التى قال عنها المقريزى (وبها درس نحو)[٤]، وأما غير ذلك مما وصل إلينا بشأن ذلك الموضوع فإنه يؤكد لنا حقيقة هامة مؤداها أن الإلمام باللغة وعلومها من نحو وغيره كان شرطاً لازماً لكل من تولى مهمة التدريس فى أى مدرسة بمصر فى ذلك الوقت وأكثر من ذلك فإننا قد وجدنا بعضاً من اللغويين الذين تولوا التدريس بهذه المدارس مثال ذلك ابن الحاجب عالم النحو الشهير والذى سبق الإشاره إليه بالمدرسة الفاضلية.

---

(١) ابن الجزرى، غاية النهاية، ج٢، ص ٢٢٠.

(٢) السيوطى، (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ت: (٩١١ هـ-١٥٠٥م)، طبقات المفسرين، تحقيق: على محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م، ص ١١٧.

(٣) راجع ما كتبه السيوطى فى كتابيه (حسن المحاضره- وطبقات اللغويين والنحاه).

(٤) المقريزى، الخطط، ج٢، ص ٣٧١.

التفسير :-

ودراسة تفسير القرآن تشتمل على فهمه وإدراك معانيه وأسباب نزول الآيات والتمييز بين الناسخ والمنسوخ واستخراج الأحكام وهو علم ليس قائماً بذاته وإنما يجب فيمن يشتغل به أن يكون قد سبق له دراسة علم اللغة والنحو والتصريف والمعانى والبيان وعلم البديع والقراءات كما يستعان فيه بعلم أصول الفقه وعلم الحديث[١] ، وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام مدرس الصالحية هو أول من ألقى دروساً فى التفسير بمصر على حد قول الإسنوى[٢] ، وفى ذلك دلالة واضحة على الأثر العلمى الذى أحدثته المدارس الأيوبية فى ذلك العصر.

الآثار الاجتماعية والسياسية لمدارس مصر فى العصر الأيوبى:-

وجدير بنا أن ننتبه لحقيقة الدور الاجتماعى والسياسى لمدارس مصر فى العصر الأيوبى باعتباره الوجه الآخر والعملى المكمل للدور العلمى الذي نهضت به تلك المدارس ويتمثل ذلك فى أدوار المدرسين الاجتماعية والسياسية مستفيدين فى ذلك من مكانتهم العالية لدى الملوك والأمراء فى داخل مصر والتى تعدتها أحياناً إلى ملوك وأمراء الدول الأخرى بل إلى شخص الخليفة العباسى نفسه ببغداد وفى ذلك يروى لنا السبكى من بعض أخبارا الخبوشانى خبرين أولهما أن صلاح الدين لما خرج لقتال الفرنج جاء الشيخ الخبوشانى إلى وداعه والتمس منه أموراً من المكوس

---

(١) إبن الأكفانى (شمس الدين محمد بن إبراهيم بن مساعدة الانصارى- ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) ، ارشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، ميكروفيلم رقم ٢ معارف عامة، معهد المخطوطات العربية ورقه رقم ٣٣، ٣٤- البيضاوى، تعريفات العلوم، ورقه رقم (١).

(٢) الإسنوى، طبقات الشافعية، ج٢، ص ٨٥- رضوان على الندوى، العز بن عبد السلام، ص٤٩.

يسقطها عن الناس فلم يفعل، فقال له الشيخ : قم لانصرك الله ووكزه بعصاه فوقعت قلنسوة السلطان عن رأسه فوجم لها ثم توجه إلى الحرب فكسر، وعاد إلى الشيخ، فقبل يده وعرف أن ذلك بسبب دعوته وثانيهما أن تقى الدين عمر بن أخي السلطان له مواضع يباع فيها المزر[١] فكتب الشيخ ورقة إلى صلاح الدين يقول فيها : إن هذا عمر يبيع المزر فسيرها صلاح الدين إلى عمر، وقال: لا طاقة لنا بهذا الشيخ فأرضه فركب إليه، فقال له حاجبه قف بباب المدرسة حتى أسبقك إليه فأوطئ لك، فدخل وقال: إن تقى الدين ليسلم عليك فقال «الشيخ»: بل شقى الدين لاسلم الله عليه، فقال: إنه يعتذر ويقول : ليس لى موضع يباع فيه المزر، فقال: يكذب فقال: إن كان هناك موضع مزر فأرناه- فقال الشيخ: إذن، وأمسك ذؤابته وجعل يلطم على وجهه وخديه ويقول : لست مزاراً فأعرف مواضع المزر فخلصوه من يده وخرج إلى تقى الدين وقال : فديتك بنفسى[٢].

وأما عز الدين بن عبد السلام مدرس المدرسة الصالحية، فتروى لنا المصادر التاريخية من أخباره ما يفيدنا بأهمية ذلك الدور فمن ذلك أنه قد اتفق أن أستاذ دار الملك الصالح وهو فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ، وهو الذى كان إليه أمر المملكه عمد إلى مسجد بمصر فعمل على ظهره بناء لطبل خانات وبقيت هنالك، فلما ثبت هذا عند الشيخ عز الدين حكم بهدم ذلك البناء وأسقط فخر الدين ابن الشيخ، وعزل نفسه من القضاء ولم تسقط بذلك منزلة الشيخ عند السلطان، وأتفق أن جهز السلطان الملك الصالح رسولاً من عنده إلى الخليفة المستعصم ببغداد فلما وصل الرسول إلى الديوان ووقف بين يدى الخليفة وأدى الرسالة، خرج إليه وسأله:

---

(١) المزر، بكسر الميم وهو نبيذ يتخذ من الذرة وقيل من الشعير أو الحنطة.

- إبن منظور، لسان العرب، ج٧، ص ١٩.

(٢) السبكى، طبقات الشافعية الكبري، ج٦، ص ١٦، ١٧- سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج٢، ص ١٧٦.

هل سمعت هذه الرسالة من السلطان؟ فقال: لا ولكن حملنيها عن السلطان فخر الدين بن شيخ الشيوخ أستاذ داره فقال الخليفة إن المذكور أسقطه ابن عبد السلام، فنحن لانقبل روايته فرجع الرسول إلي السلطان حتى شافهه بالرسالة ثم عاد إلى بغداد وأداها[١] .

وحكى أيضاً عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام "أنه طلع مرة إلى السلطان في يوم عيد وهو بالقلعة، فشاهد العساكر مصطفين بين يديه ومجلس المملكة وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة، وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصرية، وأخذت الأمراء تقبل الأرض بين يدى السلطان، فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه: يا أيوب، ما حجتك عند الله إذا قال لك أما أبوئ لك ملك مصر ثم تبيح الخمور؟. فقال: هل جرى هذا؟. فقال نعم، الحانة الفلانية تباع الخمور فيها وانت تتقلب في نعمة هذه المملكة، يناديه كذلك بأعلى صوته والعساكر واقفون، فقال: يا سيدى هذا أنا ما عملت هذا من زمان أبى. فقال: أنت من الذين يقولون (انا وجدنا آباءنا على أمة)، فرسم السلطان بإبطال تلك الحانه"[٢].

كما كان لبعض المدرسين مشاركة في ميدان السياسة، فهذا أبو الحسن محمد بن شيخ الشيوخ (٥٤٣:٦١٧هـ-١١٥٨:١٢٢٠م)، مدرس الناصرية الثانية قد سيره الملك العادل وابنه الملك الكامل في رسائل متعددة إلى حلب وبغداد وغيرها من البلاد ، واجتمع به ابن العديم[٣]، بالياروقية ظاهر مدينة حلب، وقد وردهـــا

---

(١) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨، ص ٢١١- ابن حجر العسقلانى، رفع الأثر عن قضاة مصر، ج١، القسم الأول، ص ٣٥٣.

(٢) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص ٢١٢.

(٣) وهو الصاحب العلامة المعروف بكمال الدين عمر بن أحمد العقيلى الحلبى من بيت القضاء والحشمة، سمع بدمشق وبغداد والقدس والنواحي. وأجاز له المؤيد وخلق، كان قليل المثل عديم النظير فضلاً ونبلاً ورأياً وحزاماً وذكاء وبهاء وكتابة وبلاغة، درس وأفتى وصنف وجمع تاريخاً لحلب نحو ثلاثين مجلد وقد ناب في سلطنة دمشق للناصر وتوفى بمصر في سنة (٦٦٠هـ-١٢٦٢م)

- إبن اسعد اليافعى، مرآة الزمان، ج٤، ص ١٥٨.

رسولاً من الملك الكامل محمد إلى أخيه الملك الأشرف موسى[١]، وقد ظل أبو الحسن كذلك إلى آخر عمره . فقد بعثه الملك الكامل رسولاً يستنجد بالخليفة وجيشه على الفرنج فأدركه الموت بالموصل[٢].

أما نجم الدين عبد الله بن شاس مدرس المدرسة القمحية فتروى لنا المصادر التاريخية عن أنه ترك التدريس وتوجه إلى ثغر دمياط بنية الجهاد عندما استولى الصليبيون عليه فى سنة (٦١٥هـ-١٢١٨م) وهى ما تسمى بالحملة الصليبية الخامسة واستمر الشيخ ابن شاس فى جهاده إلى أن توفى سنة (٦١٦هـ-١٢١٩م)[٣].

وقام المدرسون فى بعض الأحيان بالإشارة على الملوك فى مواقف سياسية شديدة الحساسية وفى ذلك يروى لنا السبكى حكاية عن العز بن عبد السلام وحاصلها أن التتار لما دهمت البلاد عقب واقعة بغداد وجبن أهل مصر عنهم وضاقت بالسلطان وعساكره الأرض، استشاروا الشيخ عز الدين رحمة الله فقال : اخرجوا وأنا أضمن لكم على الله النصر فقال السلطان له إن المال فى خزانة قليل، وأنا أريد أن أقترض من أموال التجار فقال له الشيخ عز الدين: إذا أحضرت ما عندك وعند حريمك وأحضر الأمراء ما عندهم من الحلى وضربته سكاً ونقداً وفرقته فى الجيش ولم يقم بكفايتهم ذلك الوقت أطلب القرض وأما قبل ذلك فلا. فأحضر السلطان والعسكر كلهم ما عندهم من ذلك بين يدى الشيخ، وكان الشيخ له عظمة

---

(١) ابن العديم، بغية الطلب فى تاريخ حلب، ج١٠، ص ٤٣٩٥.

(٢) ابن أسعد اليافعى، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج٤، ص ٣٩- ابن العديم، بغية الطلب فى تاريخ حلب، ج١٠، ص ٤٣٩٦- السيوطى، حسن المحاضرة، ج١، ص ٤٠٩.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص ٦١- عبد الغنى عبد العاطى، التعليم فى مصر، ص ٩٣.

عندهم وهيبة بحيث لايستطيعون مخالفته فامتثلوا لأمره فانتصروا[١]، وعلى الرغم من أن العز بن عبد السلام هذا لم يكن فى اخريات أيامه سوى مدرس للفقه الشافعى بالمدرسة الصالحية فقد ظلت مكانته فى تزايد مستمر إلى الحد الذى كان معه السلطان الظاهر بيبرس يخشاه ويوقره وفى ذلك يروى لنا المؤرخون رواية مؤداها أنه لما مرت جنازة الشيخ عز الدين تحت القلعة وشاهد الملك الظاهر كثرة الخلق الذين معها قال لبعض خواصه اليوم استقر أمرى فى الملك لأن هذا الشيخ لو كان يقول للناس اخرجوا عليه لانتزع الملك منى[٢].

---

(١) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص ٢١٥.

(٢) السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص ٢١٥- الإسنوى، طبقات الشافعية، ج٢، ص ٨٥.

الخاتمــــــة

الخاتمـــة

وبعد فقد قصد الباحث من تلك الدراسة إلقاء الضوء على المدارس الإسلامية بمصر فى العصر الأيوبى ودورها فى نشر المذهب السنى، وقد خلص الباحث إلى مايلى:-

أولاً: إن المدارس الإسلامية تعتبر بمثابة مرحلة متطورة وأخيرة بالنسبة للمراحل التى مرت بها المؤسسات التعليمية التى سبقتها، وأن ذلك التطور قد تم بفضل رغبة أهل السنة فى نشر مذاهبهم، ومحاربة التشيع فى العالم الإسلامى، وذلك خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين العاشر والحادى عشر الميلاديين، فأكثروا من إنشاء تلك المدارس ببلاد فارس والعراق، والحق أن تلك المؤسسات قد نجحت نجاحاً ملحوظاً فى تحقق الغرض الذى أنشئت من أجله، عائد ذلك فى الحقيقة إلى ماتميزت به تلك المؤسسات التعليمية عن غيرها من المؤسسات التى سبقتها كالمساجد ودور الكتب ودور العلم والخانات والخوانق فعلى الرغم من كونها جاءت شبيهة أبلغ الشبه بالخوانق، وهى أكثر تلك المؤسسات تطوراً باعتبار أنها جاءت ممثلة لخلية علمية إلا أنها قد زادت عليها بمميزات أخرى فوق نوع الدراسة التى اختصت كل واحدة منها بدراسته ففى الوقت الذى قصرت فيه الخوانق اهتماماتها على الغرباء من الصوفية جاءت فيه المدارس غير منعزلة عن المجتمعات التى وجدت بها وذلك من خلال سماحها لراغبى العلم فى أى مكان من الأرض فى الالتحاق والاستماع إلى الدروس التى كانت تلقى فيها .

ثانياً: إن المدارس قد تأخر ظهورها بمصر إلى أوائل القرن السادس الهجرى - الثانى عشر الميلادى نظراً لأنها كانت فى ذلك الوقت خاضعة لحكم الفاطميين

الشيعة ومع ذلك فإن ثلاثة مدارس قد ظهرت فى ذلك العصر بالإسكندرية قد جاء ذلك شاهداً على أمرين: أولهما: - مكانة أهل السنة بمدينة الإسكندرية، وثانيهما. بخصوص التغير الذى طرأ على سياسة الفاطميين التى أخذت تتجه فى أخريات أيامها بعيداً عن العصبية المذهبية. وكسب تأييد كل الجماعات والأفراد بغض النظر عن انتماءاتهم المذهبية، وقد أكدت الدراسة على أن أول ظهور لتلك المؤسسات قد ارتبط بنزول الفقيه أبى بكر الطرطوشى المتوفى سنة (٥٢٠هـ-١١٢٦م)... مدينة الإسكندرية الذى أسس أول مدرسة بها بل بمصر كلها على الإطلاق وذلك بقصد إحياء المذهب السنى بها ومواجهة التحديات الشيعية سيراً على السياسة التى شاهدها بالمشرق.. والتى انتهجتها مجموعة المدارس النظامية التى تنسب إلى الوزير السلجوقى نظام الملك والمتوفى سنة (٥٨٥هـ، ١١٨٩م) وعلى الرغم من اختلاف ذلك الرأى مع الذين قالوا بأن أول ظهور لتلك المؤسسات بمصر قد ارتبط بشخص الفقيه أبى الطاهر بن عوف أو الذين قالوا بأن صلاح الدين هو أول من أنشأ تلك المؤسسات بمصر إلا أن ذلك الرأى السابق كان أقربها إلى الصواب، ومن ناحية أخرى قد لاحظنا أن المدارس التى أنشئت فى العصر الفاطمى بمدينة الإسكندرية قد انحصر تأثيرها فى تلك المدينة ولم يتعداه إلى غيرها من المدن والبلاد المصرية الأخرى .

ثالثاً: إن الانتشار الحقيقى للمدارس بمصر باعتباره ظاهرة جديدة قد تم على أيدى الأيوبين، وقد ظهرت تلك السياسة منذ تولى صلاح الدين الأيوبى لوزارة العاضد سنة ٥٦٥هـ، ١١٦٩م، فقد أنشأ ولأول مرة فى حاضرة ملكهم مدرستين إحداهما للشافعية والأخرى للمالكية. وهذا بالطبع يختلف اختلافاً كبيراً عن المدارس الثلاثة التى أسست بالإسكندرية قبل وزارة صلاح الدين الأيوبى للعاضد.. ومعنى ذلك أن صلاح الدين كان من المتوقع أنه بمجرد

إنفراده بالملك بعد زوال الدولة الفاطمية أن يكثر هو وأفراد دولته من إنشاء تلك المؤسسات، وهو الأمر الذى حدث بالفعل فقد أنشأ صلاح الدين وحده غير هاتين المدرستين ثلاثة مدارس أخرى بالقاهرة. وواحدة بالإسكندرية وأخرى بالفيوم كما أسس أمراء دولته وعلماؤها المدارس.. وكذلك فقد إشترك فى تلك النهضة فى عصر صلاح الدين التجار والعامة وبذلك وضحت ورست السياسة التى ينبغى على خلفاء صلاح الدين انتهاجها من تلك الناحية إلا أن الأحداث التى تلت عهد صلاح الدين قد كشفت لنا عن انخفاض ملحوظ من تلك الناحية ولم يكن ليقابلنا بعد ذلك سوى مدرستين سلطانيتين فى أواخر ذلك العصر قد نسبت واحدة منهما للسلطان الكامل محمد والأخرى للسلطان الصالح أيوب، وبالطبع فقد لحق بذلك الانخفاض من جانب السلاطين انخفاض من جانب بقية أفراد الشعب إلى الحد الذى جاءت فيه المدارس التى أسست فى عهد صلاح الدين وحده منذ (٥٦٥هـ: ٥٨٩هـ-١١٦٩م: ١١٩٣م)، قريبة فى العدد مع المدارس التى أسست بعد ذلك منذ (٥٨٩هـ-١١٦٩)م إلى نهاية العصر الأيوبى بمصر (٦٤٨هـ-١٢٥٠م)، وقد يكون ذلك عائداً فى الحقيقة وشاهداً فى الوقت نفسه على نجاح السياسة الداخلية لصلاح الدين الأيوبى من ناحية إضعاف المذهب الشيعى فى نفوس المصريين بالقدر الذى لم يجد معه خلفاؤه من بعده داعياً للإستمرار فى نفس السياسة بنفس الوسائل ومع ذلك فقد بقى تساؤل هام فى حاجة للرد عليه وهو إذا كان ذلك صحيحاً أى انحصار الفكر الشيعى بالمجتمع المصرى فى العصر الأيوبى بالقدر الذى لم يكن فى حاجة إلى مواجهته فما الداعى إذن لانتشار تلك المؤسسات انتشاراً واسعاً فى مصر بالصورة التى وجدناها عليها فى العصر الذى تلا الأيوبيين وهو العصر المملوكى.

رابعاً: إن مدارس مصر فى العصر الأيوبى جاءت شاهداً على مكانة كل مذهب من المذاهب الأربعة بين المصريين فى ذلك العصر حيث أننا وجدنا للشافعية ستة عشر مدرسة فى حين جاءت إحدى عشر للمالكية وستة مدارس للحنفية فى الوقت الذى جاءت فيه مدرسة واحدة خصصت للحنابلة. وهذا التدرج قد عبر بصورة صحيحة عن مكانة تلك المذاهب بمصر فى ذلك العصر، فقد عاد المذهب الشافعى فى ذلك العصر ليحتل مكان الصدارة بمصر بين مذاهب أهل السنة الأربعة ساعد على ذلك عدة عوامل من أهمها : -

١ - النجاح الذى حققه المذهب الشافعى فى التصدى للتحديدات الشيعية فى بلدان المشرق الإسلامى، لذا فإننا قد لاحظنا أن المدارس الأولى فى الإسلام قد أسست لتدريس ذلك المذهب .

٢ - وقد كان لوجود القبر الشافعى بمصر أثر كبير لكى يحتل ذلك المذهب مكان الصدارة بين المصريين، لذا فإننا قد وجدنا أن صلاح الدين قد إهتم بأن يكون بجوار ذلك القبر مدرسة كبرى لتدريس ذلك الفقه .

٣ - إن صلاح الدين وأفراد دولته كانوا على ذلك المذهب فإذا اجتمعت كل تلك النقاط كان من السهل علينا أن نتوقع إصطباغ السياسة الأيوبية بذلك المذهب طوال عهدها وذلك على الرغم من الحرية المذهبية التى تمتع بها أصحاب المذاهب الأخرى فى دولة صلاح الدين وخلفائه من بعده .

خامساً: إن المدارس الإسلامية بمصر فى العصر الأيوبى صحيح أن معظمها قد تركز فى القاهرة إلا أننا قد وجدنا شواهد على انتشار تلك المدارس بمدن الصعيد المختلفة بالإضافة إلى الإسكندرية التى استمرت فيها حركة إنشاء المدارس فى ذلك العصر وقد لاحظنا أيضاً أن تلك المدارس جاءت شاهداً ومعبراً عن مكانة المذاهب السنية المتباينة فى المدن والبلادا لمصرية فجاءت

مدارس الإسكندرية متطابقة مع مكانة المذهب المالكى. كما جاءت مدارس القاهرة معبرة أصدق تعبير عن السياسة الدينية التى اتبعها الأيوبيين، وذلك باعتبارها حاضرة ملكهم، وقد لاحظنا أن المدارس الشافعية بها وهى إحدى عشرة مدرسة قد تساوت فى العدد مع المدارس التى أنشئت للمذهب المالكى والمذهب الحنفى مجتمعة كماجاءت مدارس الصعيد لتكون شاهدة على مكانة مذهبى مالك والشافعى دون سواهما من المذاهب الفقهية الأخرى كما عبرت تلك المدارس من ناحية أخرى عن حقيقة هامة مؤداها أن المذاهب الفقهية الثلاثة المالكية والحنفية والحنبلية قد ظلت فى تزايد مستمر حتى أننا وجدناها مع نهاية ذلك العصر قد حققت توازناً معقولاً مع المذهب الشافعى إلى الحد الذى وجدنا معه اهتمام الملك الصالح أيوب بجعل مدرسته التى أسسها فى حدود السنة (٦٣٩هـ-١٢٤١م) لتدريس المذاهب الفقهية الأربعة، ويعد ذلك العمل من أهم الشواهد على ذلك التوازن، وقد جاءت الأحداث التاريخية التالية لتؤكد على حقيقة ذلك فقد وجدنا فى أوائل العصر المملوكى مايعبر بقوة عن تلك الفكرة فقد حدث أن استقلت كل طائفة من طوائف المذاهب الفقهية الأربعة فى القضاء بعد أن نصب لكل طائفة قاض منهم يحكم بين أصحابه بما تقتضيه فى ذلك أحكام مذهبهم بعد أن كان ذلك قاصراً على الشافعية فقط .

سادساً: وقد عبرت إحدى المدارس التى أسست فى العصر الأيوبى بمصر على الحرية المذهبية التى تمتع بها أفراد الشعب المصرى وهى المدرسة الفاضلية التى أسسها القاضى الفاضل سنة (٥٨٠هـ-١١٨٤م)، فعلى الرغم من أن القاضى كان شافعياً إلا أنه قد خصص مدرسته لتدريس فقهى مالك والشافعى معاً فى درس واحد وقد إشترط فيمن يتولى مهمة التدريس بهذه المدرسة أن يكون ملماً بالفقهين معاً .

سابعاً: إن الأيوبيين قد حاولوا توفير سبل الرعاية لتلك المدارس سواء منها الحكومية أو الأهلية بقصد الوصول بها إلى درجة عالية من الفاعلية، وقد ظل ذلك طوال العصر الأيوبى إلى نهايته، وهو مايؤكد على حقيقة هامة مؤداها أن شبح الفكر الشيعى ظل مصدراً لإزعاج سلاطين الأيوبيين بمصر طوال عهدهم بها .

ثامناً: إن مدارس مصر كانت قد نظمت من الناحية المالية والإدارية على درجة عالية متكافئة مع مدارس العراق وفارس بصورة تدعو إلى الدهشة فقد ساهم فى تلك النهضة الحضارية الملوك والوزراء والأمراء والعلماء والغرباء وعامة الشعب الذين بذلوا كل ماهو غال ورخيص فى سبيل نجاح تلك النهضة التعليمية فقد وجدنا أنهم ضحوا بأموالهم وإقطاعاتهم، وفى بعض الأحيان بمنازلهم الخاصة لبناء مختلف المدارس التى أوقفوا عليها الأوقاف المناسبة بعد إعدادها إعداداً جيداً يكفل لها بقاءها وإستمرار عملها مدة طويلة وقد لاحظنا أن مؤسسى تلك المدارس قد وفروا بها المساكن والمكتبات وقاعات الدرس المناسبة وبيوت الصلاة والحمامات والمارستانات فجاءت مدارسهم على أكمل وجه من الناحية المعمارية كما رتبوا فيها المدرسين والمعيدين والموظفين والطلاب النظاميين بحيث تكون مؤهلة تمام التأهيل لأداء مهمتها التعليمية على أكمل وجه .

تاسعاً: إن تلك المدارس قد ساهمت مساهمة حقيقية فى فك العزلة الثقافية التى فرضها الفاطميون على مصر إبان حكمهم بها فقد شجعت تلك المؤسسات الكثير من كبار علماء البلاد الإسلامية على القدوم إلى مصر للتدريس بمدارسها والإستماع إلى علمائها .

عاشراً: وقد أثرت تلك المدارس فى إنتشار علوم أهل السنة من فقه وتفسير وحديث وقراءات بصورة منقطعة النظير كما لعبت تلك المدارس أدوراً سياسية وإجتماعية فى مصر فى العصر الأيوبى لايمكننا تجاهلها .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية المخطوطة:

١ - (إبراهيم بن وصيف شاه. ت - ٥٩٩ هـ-١٢٠٢م)، تاريخ أخبار الديار المصريه ومافى ذلك من جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور - مخطوط بدار الكتب المصرية - ٩٨ ق- خط ١١١١ هـ- ١٩٦٩م- تاريخ ٥٧.

٢ - الأصبهانى (محمد بن محمد بن حامد)- البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان - مخطوط بدار الكتب المصرية - جزءان فى ملجدين- ١٠٩، ١٠٩ لوحة- عن نسخة مخطوطة٧٤٤ هـ- ١٩٥٣م - تاريخ ٢٢٨٧٨ .

٣ - إبن الأكفانى (شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعدة الأنصارى ت ٧٤٩هـ-١٣٤٨م)- إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد- ميكروفيلم رقم ٢- معارف عامة- معهد المخطوطات العربية .

٤ - البيضاوى (ناصر الدين أبى سعيد عبد الله بن عمر- ت ٦٨٥هـ-١٢٨٦م) تعريفات العلوم ومضووعاتها - ميكروفيم رقم ٤ - معارف عامه.معهد المخطوطات العربية .

٥ - السلفى (أحمد بن محمدبن أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو الطاهر - ٤٧٥هـ:٥٧٦هـ- ١٠٨٢م:١١٨٠م) معجم السفر - مخطوط بدار الكتب المصريه- ٢٤٤، ٢٤٤ لوحه - تاريخ ٣٩٣٢ .

٦ - إبن الطولونى (حسن بن حسين بن أحمد - ٨٣٢هـ:٩٠٩هـ- ١٤٢٨م: ١٥٠٣م) النزهة السنية فى أخبار الخلفاء والملوك المصرية- مخطوط بدار الكتب المصرية - ٢٥ ق. خط ٩٨٤هـ- ١٤٧٠م- مقطع- تاريخ ٢٢٥٣. نسخة أخرى- ٤١ق- خط ٩٩٤هـ ١٥٩٨٥م- تاريخ م ١١٥ .

٧ - العينى (بدر الدين محمود بن موسى بن أحمد. ت ٨٥٢هـ-١٤٤٨م) عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان - مخطوط بدار الكتب المصرية - ٢٣ جزءاً فى ٦٩ مجلداً- تاريخ ١٥٨٤. نسخه أخرى ٢٨٠ مجلد فى: ٢٢٦، ٤٢٤،

٥٠٠ ، ٥١١، ٥١٢، ٥٥١، ٥٥٤، ٥٨١، ٦٠٦، ٦٠٨، ٦١١، ٦١٦، ٦١٧، ٦٢٠، ٦٢٤، ٦٣٤، ٦٣٦، ٦٣٩، ٦٤٣، ٦٤٨، ٦٥٣، ٦٥٦، ٦٥٩- تاريخ ٨٢٠٣- نسخة أخرى ٦ مجلدات فى، ٧٠، ٨٣، ٨٨، ١٢٦، ١٣٠ ، ٢٠١- خط ١١٢٩١ هـ ١٨٧٤م. تاريخ ٧١ .

٨ - الفيومى (أحمد بن محمد بن على الحموى أبو العباس- ت بعد ٧٧٠ هـ - ١٣٦٨م) . نثر الجمان فى تراجم الأعيان - مخطوط بدار الكتب المصرية - ٣ قطع ، ٩٠، ٣٣٢، ٤٢٨. ق خط ١٣٠٧ هـ - ١٨٩م- الأولى تبدأ من أثناء ٥٣٣هـ-١١٣٨م وتنتهى إلى أثناء ٥٦٧هـ - ١٢٦٨م- والثانية من أثناء ٦٢٣هـ- ١٢٢٧م وتنتهى إلى أثناء ٦٨٩هـ-١٢٩٠م والثالثة تبدأ من أثناء ٧٠١هـ- ١٣٠٦م وتنتهى إلى قبل أواخر، ٧٤٥هـ- ١٣٤٤م - تاريخ ١٧٤٦.

٩ - الكرمى (مرعى بن يوسف بن أبى بكر المقدسى ت ١٠٣٣هـ- ١٦٢٣م). نزهة الناظرين فى تاريخ من ولى من الخلفاء والسلاطين - مخطوط بدار الكتب المصرية- ٩٥ ق خط ١١٤٢هـ-١٧١٩م- تاريخ ٢٠٧٦ .

١٠- مؤلف مجهول - إنسان العيون فى مشاهير سادس القرون - ٤٥٠ق - خط ١٢٩٥هـ-١٨٦٨م- تاريخ تيمور ٩١٩ .

١١- مؤلف مجهول - جزء من صله التكمله - مخطوط بدار الكتب المصريه - تاريح ٢٩٨ .

١٢- إبن واصل (محمد بن سالم بن نصر الله إبن سالم التميمى جمال الدين أبو عبد الله (٦٠٤: ٦٩٧هـ-١٢٠٧: ١٢٩٧م). تاريخ الواصلين فى أخبار الخلفاء والملوك والسلاطين- مخطوط بدار الكتب المصرية - مجلدان فى: ٢٢١ ، ٢٢١ لوحة - تاريخ ٥٣١٩- نسخة أخرى جزءان فى مجلدين، ٧٠٠، ٧٢١ ق - خط ١٣٦٦هـ- تاريح ١٠٠٤١ .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية المطبوعة :

١ - ابن أبى الوفاء القرشى (أبو محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن سالم ت ٧٧٥هـ-١٢٧٦م) الجواهر المضية فى طبقات الحنفية. تحقيق د/ عبد الفتاح محمد الحلو . مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه، مكتبة الإيمان القاهرة. د.ت .

٢ - إبن الأثير (على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، ت ٦٣٠هـ-١٢٣٢م) .

أ - التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية. تحقيق عبد القادر أحمد طليمات. دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦٣م .

ب - الكامل فى التاريخ. دار صادر، بيروت للطباعة والنشر، بيروت- ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م .

جـ - أسد الغابة فى معرفة الصحابة، دار التعاون، القاهر - ط٤- ١٩٦٤.

٣ - الإدفوى (أبى الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب ت ٧٤٨هـ-١٣٤٧م). الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد. تحقيق/ سعد محمد حسن. الدار المصرية للتأليف والترجمة . القاهرة. ١٩٦٦م.

٤ - ابن أسعد اليافعى (أبو محمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان ت٧٦٨هـ ١٣٦٦م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة مايعتبر من حوادث الزمان - مؤسسة الأعلمى للمطبوعات. بيروت - لبنان (١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م) .

٥ - الإسنوى (جمال الدين عبد الرحيم ت ٧٧٢هـ- ١٣٧٠م) طبقات الشافعية. تحقيق/ كمال يوسف الحوت. دار الكتب العلمية بيروت. لبنان. الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م) .

٦ - ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد ت ٩٣٠هـ-١٥٢٣م) بدائع الزهور فى وقائع الدهور. الهيئة المصرية للكتاب. القاهرة. (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).

٧ - ابن أيبك الدواداري (أبو بكر بن عبد الله ت ٧٣٦هـ- ١٣٣٥م). كنز الدرر وجامع الغرر. تحقيق/ سعيد عبد الفتاح عاشور. القاهرة. (١٣٩١هـ-١٩٧٢م).

٨ - إبن أيبك الصفدى (صلاح الدين خليل ت ٧٦٤هـ-١٣٦٢م). الوافى بالوفيات. جـ٥، تحقيق س. د. يدرنخ، بيروت. ١٩٧٠م .

٩ - أبو بكر الطرطوشى (أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى ت ٥٢٠هـ-١١٢٦م سراج الملوك . الناشر دار الكتاب الإسلامى. القاهرة ١٤١٣هـ .

١٠- البندارى (الفتح بن على البندارى ت ٦٤٢هـ-١٢٤٤م) سنا البرق الشامى. تحقيق/ فتحية النبراوى، مكتبة الخانجى. القاهرة ١٩٧٩م .

١١- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ-١٤٦٩م) .

أ - المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى. حققه ووضع هوامشه محمد محمد أمين. تقديم سعيد عبد الفتاح عاشور. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٨٤م.

ب - النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة. دار الكتاب. القاهرة. ١٩٣٩م.

١٢- ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد الكنانى الأندلسى ت ٦١٤هـ-١٢١٧م). رحلة بن جبير. دار مكتبة الهلال. بيروت ١٩٨١م.

١٣- ابن الجزرى (شمس الدين أبى العز محمد بن محمد ت ٨٣٣هـ-١٤٢٩م) غاية النهاية فى طبقات القراء - مكتبة الخانجى. القاهرة. سنة ١٣٥٢هـ-١٩٣٣م).

١٤- ابن جماعة (بدر الدين إبراهيم سعد الله ت ٧٣٣هـ-١٣٣٢م) تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. بيروت. ١٩٦٧م .

١٥- إبن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد ت ٥٩٧هـ-١٢٠٠م).

أ - صفوة الصفوة. ضبطها وكتب هوامشها إبراهيم رمضان. وسعيد اللحام. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان ط١. ١٩٨٩م.

ب - المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك. تحقيق ودراسة محمد عبد القادر عطا - ومصطفى عبد القادر عطا. وراجعه نعيم زرزور. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان ط ١٩٨٩م.

١٦- إبن الحاج (أبو عبد الله محمد بن محمد ت ٨٣٧هـ-١٤٣٣م) مدخل الشرع الشريف على المذهب. المطبعة المصرية بالأزهر. القاهرة. ١٩٤٩م.

١٧- إبن حجر العسقلانى (أحمد بن على ت ٨٥٢هـ- ١٤٤٨م) رفع الأثر عن قضاة مصر. تحقيق حامد عبد المجيد ومحمد المهدى أبو سنة ومحمد إسماعيل. المطبعة الأميرية. القاهرة ١٩٥٧م.

١٨- الحسينى (أبى بكر بن هداية الله. ت ١٠١٤هـ-١٦٠٥م) طبقات الشافعية. تحقيق عادل نويهى. دار الآفاق الجديد. بيروت ط٢ ١٩٧٩م.

١٩- الحنبلى (أحمد بن إبراهيم ت ٨٧٦هـ-١٤٧١م) شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب. تحقيق مديحة الشرقاوى. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة ١٤١٥هـ-١٩٩٦م.

٢٠- إبن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون المغربى ت ٨٠٨هـ-١٤٠٥م) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر. الكتاب اللبنانى. بيروت. ١٩٦٨م.

٢١- إبن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت ٦٨١هـ-١٢٨٢م وفيات الأعيان. وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٤٩م.

٢٢- الدارودنى (شمس الدين محمد بن على بن أحمد ت ٩٤٥هـ-١٥٤٢م) طبقات المفسرين. بيروت. لبنان ط١ ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٢٣- إبن دقماق (صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر ت ٨٠٩هـ- ١٤٠٦).
أ - الإنتصار لواسطة عقد الأمصار. بولاق. القاهره. د. ت .
ب - الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين. تحقيق محمد كمال الدين عز الدين على. عالم الكتب. بيروت ط١- ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
٢٤- الذهبى (شمس الدين محمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ-١٣٧٤م) .
أ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعيان. تحقيق بشار عواد معروف، وشعيب الأرنؤط، وصالح مهدى عباس. مؤسسة الرسالة. بيروت ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .
ب - تذكرة الحفاظ. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م) مؤسسة الرسالة. بيروت ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
جـ - سير أعلام النبلاء. تحقيق بشار عواد معروف، ومحى هلال السرحان. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
د - العبر فى خبر من غبر. تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول.ودار الكتب العلمية. بيروت. لبنان (د - ت) .
٢٥- إبن رجب (زين الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد. ت ٧٩٥هـ-١٣٩٢م) كتاب الذيل على طبقات الحنابلة. دار المعرفة بيروت- لبنان ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م).
٢٦- الزبيدى (المرتضى الزبيدى ت ١٢٠٥هـ-١٧٩٠) ترويح القلوب فى ذكر الملوك بنى أيوب. حققه صلاح الدين المنجد. دار الكتاب الجديد. دمشق ط١ ١٩٦٩م .
٢٧- الزركشى (محمد بن عبد الله) ت ٧٩٤هـ-١٣٩٠م). إعلام الساجد بأحكام المساجد. تحقيق فضيلة الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغى. القاهرة. ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م .
٢٨- إبن الزيات (شمس الدين محمد) من وفيات القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة فى القرافتين الصغرى والكبرى. القاهره. ١٩٠٧م.

٢٩- سبط بن الجوزى (شمس الدين أبى المظفريوسف قزاوغلى التركى) ت ٦٥٤هـ-١٢٥٦م) مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكرن. ط١ ١٣٧٠هـ-١٩٥٠م.

٣٠- السبكى (تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب ت ٧٧١هـ-١٣٦٩م).

أ - طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحسود الطناحى - هجر للطباعة والنشر والتوزيع. ط٢- القاهرة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

ب - معيد النعم ومبيد النقم. تحقيق محمد على النجار وأبو زيد شلبى ومحمد أبو العيون. القاهره ط٢. ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٣١- السخاوى (أبى الحسن نور الدين ٩٠٢هـ-١٤٩٦م) تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات. مكتبة العلوم. القاهره. ط١، ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م.

٣٢- إبن سعيد (إبن سعيد المغربى الأندلسى ت ٥٨٩هـ-١١٩٤م) النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة. تحقيق حسين نصار مطبعة دار الكتب. القاهرة. ١٩٧٠م.

٣٣- السلامى (أبى المعالى محمد بن رافع) منتخب المختار فى تاريخ علماء بغداد. تحقيق عباس الفراوى - مطبعة الأهالى - بغداد ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م.

٣٤- السمعانى (عبد الكريم بن محمد) ت ٥٦٢هـ- ١١٦٦م).

أ- أدب الإملاء والاستملاء تحقيق مكى ويسولير ليدن ١٩٥٢م).

ب- الأنساب. تحقيق عبد الله عمر البارودى. دار الجنان.بيروت ط١ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣٥- السيوطى (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ-١٥٠٥م).

أ - بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة. مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه حلب. ط١ ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

ب - حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيه، القاهره، ١٩٨٠م .

جـ - طبقات المفسرين. تحقيق على محمد عمر - مكتبة وهبة القاهرة ط١ ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م .

٣٦- إبن شاكر (محمد الكتبى ت ٧٦٤هـ-١٣٦٣م) فوات الوفيات والذيل عليها. تحقيق إحسان عباس. دار الثقافة. بيروت. لبنان ١٩٧٣م .

٣٧- أبوشامة (عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى. ت ٦٦٥هـ-١٢١٧م) .

أ - تراجم رجال القرنين تصحيح محمد زاهد بن الحسن الكوثرى وراجع أصله السيد عزت العطار الحسينى، دار الجيل. بيروت ط١ ١٩٤٧م.

ب - الروضتين فى أخبار الدولتين. دار الجيل. بيروت ط١ ١٩٤٧م .

٣٨- إبن الشحنة (أبو الفضل محمد.ت ٨٩٠هـ-١٤٨٥م) الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب. دار الكتاب العربى.دمشق ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

٣٩- إبن شداد (القاضى بهاء الدين يوسف بن رافع ت ٦٣٢هـ-١٢٣٤م) سيرة صلاح الدين المعروف بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية. دار الفرجانى. القاهرة. ١٩٨٨.

٤٠- الشهرستانى (محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨هـ-١١٩٣م) الملل والنحل تحقيق محمد سيد كيلانى، دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت ١٤٠٠هـ .

٤١- الضبى (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ت ٥٩٩هـ-١٢٠٢م). بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس. دار الكتاب العربى. دمشق ١٩٦٧م .

٤٢- الطبرى (أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ت ٣١٠هـ-٩٢٢م.) تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. ط٣ القاهرة، ١٩٧٩م.

٤٣- إبن ظهيرة، الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا، كامل المهندس، مركز تحقيق التراث وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٩م،

٤٤- إبن عبد الظاهر (محى الدين بن عبد الظاهر ٦٩٢هـ-١٢٩٣م) الروضة البهية الزاهرة فى الخطط المعزية القاهرة. تحقيق أيمن فؤاد سيد. مكتبة الدار العربية للكتاب. القاهرة د. ت .

٤٥- إبن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد بن أبى جرادة. ت ٦٦٠هـ ١٢٦١م) بغية الطلب فى تاريخ حلب - تحقيق سهيل زكار. دمشق ١٤٠٩-١٩٨٩م.

٤٦- العماد الكاتب الأصفهانى (الفتح القسى فى الفتح القدسى. ٥٩٧هـ-١١٩٠م) تم طبعه بمطبعة الموسوعات. القاهرة. ١٣٢١هـ .

٤٧- إبن العماد (أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى ت ١٠٨٩هـ-١٦٧٨م) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب. القاهرة ١٣٥٠هـ .

٤٨- إبن العميد (المكين جرجس ت ٦٧٢هـ-١٢٧٣م) أخبار الأيوبيين. طبع المعهد الفرنسى. دمشق ١٩٥٨ .

٤٩- العينى (بدر الدين محمد ت ٨٥٢هـ-١٤٥١م) عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان. تحقيق محمد محمد أمين. الهيئة العامة للكتاب. القاهرة ١٩٨٧ م).

٥٠- أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل بن على ت ٧٣٢هـ-١٣٣١م) المختصر فى أخبار البشر. القاهرة. ١٣٣٥هـ .

٥١- ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ت ٨٠٧هـ-١٤٠٤م) تاريخ الدول والملوك والمعروف بتاريخ إبن الفرات. تحقيق حسن محمد الشحات. البصرة ١٩٧٠م .

٥٢- ابن فرحون (برهان الدين إبراهيم بن على بن محمد بن فرحون اليعمرى ت ٧٧٩هـ- ١٣٧٧م) الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان .د. ت .

٥٣- الفيروز آبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازى ت ٨٠٣هـ-١٤٠٠م) القاموس المحيط.مؤسسة الحلبى للتوزيع والنشر القاهرة. د. ت .

٥٤- القلقشندى (شهاب الدين أحمد بن على ت ٨٢١هـ-١٤١٨م) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا. تحقيق محمد حسنين شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت ط١ ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

٥٥- إبن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير ت ٧٧٤هـ-١٣٧٢م.

أ - البداية والنهاية. مكتبة المعارف. بيروت. ط١ ١٩٦٦.

ب - طبقات الفقهاء الشافعية. تحقيق أحمد عمر هاشم. ومحمد زينهم ومحمد عزب. مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .

٥٦- المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم. ليدن ١٩٠٦ .

٥٧- المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ-١٤٤٢م).

أ - إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا - نشر جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٤٨م .

ب - السلوك لمعرفة دول الملوك. تصحيح محمد مصطفى زياد. مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٣٤م .

جـ - المقفى الكبير - تحقيق محمد البعلاوى - دار الغرب الإسلامى. القاهرة. ١٩٩٣م .

د - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. دار الطباعة المصرية القاهرة ١٩٨٨م.

٥٨- إبن الملقن (نزهة النظار فى قضاة الأمصار). تحقيق وتعليق وتقديم مديحة محمد الشرقاوى - الناشر. مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة- ١٩٩٦م .

٥٩- المنذرى (زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى. ت ٦٥٦هـ-١٢٥٨م)- التكملة لوفيات النقلة. تحقيق د/ بشار عواد معروف.مؤسسة الرسالة- بيروت- ط٤ - ١٩٨٨. ٤ مجلدات .

٦٠- إبن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم ت ٧١١هـ-١٣١١م) لسان العرب. المؤسسة المصرية العامة للتأليف. القاهرة. د. ت .

٦١- إبن ميسر (تاج الدين محمد بن على بن يوسف ت ٦٧٧هـ-١٢٧٨م) المنتقى من أخبار مصر - إنتقاه تقى الدين أحمد بن على المقريزى - سنة ٨١٤هـ-١٤١١م. حققه وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه. أيمن فؤاد سيد. المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية. بالقاهرة- ١٩٨١م .

٦٢- النابلسى (فخر الدين عثمان بن إبراهيم ت ٦٦٠هـ-١٢٦٢م) :

أ - تاريخ الفيوم وبلاده. دار الجيل. بيروت ١٩٧٤م .

ب - لمع القوانين المضيه فى دواوين الديار المصريه - الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهره، ١٩٨٧م .

٦٣- النعيمى (عبد القادر محمد الدمشقى ت ٩٢٧هـ-١٢٥٠م) الدارس فى تاريخ المدارس - تحقيق جعفر الحسينى. مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة- ١٩٨٨م .

٦٤- النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت ٧٣٣هـ- ١٣٣١م)- نهاية الأرب فى فنون الأدب - تحقيق الباز العرينى- مكتبة دار الكتب - القاهره ١٤١٢هـ-١٩٩٢م .

٦٥- الهمذانى (رشيد الدين فضل الله ت ٧١٨هـ-١٣١٨م) تكملة تاريخ الطبرى تحقيق البريوسف كنعان- بيروت ١٩٦١م .

٦٦- الهمذانى (بديع الزمان ت ٣٩٨هـ-١٠٠٧م)، الرسائل. الطبعه الرابعه. مطبعة هنديه بالموسكى- القاهره- ١٣٣٩هـ - ١٩٢٨م .

٦٧- ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ت ٦٩٧هـ-١٢٩٨م) مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب. نشر جمال الدين الشيال - القاهره- ١٩٥٣م .

٦٨- إبن الوردى (زين الدين عـمـر بن الوردى ت ٧٥٠هـ-١٣٤٩م). تاريخ بن الوردى- مطبعة جمعية المعارف. القاهره- سنة ١٢٨٥هـ-١٨٦٨م .

٦٩- ياقوت الحموى (إبن عبد الله الرومى ت ٦٢٦هـ ١٢٢١م) .

أ - معجم الأدباء - دار الفكر - القاهرة- ١٤٠٠هـ-١٩٧٩م .

ب - معجم البلدان. دار صادر - بيروت - ١٣٩٧هـ-١٩٧٦م .

٧٠- أبويحيى (زكريا الأنصارى. ت ٩٢٦هـ- ١٥١٨)- اللؤلؤ النظيم فى روم التعلم والتعليم - القاهرة - ١٣١٩هـ .

٧١- اليونينى (قطب الدين أبو الفتح موسى بن أحمد بن قطب الدين ت ٧٢٦هـ-١٣٢٤م) زيل مرآة الزمان. دار الكتاب الإسلامى - القاهرة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .

ثالثاً: المراجع العربية والمعربة :

١ - أبو أحمد محمود فرغلي .الدليل الموجز لأهم الأثار الإسلاميه والقبطيه فى القاهرة الدار المصرية اللبنانية- القاهرة. ط١. ١٤١١هـ-١٩٩١م .

٢ - أحمد أحمد بدوى .

أ - الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام. دار نهضة مصر. القاهرة. ١٩٩٧م .

ب - الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام. دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٢م .

٣ - أحمد رمضان أحمد . الإيجازات والتوقيعات المخطوطة في العلوم النقلية والعقلية من القرن. ٤هـ : ١٠هـ- ١٠م: ١٦م سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية القاهرة د. ت .

٤ - أحمد شلبى. التربية الإسلامية، نظمها، فلسفتها، تاريخها، ط٦. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة. ١٩٧٨م .

٥ - أحمد عبد الحميد خفاجى. جوانب من الحياة الإجتماعية فى مصر فى العصر الأيوبى. دار الرشاد للطباعة والنشر. الاسكندرية، ١٩٨١م .

٦ - أحمد فكرى: -

أ - خصائص عمارة القاهرة فى العصر الأيوبى. أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة. دار الكتب المصرية. القاهرة، ١٩٧٠م .

ب - مساجد القاهرة ومدارسها. دار المعارف. القاهرة. ١٩٦٦م .

٧ - أحمد النجار .الإنتاج الأدبى فى العصرين الفاطمى والأيوبى فى مدينة الاسكندرية، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية. القاهرة. ١٩٦٤م .

٨ - أدام متز . الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى. نقله إلى العربية. محمد عبد الهادى أبو ريدة. الناشر دار الكتاب العربى. بيروت. لبنان. ط٤ , ١٩٦٧م .

٩ - إستانلى لينبول، سيره القاهرة، ترجمة. حسن إبراهيم حسن وآخرون. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة، ١٩٥٠م .

١٠ -أندريه ريموت . القاهرة تاريخ حاضرة. ترجمة. لطيف فرج . دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع. القاهرة. باريس. ١٩٩٤م .

١١- إيرالابيدوس . السياسة الدينية فى عهد الأيوبيين وتطور المذاهب الشرعية فى القاهرة. أبحاث الندوه الدولية لتاريخ القاهرة. مطبعة دار الكتب. القاهرة. ١٩٧٠م .

١٢- أيمن فؤاد سيد:-

أ - الدولة الفاطمية فى مصر. الدار المصرية. اللبنانية. القاهرة. ط١. ١٩٩٢م .

ب - المدارس فى مصر قبل العصر الأيوبى . أبحاث ندوة المدارس فى مصر الإسلامية. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٩٢م .

١٣- إميل فهمى . التعليم فى مصر. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. ١٩٧٥م .

١٤- جمال الدين الشيال: -

أ - أعلام الاسكندرية فى العصر الإسلامى. دار المعارف المصرية. القاهرة. ١٩٦٥م .

ب - الاسكندرية طبوغرافية المدينة وتطورها من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر. مستخرج من مجلة الجمعية الملكية للدراسات التاريخية. العدد ٢. دار المعارف بمصر. القاهرة. ١٩٤٩م .

١٥- حسن أمين:

أ - المعهد الأول للتعليم عند المسلمين. مجلة كلية الآداب. جامعة الاسكندرية. مطبعة جامعة الاسكندرية. العدد ٢٢-١٩٦٨م .

ب - المدرسة المستنصرية. مطبعة شفيق. القاهرة- ١٩٦٠م .

١٦- حسن الباشا وآخرون. القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها. - مراجعه. د. حسن الباشا. القاهرة. ١٩٧٠م .

١٧- حسن عبد الوهاب .تاريخ المساجد الأثرية فى القاهرة. جـ١. ط١. الدار العربية للكتاب. القاهرة. ١٩٤٦م .

١٨- حسن عبد العال . التربية الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى. دار الفكر العربى. القاهرة- ١٩٧٧م .

١٩- حسنين محمد ربيع. النظم المالية فى مصر زمن الأيوبيين . دار النهضة العربية. القاهرة. ١٩٩٠م .

٢٠- حسين مؤنس. نور الدين محمود. الدار السعوديه للنشر والتوزيع. ط٢. الرياض.١٩٨٤م .

٢١- خضر أحمد عطا الله . الحياة الفكرية فى مصر فى العصر الفاطمى. دار الفكر العربى. الطبعة الأولى. القاهره. ١٩٨٩م .

٢٢- خوليان ريبيرا ، التربيه الإسلامية فى الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية. ترجمة الطاهر أحمد مكى. دار المعارف. القاهرة. ١٩٨١م .

٢٣- دولت عبد الله. معاهد تزكية النفوس فى مصر فى العصر الأيوبى والمملوكى. مطبعة حسان. القاهرة. ١٩٨٠م .

٢٤- رضوان على الندوى. العز بن عبد السلام. دار الفكر. دمشق. د. ت .

٢٥- سعاد ماهر محمد: -

أ - مساجد مصر وأولياؤها الصالحون. مطابع الأهرام التجارية. القاهرة. ١٩٧٦م.

ب - تطور العمائر الإسلاميه بتطور وظائفها. المجلة التاريخية المصرية. مطابع سجل العرب. المجلد الثامن عشر. ١٩٧١م .

٢٦- سعيد إسماعيل على. معاهد التربيه الإسلاميه. دار الفكر العربى. القاهره. د. ت .

٢٧- سعيد عبد الفتاح عاشور.

أ - صور من مجتمع القاهرة فى العصور الوسطى المجلة التاريخيه المصرية. مطابع سجل العرب. مجلد الثامن عشر. ١٩٧١م .

ب - العلم بين المسجد والمدرسة. أبحاث ندوة المدارس فى مصر الإسلامية. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة، ١٩٩٢م .

٢٨- السيد السيد النشار. تاريخ المكتبات فى مصر فى العصر المملوكى. الدار المصرية. اللبنانية. القاهرة ١٩٩٣م .

٢٩- السيد عبد العزيز سالم. تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى. مؤسسه شباب الجامعة الاسكندرية. ١٩٨٢م .

٣٠- عبد الرحمن ذكى. نشأة القاهرة وإمتدادها فى أيام الأيوبيين. المجلة التاريخية المصرية. مطابع سجل العرب. المجلد الثامن عشر.القاهرة ١٩٧١م.

٣١- عبد الغنى عبد العاطى. التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك. دار المعارف. القاهرة. د. ت .

٣٢- عبد القادر مصطفى المغربى. الاشتقاق والتعريب. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. ط٢. ١٣٦٦هـ-١٩٤٦م .

٣٣- عبد اللطيف حمزه. الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى الأول. دار الفكر العربى. القاهرة. ١٩٦٨م .

٣٤- عطيه القوصى. تاريخ دولة الكنوز الإسلامية. دار المعارف. القاهرة. ١٩٧٦م

٣٥- عفاف صبرة . المدارس فى مصر فى العصر الأيوبى. أبحاث ندوة المدارس فى مصر الإسلامية. الهيئة العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٩٢م .

٣٦- على البيومى . قيام الدولة الأيوبية بمصر. دار الفكر الحديث. القاهرة. ١٩٥٢م .

٣٧- على «باشا» مبارك . الخطط التوفيقية الجديده لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيره. الهيئة المصرية للكتاب. القاهرة. ١٩٨٧م .

٣٨- فتحيه النبراوى. إنشاءات القاضى الفاضل. دار التوفيقية للطباعه بالأزهر. القاهرة. د. ت.

٣٩- كمال الدين سامح. العمارة الإسلامية بمصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهره. ١٩٩١م .

٤٠- محمد أحمد عبد المولى. القوى السنيه فى بلاد المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية. ٢٩٦هـ: ٣٦١هـ/٩٠٩هـ: ٩٧٢م. دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية. ١٩٨٥م .

٤١- محمد زغلول سلام. الأدب فى عصر صلاح الدين الأيوبى. مؤسسه الثقافة الجامعية. الاسكندرية. ١٩٥٩م .

٤٢- محمد عبد الرحيم غنيمة. تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى. دار الطباعة المغربية تطوان. ١٩٥٣م .

٤٣- محمد محمد أمين على. الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر دراسة تاريخية وثقافية. دار النهضة العربية. القاهرة- ١٩٨٠م .

٤٤- محمود إسماعيل . المالكية والشيعية بأفريقية إبان قيام الدولة الفاطمية). المجله التاريخية المصرية. المجلد الثالث والعشرون. القاهرة- ١٩٧٦م .

٤٥- محمود مصطفى. الأدب العربى فى مصر من الفتح الإسلامى إلى نهاية العصر الأيوبى. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر. القاهرة. ١٩٦٧م.

٤٦- مصطفى عبد الله شيحة. الآثار الإسلاميه فى مصر من الفتح العربى حتى نهاية العصر الأيوبى. (٢٠هـ: ٦٤٨هـ-٦٤١م: ١٢٥٠م). مطبعة النهضة المصريه- ط١ القاهره. ١٩٩٢م .

٤٧- مناهل فخر الدين. التعليم في ظل المماليك. (٦٤٨هـ: ٩٢٣هـ- ١٢٥٠: ١٥١٧م) مجلة آداب الرافدين - العدد العاشر. ١٩٧٩م .

٤٨- ناجى معروف. تاريخ علماء المستنصرية. دار الشعب. القاهرة. ١٩٧٥م .

٤٩- ناظم رشيد. التعليم فى ظل الدولتين الزنكية والأيوبية فى الشام. مجلة آداب الرافدين. العدد العاشر. ١٩٧٩م .

٥٠- هاديه ديجانى. القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى العسقلانى. ٥٢٦هـ: ٥٩٦هـ-١١٣١م: ١١٩٩م. مؤسسة الدراميات الفلسطينية. بيروت. ١٩٩٣م.

رابعاً: الرسائل الجامعيه:

١ - أحمد عزت عثمان. التربية والمجتمع المصرى فى العصر الأيوبى)- رسالة دكتوراة. غير منشورة- كلية التربية جامعة أسيوط- ١٩٨٢م .

٢ - أحمد عبد اللطيف. الجليات المغربيه والأندلسية فى العصر الفاطمى رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب - جامعة طنطا. ١٩٧٨م.

٣ - أحمد فؤاد سيد. نظم الحكم والإداره فى العضر الأيوبى بمصر. رساله دكتوراة غير منشورة- كلية الآداب- جامعة عين شمس، ١٩٨٣م .

٤ - سعدية محمد على، أهل السنة فى مصر فى العصر الفاطمى. رسالة ماجستير غير منشوره. كلية البنات. جامعة عين شمس- ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م .

٥ - سهام مصطفى أبو زيد. الدعوة الاسماعيلية ومدى نجاحها فى مصر الإسلامية. رساله دكتوراة غير منشورة. كلية البنات - جامعة عين شمس- ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م .

٦ - صلاح السيد. نشأة المدارس وتطورها فى العالم الإسلامى. رسالة ماجستير - غيرمنشورة- كلية الآداب. جامعة الزقازيق. فرع بنها. ١٩٨٢م .

٧ - عباس حلمى اسماعيل:

أ - السياسة الداخلية للسلطان الملك العادل الأول الأيوبى. رساله ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة - ١٩٤٣م.

ب - السياسة الداخلية فى الدولة الأيوبية فى مصر بعد السلطان العادل. رسالة دكتوراة غير منشورة - كلية الآداب. جامعة القاهرة- ١٩٥٥م .

٨ - ماجدة محمد حسن. الثقافة والتربية فى مصر على عهد بنى أيوب رسالة ماجستير غير منشورة -كلية التربية جامعة المنيا - ١٩٨٧م .

٩- محمد الحاج محمود فليفل. علاقة الأيوبيين فى مصر والشام بالخلافة العباسية فى بغداد. رساله ماجستير - غير منشوره- كلية الآداب - جامعة القاهره- ١٩٧٧م .

١٠- محمد محمد أمين على. السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب. رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة. ١٩٦٨م .

خامساً: المراجع الأجنبية:

1 - Behrens- Abouseif, Change In Function And Form of Mamluk Religious Institutions, Annales Islamologiques, Institut Francais D' Archeolagie Orientale Du Caire, Tome XXI 1985.

2 - Creswell, K.A.C., The Muslim Architecture of Egypt, Oxford University press, London 1959.

3 - D'Avennes, Prisse, L'Art Arabe D'Apres les Monuments Du Kaire, Paris 1934.

4 - Devonshire, L'Egypte Musulmane, Maisonneuve frere, Paris 1926.

5 - Devonshire, Quatre-vingts Mosquees Et Autres Monuments Musulmans Du Caire, De L'Institut Francais D'Archeologie Orientale pour la societe Royale De Geographie D'Egypte, Cairo 1924.

6 - Devonshire, Moslem Builders of Cairo, R.Schindler, Cairo 1943.

7 - Devonshire, Some Cairo Mosques And Their Founders, Constable Company limited, London 1921.

8 - Dimand, Ahandbook of Muhammadan Art, Hartsdale House, New York 1947.

9 - Encyclopaedia Britannica, Inc. William Benton, publisher, 1943-1973. Helen, Heming way Benton, Pwbnsher 1973-1974.

10 - Fahmy, A.H. The Educational Ideas of the Muslims In The Middle Ages. (Thesis for the M.A.) in Education, The University of Birmingham, October 1937.

11 - Hill, Derek. Islamic Architecture And Its Decoration, FABERand FABER, London 1958.

12 - Lane-Poole, Ahistory of Egypt In The Middle Ages, Methuen and Co, London 1901.

13 - Lane -Poole, Saladin And The Fall of The Kingdom of Jerusalem, KHAYATS, BEIRUT 1964.

14 - Mahmud, Ahmed, Guide des Principaux Monuments Arabes Du Caire, Imprimeire Nationale, BulAK, Cairo 1939.

15 - Milad, Salwa Ali Ibrahim, Registres Judiaires Du Tribunal De la Salihiyya Nagmiyya, Annales Islamologiques. Institute Francais D'Archeologie Orientale Du Caire, Tome XII, 1974.

16 - Ragib yusuf, sur Deux Monuments Funeraires Du Cimetiere D'Al-Qarafa Al-Kubra Au Caire. Institue FrancaisD'Archeologie Orientale Du Caire, Tome XII, 1974.

17 - Saladin, H. Manuel D'Art musulman, Paris1907.

18 - Zaky, Hassan. Moslim Egypt And Its Contribution to Islamic Civilisation, Fouad I University Press 1949.

المحتويات

«المحتويات»